كتاب الرياض ١٩

العدد التاسع عشر يوليه ١٩٩٥م

Twitter: @abdullah_1395
5.1.2015

تأثير ألف ليلة و المعلقات على أدب شاعر المانيا

كوته

د / عدنان الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

١٩

تأثير ألف ليلة والمعلقات على أدب شاعر ألمانيا

كوته

د. عدنان الرشيد

Twitter: @abdullah_1395

ح مؤسسة اليمامة الصحفية، ١٤١٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الرشـــيـد، عدنـــان

تاثير ألف ليلة وليلة على أدب شاعر ألمانيا كوته.

١٨٨ ص، ١٤,٥ × ٢١,٥ سم؛ (كتاب الرياض، ١٩)

ردمك ١ ـ ١٧ ـ ٧٨٠ ـ ٩٩٦٠

ردمد X ١٩٠ ـ ١٣١٩

١ ـ كوته، يوهان فولفجانج فون، ١٧٤٩ ـ ١٨٣٢ ـ نقد ٢ ـ الشعر الألماني ـ نقد أ ـ العنوان ب ـ السلسلة

ديوي ٨٣١,٦٠٠٩ ١٦/٠٧٨٣

رقم الإيداع: ١٦/٠٧٨٣

ردمـــك: ١ ـ ١٧ ـ ٧٨٠ ـ ٩٩٦٠

ردمـــد: X ١٩٠ ـ ١٣١٩

Twitter: @abdullah_1395

كتاب الرياض

يأتي هذا العدد من كتاب «**الرياض**» ليزيد خانة في الأرقام التسلسلية للاصدار الذي قطع شوطاً من عامه الثاني حتى بلغ ثلثه الأخير وهو منظم الصدور، متنوع المواضيع، ويعمل على استقطاب العديد من المفكرين والمبدعين العرب من الداخل والخارج حتى وصل إلى مساحة واسعة من الساحة الفكرية العربية، مما أكد أن العمل المدروس والجاد يلقى مكانة في نفوس ذوي المعرفة والباحثين عنها ومن ينضم إليهم في اطار التطلع إلى الابداع والأفكار من القارئين الباحثين عن المتعة المعرفية، خصوصاً عندما تكون متنوعة ومختلفة في التناول مما يميز اصداراً عن آخر في العرض، كما تتفاوت القيم بين الأعمال تبعاً لاصحابها وقدراتهم على التعامل مع المواضيع التي يتطرقون إليها.

من المؤشرات التي تؤكدها الطلبات المتزايدة على كتاب «**الرياض**» أن هذا الاصدار الذي اعتبر الرابع بالنسبة لمؤسسة اليمامة الصحفية ومنذ بدايته إلى اليوم قد شمل عدداً كبيراً من المساحة التي تتطلب مثل هذه الأعمال، كما أنه قد منح فرصة لأقلام شابة اضافة إلى كسبه لأقلام لها دورها الفعال في الحركة الفكرية العربية عموماً دون تمييز إلا في العمل، فكانت اختيارات شملت المنطقة العربية عموماً تبعاً للتعامل الذي كسبته «**الرياض**» الجريدة من قبل المفكرين والمبدعين العرب داخل الوطن وخارجه والذين يساهمون باقلامهم بشكل متوال في جريدتهم إلى جانب اخوانهم من ابنائنا الذين نعتز بما يقدمونه من أعمال مختلفة حيث يعول عليهم في أساس الأمر للقرب من المنبع وللاعلان عن الحضور الفعلي المشارك في البناء الفكري والاجتماعي وممارسة المواطنة من خلال الموقع وتجسيد ذلك بالعمل. مما أدى إلى تواشج فكري بين الجميع الذين انضووا تحت مسمى «**الرياض**» مؤازرين وفاعلين في البناء.

وبهذا العمل الذي يضيف رقم «١٩» إلى قائمة السلسلة المتوالية يظل مفكر عربي وأستاذ جامعي له دوره البارز في مجال الأدب والفكر والابداع اضافة إلى عمله التعليمي في جامعة الملك سعود كلية اللغات، وهو في مجاله قد أعطى الكثير تعليماً وتأليفاً حيث اصدر عدداً من الكتب التي لها مساس بتخصصه في الأدب الألماني تترجم عنه وألف فيه، ومن كتابه (دراسات في علم الجمال) يتضح مدى تعمقه في الابداع الألماني والأدب العالمي حيث ساح سياحة طويلة عاد منها بمؤلف قيم حظي بالدراسة من قبل المتلقين والمختصين.. وقد شارك في كتاب «الرياض» العدد الرابع (اللغة مفتاح الحضارة) ببحث متميز عن تعليم اللغة الألمانية للعرب.

اليوم يجيء د.عدنان رشيد مساهماً في مجاله عن تأثير الفكر الشرقي في الفكر الغربي، ماذا فعل الفن الشرقي بالفن الغربي، وكيف تفاعل الأخير وانفعل بالأول في عملية تفاعل حتى بان أثر الأول على الأخير، ثم إنه خصص اثراً واحداً من الابداع الشرقي مبيناً أثره في فن علم من اعلام الغرب وفيلسوف من الاعلام «كوته».

فكان العنوان يسجل أثر ألف ليلة وليلة في أدب كوته وفكره، وألف ليلة وليلة هو بشهادة الكثير من فلاسفة ومبدعي الغرب له دوره في التعريف بالفن والابداع الشرقي، وقد قال فولتير قولته الشهيرة «لم أكتب القصة إلا بعد قراءة

Twitter: @abdullah_1395

ألـف ليلة وليلة أربع عشرة مرة».

ولا أقول جديداً عندما أذكـر بأن الكثير قد أشاروا إلى أنه أشهـر كتاب عربي تناوله الغرب بالدراسـة والتحليل والقراءة. ولا أزيد شـيئاً عندما أقـول بأنه الكتاب الابداعي الوحيد الذي حظي باعادة الطبـاعة واستمر على مر السنين وهو يتجـدد بتجدد الأجيال ويلاقي القبول والاستحسان في الشرق والغرب ولا يمر قليل وقت إلا وتبرز الدراسات .. وتبرز الابداعات التي تغرف من هذا البحـر الزاخر بشتى الفنون والآداب والخرافات، مما جعله الكتـاب الشعبي الأول في الابداع الشـرقي، فلو عدنا لأقل من عقـدين لوجدنا عدة طبعات صدرت في شتى أقطار الوطن العربي التي تعنى بالطباعة وبأشكال مختلفة تدل على الاهتـمام بـعمل ذي أهمـيـة عند القارئين والدارسـين حيث دخل في المسـرح والسينماء، والرواية، والقصة.

يذكر الباحث فاروق خورشيـد بأن العرب قد عرفوا ألف ليلة وليلة من قديم وان ابن النديم المتوفى في القرن الرابع الـهجري قد ذكره في الفهـرست باسم «هزاري افسان» ومعنـاه «ألف خرافة» ويـنقل عنه «يحتـوي على ألف ليلة وعلى دون المائتي سـمر، لأن السمـر ربما حدِّث به في عدة ليـال وقد رأيته يتم على دفـعات» وهذا يؤكد قـدم الكتاب الذي تغلغل في الشعوب الشـرقية وأخذ يتغلغل إلى اليـوم وغداً حيث الطباعة مسـتمرة والدراسات متوالية، والموروث الشعبي أُخذ في دراسته بشكل رفيع المستوى على أيدي باحثين متخصصين في هذا العلم وفي العـام الماضي خصصت مجلة فصول ثلاثة أعداد متوالية عن ألف ليلة وليلة، والمواضيع والدراسات تتوالى، فمنذ أن ترجمت ودرست عن طريق انطون جالان للفـرنسية بين عـامي ١٧٠٤ ـ ١٧١٧م كما يقول د.رشـاد رشدي «وقعـت تلك الترجـمة في بيـئة صالحـة لنموهـا وجاءت في وقت تهـيأت فيـه الأذهان الخاصـة للتعـرف على الشرق (...) وتنبه إلـيها آخـرون فتوالت ترجـماتهـا في القرن التاسع عشر وشغل علماء الاستشراق بدراستها واستقصاء عناصرها الجوهرية».

واشتهرت في المطابع العـربية باللغة العربية بطباعـة بولاق ١٢٥١ هجرية ثم طبعة بيـروت عام ١٨٨١، وطبعـة الآباء اليـسوعين فتـوالت الطبـعات إلى اليـوم كما يـذكر د.رشدي وآخر ما اطلعت علـيه طبعة ١٩٩٥م عن دار الحياة ببيـروت وغيرها دون ذكر اسم الدور وكتب عنها الدراسات العـديدة باعتبارها أثراً فنياً بل وثيقة أدبيـة نفيسة، أو وثيقة أدبية اجتماعية، أو وثيقة ثقافية تاريخية.

من هنا جاء اهتمام د.عـدنان رشيد بهذا العمل لأنه لمس تأثيره فـي فكر مبدع غربي كتفاعل فـي اعطاء هذا العمل الثري حقه من الانتشـار والخلود والاشارة إلى ذلك بهذه الدراسة العلمـية التي تأتي من متمـرس قادر قام بجهـد يستحق عليه الشكر مـن هيئة تحرير هذه السلسـلة ومن القارئين عامـة الذين نلمس تجاوبهم الدائم مع مـا تقدم من اصدارات حاملة اسم كتاب «الرياض» الذي يعد بتقديم المزيد من المتنوع المعرفي.

سعد الحميدين

Twitter: @abdullah_1395

مقدمـــة

هذه مجموعة من المقالات عن كاتب وشاعر المانيا يوهان فولفكانك فون كـوته (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢م) وعن أهم مسـرحيـاته ورواياته التي تأثر فيـها بأشعار المعلقـات وقصص ألف ليلة وليلة الخيـالية والتي كانت تعـبيراً عن خيـال الجياع والمحرومين من المال والطعـام. وكان كتـاب الغرب ينصحون الشـباب دائماً بقـراءة قصص وحكايات ألف ليلة وليلة لأنها تنمي الخيال عند الإنسان. وسيجد القارىء فيضاً من المعلومـات التي ظلت خـافـيـة علينا نحـن العرب والـتي تمس تراثنا الأدبي والشعري.

والأدب الألماني ظل متـخلفاً عن أدب انجلترا وفرنسـا قرابة ١٠٠ عام بسـبب تأخر ظهـور حركة التنوير الألمانيـة وانقسـام المانيا إلى ٣٠٠ دويلة وإمارة ومـقاطعة حتى مـجيء بسمارك وتوحيـدها عام ١٨٧٠م في دولة موحدة. وكان للكاتب والشاعـر كوته أثر كبير على تعريف تراثنا الأدبي للألمان خـاصة وللأوروبيين عامة، وكـان كوته يؤمن دائماً «بعالمية الأدب».

وراجو أن أكـون قد قـدمت خدمـة يسيـرة للقارىء العـربي لكي يتعرف علـى تأثير تراثنا الفكري على الألمان لاسيمـا على كوته الذي كـانت المعلقـات وألف ليلة وليلة أهم مـصـادره الفكرية في شـعـره ومسرحياته.

د.عدنـــان الرشـــيد
جامعة الملك سعود ـ كلية اللغات الأجنبية والترجمة
الرياض في ١٨/٤/١٤١٥هـ الموافق ٢٣/٩/١٩٩٤م

Twitter: @abdullah_1395

الفصل الأول
يوهان فولفكانك فون جوته

لم يكن شاعر ألمانيا وعاشق الشرق جوته شاعراً وكاتباً فحسب، بل كان عالماً وباحثاً ومكتشفاً لكثير من المسائل العلمية، وكان يقول دائماً «اني أعرف الكثير، ولكنني أريد أن أعرف أكثر».

ولد جوته في ٢٨ آب (أغسطس) عام ١٧٤٩ في مدينة فرانكفورت التي تقع على نهر الماين من عائلة ميسورة الحال. وكانت فرانكفورت حينذاك مركزاً للاشعاع الفكري حيث كان يقام فيها معرضان كل عام أحدهما في الربيع والآخر في الخريف للتجارة وبيع الكتب. وكانت تعرض في هذه المعارض أهم ما تنتجه المطابع في ألمانيا.

كان والد جوته يمتلك مكتبة واسعة في المنزل مما شجع جوته الصغير على القراءة والتفتح الذهني في سن مبكرة. أما جدته فكانت مولعة بالاساطير والقصص الخيالية وقد أهدته في عيد ميلاده مسرحاً صغيراً للعرائس. وكانت والدته لا تختلف عن جدته فقد كانت مرحة ومحبة للفن، وكان جوته يستمع منها إلى القصص الخيالية لا سيما قصص وحكايات ألف ليلة وليلة.

وعندما احتل الفرنسيون فرانكفورت كان عمر جوته عشر سنوات، وكان الجنود الفرنسيون يقيمون حفلات مسرحية في المدينة وكان جوته يحضر لمشاهدة هذه الحفلات وتأثر منذ ذلك الوقت بالفن المسرحي وأحب كورنيه وراسين وموليير. وصور جوته فيما بعد طفولته في كتاب «شعر

Twitter: @abdullah_1395

وحقيقة» وهو الكتاب الذي جمع فيه جميع ذكرياته.

في عام ١٧٦٥ أرسله والده إلى مدينة لايبزك لدراسة القانون، إلا أن جوته كان ينفر من دراسة القانون وكان يشعر بوجود ميل ورغبة لديه لدراسة الأدب. مكث جوته ثلاث سنوات في لايبزك وكانت محاضرات القانون جافة ولم تبعث في نفسه الرغبة على مواصلة الدراسة، كما كانت محاضرات كلرت (١٧١٥ ـ ١٧٦٩) وكذلك محاضرات «يوهان كريستوف كوتشيت (١٧٠٠ ـ ١٧٦٦) غير مشجعة له حيث وجدهما قد تخلفاً كثيراً عن التطور الذي حققه الأدب الألماني.

وفي لايبزك تعلم جوته من البروفسور «اوسر» عميد اكاديمية الرسم الشيء الكثير، حيث استمع منه إلى شرح واسع عن فن الرسم على غرار اسلوب الانتيكا، كما كان يشرح له أفكار لسنك التي وردت في كتابه «لاوكوون».

وقد أبدى جوته اعجابه الشديد بلسنك وتأثر بأفكاره. وكتب جوته في لايبزك كثيراً من الأشعار ولكنه أحرق أغلبها ولم يبق منها سوى الأشعار التي كتبها إلى صديقته «كتشن شونكوبف» ابنة صاحب الحانة التي كان جوته يتردد عليها. وقد أصدر له الناشر برايتكوف في لايبزك ديواناً يضم عشرين قصيدة وذلك عام ١٧٦٩ بدون اذنه.

نشر جوته في لايبزك مسرحية «شركاء في الجريمة» وكذلك مسرحية «مزاج العاشق» وهي مسرحية تتناول الغيرة التي عصفت بجوته على صديقته «كتشن شونكوبف» وقد انعكس في المسرحية تأثر جوته بقصة أمينة، احدى قصص ألف ليلة وليلة إذ أطلق جوته على بطلة المسرحية اسم أمينة.

كان جوته غير راض على دراسة القانون وقد أدى ذلك إلى القطيعة مع والده. عاد جوته إلى فرانكفورت ومكث فيها سنتين ثم غادرها عام ١٧٦٨ بعد أن أصيب بمرض خطير ولكنه شفي منه بعد مدة.

في عام ١٧٧٠ انتقل جوته إلى مدينة شتراسبورك وتعرف هناك على أغلب مفكري ألمانيا حينذاك منهم سالزمان وهردر ولنس، كما تعرف جوته على طالب الطب يونك شلنك الذي أصدر عنه جوته فيما بعد كتاباً وذلك

Twitter: @abdullah_1395

عـام ١٧٧٧م. كان جـميع هؤلاء المـفكرين الذين تعـرف عليهم جـوته من مؤيدي حركة العاصفـة والاندفاع التي يطلق عليها في الألمانية Sturm und Drang وكان لنس قد نشر حينذاك مسرحية الجنود Die Soldaten ومسرحية المعلم الخاص Der Hofmeister.

وتعـرف جوته على المفكر هردر الذي اشـتهـر في ذلك العام بـكتابه النقدي «خمائل نقدية» وقد فتح له هـذا التعارف أبواب العلم والمعرفة، كما قال جـوته فيمـا بعد. كان اهتـمام جوته في لايـبزك ينحصـر في المسائل الأدبية ولكنه لم يستمر على الدراسـة المنهجية للأدب، وكان هردر يناقش جوته حينذاك عن أصل نشوء اللغة والأشكال الفنية.

وتعرف جوته هناك على أعمال هومير وشكسـبير بمساعدة وتشجيع هردر. وكان جـوته قد قرأ ترجمـة فيلاند (١٧٣٢ ـ ١٨١٣) لمسرحـيات شكسبيـر فأثار شكسبير اعجـابه واعتبره سيـد المسرح في العالم. وتأثر جوته في شـتراسبـورك بكاتدرائية المدينة وأعاد النظـر في حكمه على فن البناء القوطي.

وتعرف جوته أثناء وجوده هناك على فردريكة بريون، ابنة قس المدينة والبالغة من العمر ثمـانية عشر عاماً، وكانت رائعة الجمـال يزعزع جمالها تقوى المتعـبدين، فنشر جوته عنها قصـيدة لقاء ووداع Willkommen und Abschied معبراً فيها عن حبه لها وقد طلب جوته يدها من والدها كما كانت تفرض تقاليد ذلك الزمان، ولكن والدها رفض بأدب لأن الكاتب لنس حاول طلب يدها أيضاً فـرفض طلبه ولذلك قال والدها لجوتـه: «شاعران .. لا .. هذا كثيـر». ونشر جوته قصيـدة «نشيد أيار» "Mailied" وتعد من أفضل قصائده التي عبر فـيها عن اعجابه بالطبيعة في شـتراسبورك. وانصرف جوته لدراسة أعمال مونتسكيو وفولتير وسينكا ولسنك.

وكتب جوته ملاحظات عن شخصية كوتس وحصل على هذه المصادر من مكتبـة المدينة وقرر أن ينشر مسـرحية عنه إذ لعب كوتس دوراً مـهماً في حرب الفلاحين الألمانيـة. وخطط جوته لكتابة مسرحـية «فاوست» ثم كتب في شتـراسبورك بحثه عن فن البناء الألمـاني وانتهى منه عام ١٧٧٢ في فرانكفورت.

غادر جوته شتراسـبورك في صيف عام ١٧٧١ وودع فردريكة التي

Twitter: @abdullah_1395

وقع في حبهـا، ويقول جوته حول هذا الوداع في كـتابه (شعر وحقـيقة) Dichtung und Wahrheit «عندما مددت يدي لها لأشد على يدها كانت الدموع تتساقط من عينيها وقد انتابني شعور الأسى والألم..».

وصل جوتـه فرانكفـورت وكان والده هذه المرة راضـياً عنه، فـقد نال جوته شـهادة الدكتوراه من جـامعة شتـراسبورك. وكان والده يحـبذ أن يمتهن جوته المحـاماة ليكسب المال، إلا أن رغبة جـوته كانت تصطدم بذلك لأنه كان مولعاً بالأدب والفن.

سافر جوته إلى مدينة دارمشـتات وتعرف على الناقد هاينريش ميرك (١٧٤١ ـ ١٧٩١) الذي سـاهم بادارة تحريـر مجلة «دويشـة مـيركـور» وانضم إلى تحريـرها هردر وشلومر صهـر جوته. ونشـر جوته في هذه المجلة بحوثاً كثيرة دلت على تأثره بأفكار هردر.

في عـام ١٧٧٢م سافـر جوته إلى مـدينة فتـسلر ليمـارس المحامـاة ويوسع معارفه القانونية نزولاً على رغبة والده، وتعرف هناك على كستنر فارتبطت بينهما عـرى صداقة متينة فوقع جوته في حب خطيبـته واسمها شـرلوته بوف (١٧٥٣ ـ ١٨٢٨م) فنشر عـام ١٧٧٤م روايته العـاطفيـة «آلام فيرتر الشـاب» التي ترجمت إلى جميع اللغـات العالمية وقد ترجـمها أحمد حسن الزيـات إلى العربية عام ١٩٣٠م. وقرر جوته مـغادرة فتسلر للانصراف إلى التأليف، فنشـر بعد ثلاث سنوات مسرحيـة «كوتس فون برلشنكن» «ومـسرحيـة» كلاتو وسـتيلا وفـاوست» وكذلك مـسرحـية «بروميتنس» التي ظلت مبتورة. كما شرع بتأليف مسرحية «محمد» إلا أن هذه المسـرحيـة ظلت هي الأخـرى مـبتـورة ولم يكملهـا، ولكنه في عـام ١٧٧٣م نشر مسرحية «كوتس فون برلشنكن».

التقى جوته في شتراسبورك بأمير دوقية فايمار كارل اوكست ودعاه الأميـر للاقامة في فايمار والـعمل على تثقيـفه، فوصل جـوته فايمار في الثـاني من شهـر نوفمـبر عـام ١٧٧٥م ولم يصدق انه سـيمـضي هناك سنوات عمره كلها في هذه المدينة. ووصـل جوته بعد سنوات من عمله في الدوقية لتـربية الأمير إلى منصب وزير. وقد وصل قـبل جوته إلى فايمار الكاتب هردر بدعوة من والده كارل اوكست للاقامة فـيها كما وصل ايضا

Twitter: @abdullah_1395

الناقد فيلاند فاضحت فايمار مركزا للاشعاع الفكري في المانيا حينذاك.

وفي فايمار ارتبط جوته بعلاقات متينة مع فراو فون شتاين، زوجة أحد موضفي القصر وكانت أما لسبعة أطفال وكتب جوته عنها عدة قصائد غزلية ولعل أشهرها قصيدة «لماذا ترمقيننا بنظرات عميقة؟».

ثم نشر جوته في السنوات الأولى من اقامته أفضل قصائده منها قصيدة «إلى ليدا» وقصيدة «أفكار لا تعرف الراحة» وكذلك قصيدة «أفكار في الليل» وغيرها، إلا أن أفضل قصيدتين كتبهما جوته في حياته هما «لقاء ووداع» وقصيدة «نشيد أيار» وهي القصيدة التي نظمها عندما وقع في حب فردرية بريون ابنة قس قرية سيزنهايم.

كان جوته يهوى التجوال والسفر للتخلص من اعباء العمل في البلاد وكان يسافر دائماً إلى لايبزك، وفي عام ١٧٧٧ سافر إلى منطقة الهارس الجميلة وزار برفقة الدوق كارل اوكست برلين وتعرف هناك على أشهر رسام ألماني حينذاك وهو «أنتون كراف» (١٧٣٦ ـ ١٨١٣) وكذلك على الفيلسوف «موسوس مندلسون» (١٧٢٩ ـ ١٧٨٦)

في عام ١٧٧٩ رافق جوته الدوق كارل اوكست في رحلة إلى سويسرا وتوقف جوته في مدينة كاسل الألمانية وتعرف على البحاثة كيورك فورستر (١٧٥٤ ـ ١٧٩٤) وحدثهم فورستر عن رحلته حول العالم وأبحاثه العلمية. وواصل جوته السفر فتوقف في مدينة فرانكفورت ومن هناك اتجه إلى شتراسبورك وزار صديقته القديمة فردريكة بريون ثم زار في اليوم التالي «ليلى شونمان» التي تزوجت من صاحب بنك اسمه تنرك هايم.

ثم توقف الركب في مدينة ايمندنكن وزار جوته قبر شقيقته كورنيليا التي توفيت عام ١٧٧٧، ووصل جوته بيرن بعد أن مر بكاسل وبازل وهنا كتب قصيدة «الأشباح فوق الماء».

وفي زوريخ التقى جوته بالكاتب «لافاتر» (١٧٤١ ـ ١٨٠١) وأثناء عودته إلى فايمار مرت القافلة بمدينة شتوتكارت فالتقى بالشاعر شلر وتم التعارف بين الشاعرين. ومكث جوته بضعة أيام في شتوتكارت ورأى الاستبداد الاقطاعي فزادت كراهيته لحاكم مقاطعة فورتمبرك وطالب جوته باطلاق سراح الشاعر شوبارت (١٧٣٩ ـ ١٧٩١).

Twitter: @abdullah_1395

ولكن محاولات جوته لم تنجح لدى الأمير الاقطاعي.

وصل جوته إلى فايمار وانصرف لاعادة تشغيل مناجم الميناو، ثم قام بزيارة لمناطق فايمار الريفية فتألم لوضع الفلاحين وحياتهم وحاول الاستقالة من منصب الوزارة والتفرغ للأدب، إلا أن الدوق كارل اوكست كان يحول دون ذلك مما أدى إلى ضمور انتاجه الأدبي في تلك الفترة.

في عام ١٧٧٨ شرع جوته بتأليف مسرحية اكمنت وأنجزها عام ١٧٨٢ وكان قد انتهى قبل ذلك أي في عام ١٧٧٩ من انجاز مسرحية افكينيا في تاورس، وعرضت في مسرح فايمار وقامت بدور افيكينيا الممثلة المعروفة حينذاك كورونا شروتر، وبدأ جوته بتأليف مسرحية تاسو عام ١٧٨٠م.

اهتم جوته إلى جانب الأدب، بالدراسات الطبيعية التي شغف بها في صغره. وقد لفتت ادارة غابات تورنجا انتباهه إلى بعض أنواع الأشجار وضرورة دراستها فانصرف إلى دراسة علم النبات بكل جهده واجرى اختبارات في حديقة منزله. وأشار جوته إلى أن عالم النبات لينيه (١٧٨٩ ـ ١٨٦٦) أثر عليه كثيراً إلى جانب تأثير شكسبير والفيلسوف سبينوزا.

عندما سافر جوته إلى ايطاليا واصل هناك أبحاثه ودارساته عن النبات، كما ان اهتمامه بمناجم الميناو حفزت عنده الرغبة لدراسة علم الجيولوجيا (علم طبقات الأرض) فاهتم بالصخور والاحجار والمعادن واكتشف فيما بعد حجراً أطلق عليه اسم حجر «الكيتايت» نسبة إلى اسمه. واتجه جوته إلى التشريح وتعرف في مدينة بينا على البروفسور لودر الذي شرح له الكثير من العظام والعضلات وتشريح الانسان، وقد استهلك منه الاهتمام بالتشريح وقتا كثيراً، ولكنه كان مثمراً حيث اكتشف لنا جوته فيما بعد عظم ما بين الفكين والذي يسمى باللاتينية "OS Inter-maxillare" وكان ذلك عام ١٧٨٤م ، ويسمى هذا العظم حاليا في الطب "OS Incisivum".

وقد وجد جوته في الطبيعة الواقع الحقيقي عن العالم والفنان وأصل جميع القوى والأشياء والتأثيرات ومن هنا نشأ اهتمامه بالفلسفة المادية للفيلسوف سبينوزا.

كان لسنك قد اهتم ايضا بفلسفة سبيدوزا عندما كان في مدينة

Twitter: @abdullah_1395

فولفنبوتل وفي فايمار جوته صديقه عالم اللاهوت كيورك نوبلر الذي كان قد تعرف عليه أثناء وجوده في سويسرا.

وقد نشر نوبلر كتاباً عن الطبيعة بعد أن أجرى مع جوته اختبارات وحديثاً مطولاً عن الطبيعة.

وبعد أشهر من هذا اللقاء تعرف جوته في مدينة كوتا على أحد ممثلي حركة التنوير الألمانية وهو فريدريش ملخوار كرم الذي كان صديقاً لديدرو وهولباخ وهلفتيوس. ثم التقى جوته بعد سنتين في مدينة كاسل بأفضل صديق له وهو كيورك فرستر (١٧٥٤ ـ ١٧٩٤). وكان جوته يتعاون معه في مجال العلوم الطبيعية، كان لقاء جوته مع هردر في فايمار مثمراً للغاية، إلا أن هردر لم يشعر بالثقة التامة من علاقته بجوته في الأيام الأولى.

في الثامن والعشرين من آب (أغسطس) عام ١٧٩٣م دعا جوته هردر مع زوجته لحضور حفل عيد ميلاده فتوطدت بينهما عرى الصداقة المتينة وتعمقت أكثر من ذي قبل.

في أيلول سبتمبر عام ١٧٨٦م كان جوته يستجم في مدينة كارلسباد وغادر المدينة في الثالث من ايلول من نفس العام متوجهاً إلى ايطاليا، قمة الفن حينذاك، دون أن يودع دوق ساكسن كارل أوكست.

وكان سفره نوعاً من الهروب من المشاكل النفسية التي كان يعاني منها جوته في البلاط كما كان سفره نوعا من الاحتجاج على فشل تطبيق أفكاره السياسية والاصلاحية في دوقية فايمار، كما كانت اعباء الوزارة التي اضطلع بها تحول دون الانتاج الفكري المثمر. أضف إلى ذلك ان علاقته بفراو فون شتاين ساءت فاضطر جوته ان يضع نهاية لها. وقد كانت هذه المرأة اكبر منه سناً وكانت تسيطرعليه وتعرف خلجاته ونزعاته وميوله بكل دقة، الأمر الذي جعله يميل إليها كثيراً في بداية الأمر.

أمضى جوته في ايطاليا وقتاً ممتعاً مليئاً بالاهتمام والشغف العلمي والفني. فقد اطلع على أسلوب بناء الكنائس القديمة وشاهد أعمال الفنانين الايطاليين الكبار وزار فينيسيا (البندقية)، كما زار مدينة بومبي التي حطمها بركان فيزوف عام ٧٩ بعد الميلاد وتحجر سكانها من تأثير الغازات التي قذفها البركان وكتب جوته فيما بعد انطباعاته عن ايطاليا في

Twitter: @abdullah_1395

كتاب ضخم جمع فيه مشاهداته وآراءه عن مدينة الفنون وقد أطلق على كتابه «الرحلة الايطالية».

اهتم جوته منذ شبابه بالشعر، ويعد أول شاعر ألماني عبد الطريق أمام الشعر المعبر عن الشعب، فقد كان كلوبشتوك في منتصف القرن الثامن عشر يقلد النهج اليوناني والروماني في شعره، أما جوته فقد أحدث ثورة حقيقية في الشعر الألماني.

وعندما التقى جوته بهردر في شتراسبورك شجعه هردر على الاهتمام بالأشعار والأغاني الشعبية.

نشر جوته أول ديوان شعري له عام ١٧٦٩م وكان عمره عشرين عاماً. وكان جوته حينذاك في مدينة لايبزك وكانت لايبزك تعد باريس الصغيرة إذ كانت مركزاً للاشعاع الفكري والثقافي وتركزت أغلب دور النشر فيها، كما كانت مركزاً لأهم معرض دولي يقام مرتين في العام وهو معرض الربيع ومعرض الخريف ولازال هذا التقليد سائداً حتى اليوم.

ويضم ديوان جوته أهم قصائده منها قصيدة نشيد أيار، التي يصف فيها الطبيعة أجمل وصف. كما يضم الديوان قصيدة لقاء ووداع التي نظمها عندما وقع في حب فردريكة بريون. وقد انعكست في هذه الأشعار أفكاره واتجاهه نحو حركة العاصفة والاندفاع والتي حفزت الأدباء على الاهتمام بالطبيعة وبالشعر الشعبي.

لقد اهتم جوته بفن البناء الألماني ونشر بحثاً حول ذلك عام ١٧٧٢ عندما كان في فرانكفورت بمناسبة اقامة نصب تذكاري لمصمم كاتدرائية شتراسبورك ارفين فون شتاين باخ.

عندما نشر جوته كتابه «حول الأخلاق والفن الألماني» ظهر بحث جوته عن البناء في هذا الكتاب. وقد هاجم جوته ذوق العصر الذي كان سائداً حينذاك، كما يحتوي الكتاب على تحليل دقيق لأخلاق وصفات الشعوب والفن الشعبي.

كما عبر جوته عن عدائه للتزويق القوطي في البناء وأشاد بفن البناء الألماني الذي انعكس في كاتدرائية شتراسبورك.

لقد جمع جوته بحق بين العلم والشعر والأدب والبحث العميق وكان

Twitter: @abdullah_1395

يدعـو إلى عالميـة الأدب واهتم بالشعـر العربي والفـارسي وكان مـعجـباً بالفردوسي وسعـدي وشيرازي وكذلك بشـعراً المعلقات لا سيـما امرىء القيس. وكتب جوته دراسات كثيرة عن الشرق وعن الأدب الألماني وغيره من الآداب الأخرى. وعندمـا وافته المنية في آذار (مـارس) من عام ١٨٣٢ في منزله بمدينة فايمار كـانت آخر كلماته ... مـزيداً من النور .. مزيداً من النور.

Twitter: @abdullah_1395

أهم مسرحيات جوته:
١ ـ مسرحية كوتس فون برلشنكن:

قال جوته في حديثه مع سكرتيره يوهان بيتر أكرمان (١٧٩٢ ـ ١٨٥٤) وذلك عام ١٨٢٥ في مدينة فايمار: «نحن الألمان مذنبون في عدم نبش ماضينا السحيق الذي طواه النسيان لعدم وجود حافز وطني يدفعنا إلى ذلك، وقد حاول كلوبشتوك أن يكتب تاريخ هرمان أحد أبطال التاريخ الألماني ولكن لم يفهمه أحد، وعندما كتبت أنا كوتس شعرت بأنه جزء من لحمي ودمي وأردت أن أصنع شيئاً عن تاريخنا القومي».(١).

وأشار جوته في مذكراته التي دونها في كتابه المعروف «شعر وحقيقة» إلى أن النبلاء التقدميين في القرن السادس عشر كانوا يتجاوبون مع البرجوازية الوطنية الصاعدة».(٢).

وقد حاول كتاب عصر التنوير ايجاد مادة قومية يستندون إليها في كتاباتهم لمحاربة الاقطاع والدعوة إلى التحرر والوحدة الوطنية. وكتب مثلاً يوهان الياس شليكل عام ١٧٤١م مأساة هرمان، ثم كتب كلوبشتوك ايضا تاريخ هرمان الذي ينتمي إلى الأجيال الأولى والذي نساه الضمير الألماني، ولذلك لم يكن موفقاً في تجسيد الصراع والكفاح الوطني للقرن الثامن عشر.

كان لطموح جوته في ايجاد مادة قومية في الأدب الوطني له ما يبرره

---

(١) اكرمان: أحاديث مع جوته الجزء الأول صفحة ٢٦٨ لايبزك ٨. ص: ١٩٠٨.
(٢) مؤلفات جوته ٨ أجزاء، الجزء الرابع صفحة ٥٥ فولكس فرلاك فايمار ١٩٦١م.

Twitter: @abdullah_1395

في المجتمع الاقطاعي المستبد حينذاك إذ كان المواطن يشعر بعدم الرضا في كثير من ظواهره وقوانينه. وعندما كان جوته في لايبزك عام ١٧٦٦ حضر افتتاح مسرح لايبزك الجديد حيث عرضت حينذاك مسرحية هيرمان للكاتب شليكل.

عندما سافر جوته إلى شتراسبورك للدراسة انصرف اهتمامه إلى تاريخ كوتس وحياته، كما اهتم بفاوست وقد نصحه هردر ان يهتم بتاريخ القرن السادس عشر لأنه يشكل نقطة التحول في التاريخ الألماني. إلا ان جوته لم يستطع الحصول على تاريخ كوتس إلا في عام ١٧٧١م عندما سافر إلى فرانكفورت. وكتب جوته إلى صديقه يوهان دانيل سالزمان معبراً له عن اهتمامه العميق بتاريخ وحياة كوتس، أول فارس ألماني كان يتحلى بالشجاعة والأخلاق النبيلة والحب العميق للوطن الألماني.

كتب جوته النص الأول للمسرحية في نهاية عام ١٧٧١م بعنوان «كوتس القديم» وصدرت طبعته عام ١٧٧٣م. وقد صور فيها جوته انهيار الدولة الألمانية كما صور فيها القيصر مكسيميليان الأول وهو يسعى عبثاً للمحافظة على منصبه ازاء النبلاء الاقطاعيين في برلمان مدينة فورم.

ويهتف القيصر يائساً: «هل ينبغي عليّ أن أصبح مجرد خاروعة زرع لطرد الطيور من بساتينهم ومزارعهم وأتخلى عن ارادتي..»(٣).

وبما أن الاقطاعيين لم يستهدفوا حماية مصالحهم فقط، فقد صرخ القيصر قائلاً: «لقد تحولت ألمانيا من بحيرة نقية إلى مستنقع قذر..»(٤).

ويجسد جوته في المسرحية حياة الناس الملتفين حول كوتس ورفقتهم وصفاء عواطفهم وكذلك اسلوب حياة البلاط في بامبيرك الذي يسوده التزلف والخواء الفكري والابتذال والكذب وقتل المواطنين بدس السم لهم أو بالغدر اللئيم..

لقد صور جوته في المسرحية الأحداث التاريخية لحرب الفلاحين الألمانية في القرن السادس عشر، حيث صور الفلاحين وهم يتصرفون بأسلوب ثوري وكشف لنا جوته في الفصل الخامس عن فقرهم وبؤسهم الاجتماعي وأسباب ثورتهم ضد الاستغلال الاقطاعي.

---

(٣) نفس المصدر السابق، الجزء الثاني، صفحة ٤٩.
(٤) نفس المصدر.

Twitter: @abdullah_1395

عندما أرسل جوته المسرحية إلى الناقد الألماني هردر عام ١٧٧١م انتقدها هردر بشدة لأنها كانت تقليداً ومحاكاة لأسلوب شكسبير، الأمر الذي أدى به إلى تغييرها واجراء تعديل عليها فنشرها مرة أخرى عام ١٧٧٣م بعنوان «كوتس فون برلشنكن ذو اليد الحديدية» وبعد التعديل الذي اجراه جوته على المسرحية أغفل مسألة تنظيم جماهير الفلاحين واعتبر كل واحد منهم قام بمساعدة نفسه بنفسه دون الاعتماد على الآخرين، إلا أن النص الثاني أصبح متقدماً على النص الأول من الناحية الفنية وأصبح هو الحافز للثورة اضافة إلى أن جوته جسد سمات الأحداث وعكسها لنا بشكل مسهب مما جعلها ملائمة للمسرح وقتذاك، وقد غدت مسرحية كوتس اسهاماً فنياً وأدبياً في سبيل بلورة الوعي الوطني للبرجوازية الألمانية وللشباب الألماني في القرن الثامن عشر.

لقد حافظ جوته على الصورة التاريخية لعصر ماكسيميليان وكيف أجهض حرب الفلاحين عام ١٥٢٥م حتى وفاة كوتس عام ١٥٦٢م.

والمعروف أن كوتس لم يمت في السجن، بل في قصره في هورنبيرك على نهر النيكر شمال هيلبورن. ويبدو لنا في المسرحية سيكنكن أثناء وفاة كوتس في عنفوان شبابه ولكن الحقيقة التاريخية تقول انه توفي عام ١٥٢٣ قبل انتفاضة الفلاحين وقبل وفاة كوتس بتسعة وثلاثين عاماً. أما كوتفريد فون برلشنكن فيعد تاريخياً من أفقر الفرسان حيث عاش من عام ١٤٨٠ وحتى عام ١٥٦٢م.

إن موضوع المسرحية يتناول شخصية الفارس كوتس الذي يدخل في صراع مع القيصر والدولة، ويرى كوتس في شخصية مطران بامبيرك أكبر عدو له، وفي نفس القصر يعيش صديق كوتس منذ الطفولة أدلبرت فون فايسلنك، وعندما يدخل السجن يحقد على القيصر وبعد اطلاق سراحه من السجن يخرج من القصر ويطلب الانضمام إلى كوتس وأصدقائه ويصبح فارساً مستقلاً في ضيعته. وتمخضت صداقته مع كوتس عن اعلان خطوبته على ماري شقيقة كوتس.

ثم يأتي دور أدلهايد فون فالدورف حيث يرسل فايسلنك إلى القصر فيخون كوتس ويصبح عدوه. وكان فايسلنك يعرف جيداً كيف يؤلب

Twitter: @abdullah_1395

القيصر ضد كوتس فتشكل لجنة للنظر في أمر كوتس ويلقى به في السجن ويطلب منه النزال للمبارزة. وعندما ثار الفلاحون ضد القيصر انتخبوا كوتس رئيساً لهم. وبعد كفاح طويل يخوضه الفلاحون بزعامة كوتس يدب بينهم وبين كوتس خلاف حاد يضطر بسببه كوتس إلى التخلي عنهم وقد أدى ذلك إلى اجهاض انتفاضة الفلاحين وقمعها فيتعرض كوتس إلى الملاحقة ولم يستطع مقاومة ذلك. وعندما يشعر صديقه فايسلنك بتأنيب الضمير يحاول عبثاً انقاذه فيسقط هو الآخر في الهاوية.

أما فيما يتعلق بالمسرحية من الناحية التاريخية فثمة رأيان حول انهيار البطل كوتس. فالرأي الأول هو أن كوتس جاء بصورة متأخرة في سبيل تحقيق اهدافه التي مر عليها الزمن. أما الرأي الثاني فهو ان البطل كوتس وصل بصورة متأخرة لقيادة الثورة وتحقيق أهدافها في مجتمع لم يتبلور فيه الوعي الوطني الضروري. ويمكن مقارنة كوتس بالبطل الراهب توماس منسر (١٤٩٠ ـ ١٥٢٥) الذي قاد حرب الفلاحين الألمانية وأعدمه الاقطاعيون في ٢٧/٥/١٥٢٥م. لقد أدرك جوته كيف يتناول طبقة الفلاحين وممثليهم الحقيقيين في القرن السادس عشر، ولكنه لم يصور في المسرحية الفرسان والنبلاء فحسب، بل ايضا رجال الدين رغم أنهم يشكلون فئة اجتماعية لها خصائصها الذاتية إذ انهم ينتمون إلى الفئات الدينية العالية والواطئة التي ترتبط مصالحها بمصالح الجماهير الغفيرة والتي وجدت مصالحها تتأرجح بين تأييدها للجماهير من جهة وبين خضوعها للسلطة من جهة أخرى.

كما صور جوته في المسرحية أغلب الطبقات لاسيما الغجر الذين رفعوا السلاح ضد الحكام الاقطاعيين إلى جانب الفلاحين. وقد حافظ جوته على الحقيقة التاريخية لشخصية كوتس لاسيما عندما اعتبر سقوطه ضرورة تاريخية ولكنه انتصر من الناحية المعنوية.

ورغم أن كوتس كان يعتمد على نفسه اكثر من اعتماده على الفلاحين، فقد أدى به ذلك إلى الفشل والخيبة لعدم نضوج الوعي الطبقي والسياسي حينذاك. ويصور لنا جوته شخصية فايسلنك المتأرجحة سواء من الناحية السياسية أو من الناحية العاطفية بين ماري وادلهايد.

Twitter: @abdullah_1395

ورغم مؤامرات البلاط فإن كوتس يظل محافظاً على أصالته في تمجيد علاقات الصداقة وعواطف الوفاء لأحب أصدقائه مثل الفارس كيورك وسيكنكن وليرزة.

ويسقط كيورك في المعركة ويضطر كوتس إلى ارسال ابنه إلى الدير ليخلفه، ويبدو لنا محباً للقيم الدينية وتنعكس فيه الوحدة بين الدين والسياسة في عصر كوتس. وقد جسد لنا جوته ارتباط كوتس بجماهير الفلاحين والمضمون الوطني لموقفه وكفاحه من أجل تحقيق المهام السياسية والاجتماعية.

لقد اضطر جوته إلى تغيير محتوى المسرحية في النص الثاني واصدار طبعة ثانية بعد أن أجرى عليها تعديلات أساسية انطلاقاً من علاقته بالنبلاء إذ كانت ثورة كوتس أكثر مما ينبغي بمقاييس ذلك العصر، كما حذف جوته في النص الثاني بعض المشاهد التي يظهر فيها الفلاحون في النص الأول بروح ثورية.

ويبدو أن جوته أراد مجاملة البلاط الذي كان يعيش فيه كما أراد ان يؤكد على أن البرجوازية تهتم بمصالحها أكثر من اهتمامها بمصالح الفلاحين ومشاكلهم. وحذف جوته في النص الثاني النقاش الذي يجري ضد النبلاء الاقطاعيين وجعله ذا مسحة رقيقة..

لقد حاول جوته ايجاد موضوع وطني يصيغه على غرار اسلوب شكسبير المسرحي ولذلك جاءت مسرحية كوتس تقليداً أعمى لمسرح وأسلوب شكسبير من ناحية الشكل وطريقة عرض المضمون. لقد عالج جوته أهم أحداث مجتمعه في القرن السادس عشر كما صور أيضاً القيم التي كانت سائدة في المجتمع الألماني وقد كان شكسبير ينقل لنا في مسرحياته القيم والمثل التي كانت سائدة في المجتمع الانجليزي.

وقد عكس لنا جوته في المسرحية صورة صادقة عن الصراع الطبقي في عصره، وقد ألهبت المسرحية مشاعر الكتاب وعمقت كفاح الفلاحين ضد الاقطاع وينسجم ذلك مع أفكار ومشاعر شكسبير بعكس المسرح الفرنسي الكلاسيكي الذي كان يمجد الاقطاع ويبتعد عن هموم الفلاحين والشعب على حد سواء.

Twitter: @abdullah_1395

كان شكسبير أيام جوته، ومنذ أن أصدر لسنك كتابه «هامبوركشة دراماتوركي (النشاط المسرحي الهامبوركي) موضع اعجاب واهتمام الكتاب الألمان لا سيما جوته، لأن مسرح شكسبير اهتم بجميع مشاكل الناس والطبقات الاجتماعية دون تمييز وساوى بينهم على خشبة المسرح فكان يعتبر الناس الفقراء والبسطاء على جانب كبير من الأهمية إلى جانب الملوك والنبلاء. كما كان شكسبير يصف الدجل والغش والغيرة التي تنهش في صدور الناس مهما كانت مكانتهم الاجتماعية والسياسية والدينية.

لقد نهج جوته نفس أسلوب شكسبير لاسيما في نسف قواعد ارسطو الثلاث والمحافظة على وحدة الموضوع فقط ولكن جوته أهمل وحدة الزمان والمكان. تعد مسرحية كوتس فون برلشنكن ثاني مسرحية في الأدب الألماني تقارع الاقطاع وتشجب الاستغلال وتنتصر للفلاحين وذلك بعد مسرحية لسنك (أميليا كالوتي) التي صدرت عام ١٧٥٧ وهو عصر التنوير في ألمانيا الذي تأخر عن عصر التنوير في انجلترا وفرنسا مائة عام بسبب التجزئة الجغرافية حتى تسنى لألمانيا أن تتوحد تحت حكم بسمارك في يناير عام ١٨٧١ بعد ثورات ومخاضات طويلة.

Twitter: @abdullah_1395

٢ ـ مسرحية فاوست:

تعد شخصية فاوست احدى الشخصيات التي أفرزها عصر النهضة (رنيسانس) في القرن الخامس عشر. وفي شخصية فاوست تجسدت الطاقة الخيالية الهائلة للشعب حينذاك في حل المعضلات ومعالجة آلام الناس ومشكلاتهم الاجتماعية.

عكس فاوست طموحات الشعب نحو حياة أفضل، كما عبر عن مقت الناس للاقطاع وتشبثهم بالعلم ونبذهم للخرافات وأضاليل الكنيسة، الأمر الذي أدى بالكنيسة إلى محاربة هذه الشخصية وإلصاق التهم الباطلة بفاوست وصورته الكنيسة للناس بأنه مرتبط بالشيطان (ساتان) مثلما حدث مع جاليلي وكوبرنيكوس وداروين وغيره من العلماء وطلاب المعرفة.

وقد عثر جوته على كتاب مطبوع في عام ١٥٨٧م عن شخصية الدكتور فاوست فاستخرج جوته منه المحتوى التقدمي والنظرة العلمية الواقعية عن المجتمع.

إن اسم فاوست الحقيقي هو «هلمشتتر» وقد ولد عام ١٤٨٠م في جنوب غرب ألمانيا، وكان يجوب المدن الألمانية مثل هايدلبيرك وايرفورت وفتنبيرك وكان بارعاً في معالجة المرضى واعطاء الدواء وكتابة الوصفات الطبية، كما كان عارفاً بأمور الفلك وكان ايضاً يمتاز بقوة خارقة في معالجة الناس والتأثير عليهم من الناحية النفسية، وقد أدى به ذلك إلى طرده من مدينة نورنبيرك واتهامه بالدجل والخداع. أما السبب الحقيقي

Twitter: @abdullah_1395

في هذه الحملة عليه، هو أن الاقطاعيين كانوا يخشون أن تتفتح أذهان وعقول الناس على الأمور العلمية التي تنسف بدورها معتقدات وغيبيات ودجل رجال الكنيسة، حيث كانت المعرفة والعلوم لا تصدر إلا عن الكنيسة فقط...

وتشكلت حينذاك اتحادات للطلبة لا سيما في مدينة فتنبيرك وايرفورت باسم فاوست لنشر علومه بين الناس، وكان مؤيدو المذهب البروستانتي هم الذين عملوا على غرس حب فاوست في نفوس الناس لأن البروستانتية كانت حينذاك ضربة قاصمة موجهة ضد الكنيسة كما ثارت البروستانتية على الخرافات والجهل.

وكان الناشر الألماني شبيس قد أصدر عام ١٥٨٧ كتاباً بعنوان «كتاب الشعب» جمع فيه الحكايات والأقاصيص والمغامرات التي كانت تروى عن فاوست مما أدى إلى انتشاره السريع بين الناس وطبع عدة طبعات منها طبعة عام ١٥٩٩م باسم الناشر فلدمان في هامبورك، كما طبع مرة أخرى عام ١٦٧٤م باسم الناشر الطبيب فتسر في مدينة نورنبيرك، وكانت آخر طبعة للكتاب هي طبعة عام ١٧٢٥م.

ويبدو ان الطبعة الأولى للناشر شبيس وصلت إلى الدول الأوروبية الأخرى مثل انجلترا ووقعت بيد شكسبير وكريستوفر مارلو حيث نشر مارلو مسرحية بعنوان «فاوست».

وتعرف جوته على مسرحية مارلو عن طريق الترجمة التي أشرف عليها الرومانتيكي الألماني آخيم فون آرنيم عام ١٨١٨ والتي ترجمها وليم مولر.

وقد أضفى كريستوفر مارلو على شخصية فاوست مضموناً انسانياً وأخرجها من القوقعة الدينية والاساطير الخرافية وجعل منها أساسا للتفكير العلمي للناس، وقد فعل لسنك ذلك أيضاً في ألمانيا حيث نشر جزءاً من ذلك في الرسالة السابعة عشرة في كتابه (هامبوركشة دراما توركي) كما نشر لسنك مسرحية مبتورة عن فاوست.

لقد كانت هذه المواضيع بالنسبة لعصر التنوير الألماني، مثل فاوست وسبارتاكوس وكوتس وبرميتوس وغيرها، حاجة ملحة وضرورة لابد

Twitter: @abdullah_1395

منها لنقل التقاليد الإنسانية إلى الشعوب الأخرى وتجسيدها للشعب الألماني أيضاً، ولذلك اضطر هؤلاء إلى طرق هذه المواضيع في فترات زمنية مختلفة.

لقد كانت مثلاً شخصية بروميتوس رمزاً للإنسان الحر الرافض لقيود المجتمع وقوانينه المجحفة كما كان سبارتاكوس رمزاً للتحرر من الاستعباد والاضطهاد، وكان كوتس رمزاً للانتفاضة الشعبية ضد تعسف الاقطاعيين. أما فاوست فقد كان تجسيداً للعملاق الجبار الذي يريد كسر جميع القيود التي تعيق وتطوق المعرفة والحقيقة.

اهتم جوته منذ صغره بوضوع فاوست كما شغله هذا الموضوع عندما كان طالبا يدرس القانون في جامعة لايبزك. وعندما عاد إلى فرانكفورت بسبب مرضه انصرف إلى قراءة المصادر المتوفرة حينذاك عن فاوست. وكان لقاؤه مع هردر في شتراسبورك على جانب كبير من الأهمية في الالتفات إلى هذه المواضيع الشعبية الأخرى كالشعر الشعبي الألماني القديم الذي يمثله هانس ساكس ووالتر فمن دير فولكفايدة وغيرهم من شعراء ذلك الزمان.

وقبل أن يبدأ جوته بتأليف فاوست هزته الصراعات العاطفية، منها فراقه لصديقته فردريكة بريون في شتراسبورك ثم خسارته لصديقته الأخرى لوته برنتانو في فرانكفورت كما شغلته موجة قتل النساء لأطفالهن بدعوى وجود همس شيطاني يدفعهن لذلك، كما حدث مع سوزانة ماركريتا برانت في فرانكفورت التي حكم عليها بالاعدام بسبب قتلها طفلها عندما كان جوته في فرانكفورت.

عندما كان جوته في لايبزك قرأ كتاباً عن تاريخ الزندقة من تأليف ارنولد، فبعث في نفسه أثراً كبيراً عن اسطورة فاوست. وكانت الزندقة ـ كما تشير اليها المصادر ـ أول موجة احتجاج ضد الاقطاع إلا أن رجال الكنيسة والاقطاعيين هم الذين وسموها بهذا الميسم لتأليب الناس عليهم.

ففي مأساة كريتشن نشاهد تأثر جوته بمأساة الفتاة المضللة التي قتلت طفلها، كمأساة رئيسية لأدب العاصفة والاندفاع.

وقد احتج كتاب العاصفة والاندفاع أمثال لنز وفاكنر ومالر مولر

Twitter: @abdullah_1395

وبوركر وبوا وشلر، ضد تعسف القوانين المنافية للانسانية وقد انعكس ذلك في أدبهم، كما احتجوا ضد العقوبات التي تتعرض لها النساء البرئيات. ونشاهد في المسرحية كيف ان كريتشن تنصاع لفاوست دون حرج ولكنها في النهاية تصطدم بتقاليد وقوانين المجتمع والكنيسة. وقد استطاعت في نهاية الأمر الافلات من التناقض الذي يتعذر حله تحت ظروف ذلك الزمان والا لكانت نهايتها مفجعة. وأظهر لنا جوته في المسرحية التناقضات الموضوعية بين الحب الشخصي وبين طموح الإنسان من أجل ازدهار الشخصية أو بين الحب عن رغبة والقوانين الصارمة في مجتمع طبقي يتعذر تغييره. وفي مثل هذا المجتمع يؤدي مثل هذا الحب إلى نهاية مأساوية.

كانت كريتشن تخشى المجتمع ونشأ لديها وعي وشعور بالذنب لم تستطع في النهاية أن تتهرب منه، وظلت تعاني من العذاب والخوف والتخلي عن الحب وعاشت في خضم هذه الصراعات المعذبة ولكنها لم تستسلم للهرب... وتقول لفاوست.. «قبلني .. هل تستطيع أن تقبلني؟ وكيف ستقبلني؟ وهل نسيت التقبل؟ انك تقبلني كما لو كنت تريد خنقي من أجل الموت اللذيذ... هاينريش .. قبلني وإلا لقبلتك أنا بنفسي. ثم ترتمي عليه وتقول: «ياللويل ... ان شفتيك باردتان.. انه الموت.. وظل صامتاً دون جواب».(٥).

إن كريتشن لم تكن تستطيع ادراك المعوقات التي تقف أمام ازدهار الشخصية الإنسانية كما أنها تدرك أيضاً بأنها لا تستطيع السير وراء فاوست في الطريق الذي يسلكه أو منعه من سلوك هذا الطريق فيصبح فاوست بالنسبة لها شخصاً غريباً.

أما غضب الشيطان «مافيستوفلس» الذي شعرت به كريتشن في النهاية، فيتوضح في الفصل الختامي في منظر السجين حيث تقول..: «ها هوذا .. دعه يأتي .. انه يريدني... كلا... كلا..»(٦).

وعندما تدرك كريتشن تعلق فاوست ـ الذي لا مفر منه ـ بالشيطان، تدرك أيضاً بأنها كانت ضحية هذه اللعنة، ورغم ذلك فإن فاوست يحاول

---

(٥) نفس المصدر السابق، الجزء الخامس، صفحة ٧٦.
(٦) نفس المصدر السابق.

Twitter: @abdullah_1395

الافلات من هذا الارتباط مع الشيطان وتجنب السير وراءه في طريق الغواية والضلال، وتبدو لنا كريتشن بأنها مازالت تحب فاوست ولكنها تخشى علاقته بالشيطان ثم تنادي السماء لتصونها من فاوست.

إن مسرحية فاوست تجسيد لتضليل الشيطان وتأكيد لارادة الانسان في تقرير مصيره بنفسه كما انها صراع بين العلم والدجل. لقد أفرز لنا عصر النهضة جميع العناصر التي ساعدت على ازدهار الشخصية الإنسانية وتحديد مسار التاريخ الجديد، وقد ساعد ذلك جوته على تصوير حياة احدى الشخصيات لتلك المرحلة التي عاشها والتي استمرت تسعة قرون من التطور والارهاصات الفرية.

وجسد لنا جوته بعض الصور الواقعية لصيرورة الوعي الاجتماعي والذاتي وطموح إنسان ذلك العصر لتحقيق تطلعاته في الحياة، إلا أنه يفشل في تحقيقها عندما يصطدم بعوائق المجتمع البرجوازي. وفي خضم هذا المد والجزر من التطور وادراك الإنسان الحر للمستحيل، يكمن الواقع المأساوي لمسرحية فاوست ويمكننا تلخيص ذلك بما يلي:

يبدو لنا فاوست، الذي يظهر في الجزء الأول، بأنه يعاني من أزمة حادة في مسار تطوره، فقد تحطم لديه العالم المادي عن العقيدة والايمان عنده، فنشأ عنده فراغ نفسي وفكري ويحاول املاءه بالاغتراف من مختلف العلوم.

وفي بداية زحف هذا العصر الجديد (عصر النهضة) تبذل محاولات عملاقة من جانب الإنسان التقدمي لاستبدال الخرافات من خلال الايمان بالعلم والمعرفة الجديدة التي أفرزها لنا عصر النهضة.

ومن خلال مساعي وجهود فاوست نحو العلم والطموح إلى المعرفة، تتجسد لنا شخصية جاليلو جاليلي وكوبرنيكوس وليوناردو دافنشي ومساعيهم من أجل ارساء القواعد الموضوعية بدلاً من الأفكار الغيبية وكذلك كفاحهم ضد الكنيسة الكاثوليكية، أي الصراع بين الرجعية وأفكار الاصلاح والنهضة العلمية والفنية.

ونجد فاوست يقف إلى جانب التقدم ولكنه سرعان ما يتخلى عن أية تضحية يتطلبها هذا التقدم. إن فاوست يريد هنا أن أدراك سر العالم

Twitter: @abdullah_1395

والقوة التي تسيره ولكنه لا يريد تسخير هذه المعرفة للإنسانية بل لنفسه ولمتعته الشخصية فقط.

يبذل فاوست محاولات كثيرة للوصول إلى أعلى درجات المعرفة والتعرف على أساس العلاقات التي تربط الأشياء مع بعضها البعض، ويحاول بلوغ ذلك بواسطة الحصول على المعارف الناقصة التي تفتقر إلى أساس وأرضية علمية كالسحر وغيرها من العلوم التي كانت سائدة حينذاك من أجل تطوير مداركه العامة، وقد أدى به هذا التناقض إلى محاولة الانتحار.

يقوم فاوست بتجربة كبيرة ومجازفة خطيرة إذ يصنع مادة سامة لكي تفتح له الباب إلى العلم والمعرفة للوقوف على سر الوجود والهدف الذي يسعى إليه العالم.

لقد صور لنا جوته عن وعي شخصيتين في هذا المشهد إذ هما يهتمان بالعلم وأبحاثه الأول فاوست والثاني «فاكنر» حيث يبدو لنا ضئيلاً بالمقارنة مع فاوست الذي تستمر اهتماماته بالعلم حتى الجزء الثاني من المسرحية.

لقد عكس لنا جوته في هذه المسرحية شخصيتين متناقضتين حول النظرة المثالية.. أولهما الشخصية الباحثة والعالمة والأخرى الشخصية الخرافية أي فكر القرون الوسطى وفكر عصر النهضة. أما فيما يتعلق بطموح فاوست نحو العلم فإن جوته يعكس لنا اليأس والنظرة العدائية للحياة التي تستحوذ على الإنسان الذي يبحث عن المطلق.

إن فاوست لم يدرك ذلك هنا إلا أنه يتوضح له ذلك فيما بعد في المشهد الذي يلي ذلك في الجزء الثاني. أما عدم اقدامه على تنفيذ قراره بالانتحار فله عامل آخر لا يدخل في مجال الرأي القائل بأن الانتحار ضرورة لحياة الإنسان.. انه الذكرى فقط.. وهذا يعني اعادة الوحدة النفسية لمراحل التطور المختلفة للإنسان.

إن القوتين اللتين تشرعان بقرع نواقيس أعياد الفصح في المسرحية تعبران لنا عن فكرة الإنسان المقهور وفكرة الحياة.

إن جوته يجعل الحياة هنا تنتصر على فكرة الإنسان المقهور ليس على

Twitter: @abdullah_1395

أساس القانون الطبيعي للحياة، لأن هذه الفكرة عن الشخصية المقهورة هي حقيقة مطلقة لم تستطع أن تصل إلى مستوى الحياة الحقيقية.

إن فكرة الانتحار عند فاوست لها مدلول آخر يبتعد عن مضمون الإنسانية، حيث أن العلم الذي يريد فاوست كسبه وادراكه عن الآفاق الجديدة، لم يربطه بالوعي الحيوي للإنسان الجديد وهذا يعني أن فكرة المعرفة المطلقة اضحت عقيمة ولكنها في النهاية تقود إلى الموت ومن يريد أن يستسلم بدونها، فإنه سيعيش في دوامة من القلق والتعاسة.

إن ادرا ك فاوست لمرحلته الانتقالية نحو هدم طموحه نحو المطلق انعكست في المشاهد الثلاثة أمام البوابة وامام غرفة الدراسة واستقطبت أيضاً في اللعنة التي يصبها فاوست على القيم الإنسانية ويعتبرها مجرد أوهام..

ويصبح فاوست هنا مستعداً لإبرام حلف مع أية قوة أو سلطة تقدم له كل شيء يهواه رغم شعوره بتفاهة واحتقار هذه السلطة ولكن عليه الرضوخ لها لأن قرفه الذي نشأ بسبب وجوده لم يسمح له بأي خيار آخر. ويقول فاوست في المسرحية: «اني أشعر بالقرف منذ مدة من جميع المعارف والعلوم...»

إن فاوست على استعداد لقبول أي حل يعوضه عن هذه الكراهية والقرف. ويقبل فاوست بهذه الحالة الجديدة بشعور ووعي واضحين بدلاً من حتمية هذا الحل الذي سوف لن ينتظر منه أية سعادة: «أتسمح حقاً.. لا يوجد هنا ما يدعو إلى السعادة والفرح..»(٧).

ان الشيء الرئيسي بالنسبة لفاوست هو ايجاد تغيير له بأي ثمن.. تغيير وانتقال من حالة العذاب إلى حالة اللذة والمتعة. إنه يريد أن يعيش مشاعر الإنسان من اللذة إلى العذاب وأن يتمتع من أعماقه بهذه المشاعر المتناقضة..

ننتقل الآن إلى المشهد الثاني الذي يقودنا إلى قبو اورباخ (اورباخس كلر) في مدينة لايبزك في الجزء الأول من مسرحية فاوست حتى دخوله السجن.

---

(٧) نفس المصدر السابق، صفحة ٨٤.

Twitter: @abdullah_1395

إن اللذة الجنسية تعد غريزة طبيعية وان أشكالها التعبيرية متعلقة بالأوضاع الاجتماعية، أي من التقييم الذي تتلقاه من الطبقة الحاكمة. وفي القرون الوسطى كان لعقيدة الكنيسة تأثيرها على الناس حيث كانت تعتبر مقدسات الإنسان تنهض على أساس التأييد الذي يكنه للكنيسة والسلطة الحاكمة وعدم تأييده لمروجي الزندقة والمعارضين لخرافات الكنيسة وأكاذيبها. وقد سرت في القرنين الثالث عشر والخامس عشر موجة من الاحتجاج ضد سطوة الكنيسة وحجرها على العلم والفكر الحر، وكانت أشعار العشق (مينة سانك) تحارب من قبل الكنيسة ولم تسمح بنشر هذا الشعر إلا بحدود ضيقة ولكن هذه الحدود توسعت بعد عصر الاصلاح الديني لا سيما عندما تزوج مارتين لوثر الراهبة كاتارينا وثار ثورته المعروفة والتي سبق ذكرها.

كان من افرازات عصر النهضة أن أدى إلى تحرير قابلية التعبير عن الغريزة الجنسية لا سيما باحياء فن الاغريق (الانتيكا) ولم تستطع الكنيسة أن تعلن احتجاجها ضد التماثيل اليونانية العارية فشاع التعبير في الرسم والنحت في ألمانيا وأوروبا (كلمة اوربا مشتقة من الكلمة البابلية القديمة اروب شمشي أي غروب الشمس وسميت فيما بعد ابنة ملك الفينقيين اوربا) عن أعضاء الجسد واعتبروا ذلك من جماليات الإنسان وجمال التعبير في الفن. وقد استهدفت هذه الحركة تحرير الجسد الإنساني من الابتذال وخطت بالانسياب خطوات بعيدة في مجال الفن والذوق الجمالي وتحرير المرأة من التقاليد التي أفرزها المجتمع الاقطاعي حينذاك ولكن هذه الحركة كانت تحمل في طياتها أخطاراً كبيرة على المرأة نفسها لأن هذه الخطوة كانت في بداياتها الأولى.

إن التناقض الذي يبرز لنا ازاء طموحات فاوست نحو التقدم والتحرر تصطدم بصورة مباشرة بتقاليد المجتمع المحافظ لا سيما بعقلية ماركيتا وفي مأساة كريتشن.

إن المسار الجديد للحياة الذي يريد فيه فاوست ان يهيم بنشوة اللذة المؤلمة ينتهي بنكسة خطيرة إذ ينصرف فاوست إلى الادمان والانغماس في اللذة والحصول على أقصى ما يمكن الحصول عليه من ملذات الحياة

Twitter: @abdullah_1395

والهرب من واقع الحياة ومشكلاتها.

وفي خضم الادمان على حياة الخمرة والمجون والضجر والخواء النفسي يشعر فاوست بالوحدة والسلبية ولكن إلى أي مدى ينبغي أن يستمر ذلك..؟ وإذا ما استمر ذلك فإن فاوست سيظل مدمناً عليه ولكن عمره لا يساعده على الاستمرار في ذلك بصورة مفرطة.

إن مشهد مطبخ الساحرات مهمته زعزعة مثل هذه الأفكار وازالة الحيرة التي يعانيها فاوست، كما أن صورة النساء في المرآة تعكس لنا المقومات النفسية للاستمتاع التام بالخمرة والجنس وهو ما يسعى فاوست لتحقيقه من أجل استمرار سعادته، كما أن هذه الصورة تعبير صادق لتصابي فاوست وادعائه بأنه قادر على اتيان ذلك.

إن فاوست يعكس لنا في هذا المشهد حياة إنسان عصر النهضة ذلك الإنسان الذي انطلق من قيود التقاليد المتزمتة ليغترف من ملذات الحياة بكل طاقته وينغمس في ملذات الحب. ويقارن جوته في المسرحية هذه الحياة بالحياة التي كان يعيشها يوركيا في ايطاليا وكذلك بحياة المجون التي عاشها الملك هنري الثامن في انكلترا والتي تجسدت في مسرحية شكسبير.

إن الصراع الذي لا مفر منه يبرز لنا واضحاً في هذا المشهد الذي يتناول مصالح الرجل الذي يريد أن يتركه القاون بأن يتصرف بكل حرية وامان والفتاة الحافظة ذات الأفق الضيق، ولكنها لم تكن بالضرورة نقية كما يتصورها المجتمع.

ويصور لنا جوته في شخصية كريتشن اصرار العالم البرجوازي الصغير المحافظ على التقاليد القديمة والذي يشعر بعدم الرضا ازاء المشاعر والأفكار التقدمية التي يؤمن بها فاوست عن الحياة ولكن هذه الفئة تقود فاوست إلى حافة القبر (الجزء الثاني ـ الفصل الأول).

وتحاول الفئات المحافظة في المجتمع التمسك باصرار بتقاليد الكنيسة والمجتمع البالية التي استمرت من القرون الوسطى حتى عصر جوته.

ونرى الصراع واضحاً بين الفئات المتحررة المؤيدة لأفكار عصر النهضة وبين التقاليد المحافظة لا سيما ازاء الحوادث المتعددة التي وقعت

Twitter: @abdullah_1395

في المجتمع كالحمل غير الشرعي وقتل الأطفال غير الشرعيين والانجاب السري والعلاقات العاطفية التي كانت جميعها تصطدم بالرياء والكذب والدجل الذي تقوده فئات المجتمع المحافظة والتي تفكر بعقلية القرون الوسطي.

ويعيش فاوست اللحظة المنتظرة التي تقرر مصيره، لا سيما تلك الكلمات التي قالها عن تلك اللحظة..» تريث انك جميل..»(٨).

وفي ممارسة الرقص مع الفتيات يعيش فاوست المتعة الجنسية التي كان يسعى إليها. ونرى فاوست يخشى الحذر الذي يأتيه من فأر أمر اللون بسبب الافراط في اللذة الجنسية، وقد ورد ذكر ذلك في المشهد الأول حيث تحركه الذكرى نحو المحبوبة التي تركها.

إن هذه الذكرى تعيد إليه عملية الاندماج بالحياة والتشبث بها.

وعندما يبدو له انقاذ كريتشن من مصيرها المحتوم أمراً متعذراً بسبب تعاطفه مع كريستين يلجأ إلى الانغماس في الخمرة واللذة الجنسية احتجاجا على الحياة وحقده عليها.

وفي الصرخة التي أطلقها قائلاً: «ليت أمي لم تلدني»، يكمن اليأس الذي استولى عليه ازاء ما قام به حتى الآن، فقد أدى شططه وانحرافه إلى التضحية بأربعة من البشر كضريبة للحظات المسروقة من اللذة.

إن هذه الخبرات التي حصل عليها فاوست في المشاهد التي ذكرناها كان لابد منها لأن جميع الطموحات التي لا تنطلق من أرضية انسانية وواقعية ومن المساواة الاجتماعية تعد معادية وغريبة عن المجتمع. ويدخل فاوست في جو جديد وهو سعيه لارضاء سعادته من خلال عمله في خدمة الطبقة الحاكمة في مجتمع يوشك على الانهيار وقد انعكس ذلك في الجزء الثاني من مسرحية فاوست الفصل الأول.

في الجزء الأول رأينا ان الإنسان الحديث في مجتمع عصر النهضة لم يستطع العيش في العالم الصغير للمجتمع البرجوازي المحافظ ويتعذر عليه تحقيق طموحاته وأحلامه، فقد أكد لنا الفصل الأول من الجزء الثاني من المسرحية بأن تحقيق مثل هذه السعادة والطموحات الشخصية في

---

(٨) نفس المصدر السابق.

Twitter: @abdullah_1395

المجتمع الاقطاعي أمر متعذر جداً. ويتضمن هذا الفصل ملامح اقتصادية هامة عن التناقضات التي يزخر بها هذا المجتمع. إن محاولة فاوست خدمة الطبقة الارستقراطية من أجل تحقيق سعادته تفشل أمام العجز الانساني في تحقيق اقتصاد أفضل للمجتمع. إن هذا العجز لا يختلف عن الضيق الفكري للطبقة البرجوازية الصغيرة في مأساة كريتشن الذي برز في عصرالنهضة بكل وضوح..

ومن نافلة القول الاسهاب في مساوىء ذلك المجتمع وفساده وأفكاره المتحجرة فقد قدم لنا جوته صورة واضحة عن مجتمع المانيا في ذلك الوقت.

في مشهد التنكر قدم لنا جوته تصويراً واضحاً عن حفلة الكرنفال التي اقيمت في فلورنسا لأول مرة عام ١٥٥٩ وقد استعرض جوته في الملابس التنكرية بعض المسائل التي تتعلق بقيادة الدولة ففي بداية المشهد نرى الزهور والثمار ثم بعض الصناعات والأعمال اليدوية ويجري التركيز على كساري الخشب ثم يسلط جوته الضوء على مهام الحكومة الرئيسية وكيف تخدع الناس ازاء صعوبات الحياة. ثم يظهر لنا الناس الطيبون لكي يغيروا صورة الحياة المشوهة وذلك في قناع التنين الذي يظهر في المسرحية رغم ان حفلة التنكر تعد نوعاً من المزاح الذي يمارسه فاوست بمساعدة مافيستوفلس (الشيطان).

إن موضوع الفصل الأول يطرح أمامنا السؤال التالي: ما هي المهمات التي تلقى على عاتق الإنسان التقدمي ازاء المجتمع الاقطاعي؟

وما هي النتائج المتوقعة من أجل حل هذه المهمات بالنسبة له وللمجتمع؟ ومن أجل توضيح الجواب يختار جوته أعلى مراتب الدولة مثل البلاط وأعضاء الدولة كمسرح لنشاط فاوست وما يعتبره المجتمع شرعياً لجميع أقطاب الدولة بدون استثناء. ان أولى المهمات التي يضطلع بها فاوست من القيصر هي اصلاح خزانة الدولة التي أصابها التبذير والافلاس.

وقد أدرك جوته بصدق مسألة اصلاح هذه المهمة في اقتصاد ذلك المجتمع المتداعي وعدم قدرته على استغلال المناجم والثروات الطبيعية.

Twitter: @abdullah_1395

إن القيصر ورهطه لا يريدون سوى الاستمتاع بالثمار الناضجة، وبما أن التحضير لهذه الثمار الناضجة يتطلب جهداً كبيراً فإن الحكام لا يعيرون أية أهمية لأي اصلاح.

كما أن اعادة الدماء النقية إلى الخزانة يتطلب تعبئة كافة الجهود من ابناء الشعب ولكن الحكام يلجأون إلى حل شكلي غير جذري يؤدي في نهاية الأمر إلى الافلاس بسبب انغماس الحكام في النهب والانفاق الهائل. وقد عرى جوته هذه الأخلاق منذ استخدام العملة الورقية في انكلترا من قبل جون لاو عام ١٧٢٠.

ومن أجل حل المهمة الثانية يظهر لنا فاوست في الرواق (أتالية) المعتم ويقوم بأعمال سحرية لاضفاء المتعة على نفوس الاقطاعيين. وقد كان هذا النوع من الفنون شائعاً حينذاك. وأدرك فاوست بنظره الثاقب المسحة المحزنة التي لازمته اثناء تأدية هذه المهمة. ويفتتح فاوست الحفلة موجهاً كلامه إلى القيصر إذ يقول: «اننا جعلنا منه انساناً ثرياً ونريد الآن اضفاء المتعة على حياته...»(٩).

وتدل هذه العبارة على مقت فاوست للاقطاعيين وسخريته منهم، ولكنه رغم ذلك نراه يخضع لارادتهم واهوائهم على غرار مارينللي خادم الأمير في مسرحية أميليا كالوتي للسنك.

ويصور لنا جوته فاوست أثناء القيام بالألعاب السحرية كيف أن الإنسان البرجوازي المفكر في ذلك العصر ينحدر احياناً إلى الهاوية تحت ضغط الاقطاعيين واغراءاتهم ويفقد في نهاية الأمر كرامته. أما الصور التي يعرضها فاوست عن باريس وعن هيلينا وهي تقف أمام القيصر والاقطاعيين، فإنه يعبر من خلالها عن الجوهر الحقيقي للفن الأصيل الذي كان يتطلع إليه مفكرو القرن الثامن عشر.

لقد حل فاوست مهمة تقديم المتعة إلى الاقطاعيين والحكام وذلك عندما قدم لهم عروضاً عن الفن الأصيل لغرسه في نفوسهم وحملهم على حبه وتقديره بغية رفع مستواهم الفكري والجمالي إلا أنه لم يحالفه التوفيق في ذلك لأنه وجد فيهم الخواء والتفاهة والجمود وكانوا أعجز من أن

---

(٩) نفس المصدر السابق.

Twitter: @abdullah_1395

يستوعبوا هذه الثروة الفنية الكبيرة. ولم يجد فاوست ما يبحث عنه في هذا المجتمع المتعجرف سوى الانصراف إلى الفن الأصيل، وهذا يجسد لنا هروب الإنسان المفكر في ذلك العصر والرافض للمجتمع الاقطاعي، إلى رحاب الجمال الواسعة.

لقد حاول فاوست مزاولة الفن لاشباع طموحه نحو السعادة والمتعة الروحية والفكرية. وقد كشف لنا جوته فشل الإنسان التقدمي المفكر في التسامي بأفكاره ازاء قوانين وقيود المجتمع الاقطاعي.

ونجد فاوست يغط في نوم عميق عندما تبدو أمامه حقائق المجتمع المرة ويطويه النسيان في نهاية الأمر، ونجد ذلك واضحاً في الجزء الثاني من المشاهد الأولى للفصل الثاني.

أما الفصل الثالث فيصور حياة الفنانين ومعاناتهم النفسية في عصر الكلاسيك والرومانتيك. وعكس جوته في هذه الفصول شخصيته الذاتية لأن هذه المشاهد صورة حية لفنان تلك المرحلة وما كان يعانيه من قلق نفسي وفكري ازاء قيود المجتمع الاقطاعي المتخلف.

لقد استهدف جوته من ذلك اجراء محاكمة لمجتمعه حينذاك والاعراب عن مقته لقوانين ذلك المجتمع. ومما لا شك فيه ان هذا الاحتجاج لفناني ذلك العصر انعكاس للأفكار التقدمية لفناني عصر النهضة، هذا العصر الذي أفرز لنا الكثير من الأعمال الفنية والأدبية في المانيا لا سيما في أوائل القرن الثامن عشر ابان عصر التنوير مثل مسرحية كوتس واكمنت وفاوست.

وعندما وجد المفكرون الألمان ان تحقيق الأفكار التقدمية أضحى امراً مستحيلاً لجأوا إلى المنابع الاغريقية وإلى الفن الاغريقي الذي كان نموذجاً لجميع الفنون والكتاب والفنانين وذلك من أجل خلق أدب وطني على غراره.

وازاء هذه العصور الثلاثة التي تنعكس في المسرحية وهي عصر الاغريق وعصر النهضة وعصر القرن الثامن عشر، يتجسد لنا عصر الرومانتيك كصورة معبرة عن القرون الوسطى الكاثوليكية والحنين إليها. كما يتجسد لنا ايضاً قلق الاقطاعيين من الثورة الفرنسية وصعود نابليون

Twitter: @abdullah_1395

وقيام الشعب الألماني بتأسيس الوحدة الألمانية للوقوف بوجه الزحف النابليوني ومطامعه. لقد غرس دخول نابليون إلى ألمانيا في اذهان الألمان فكرة الوحدة ولأول مرة تتوحد الامارات الألمانية لصد الغزو النابليوني وهنا لعب قانون الديالكتيك (صراع الاضداد) دوره التاريخي في اظهار شيء جديد ينهض على الشيء القديم ليشكل لنا حدثاً جديداً من خلال صراع حدثين وهذا ما حصل في المانيا ولولا غزو نابليون لتأخرت وحدة المانيا لسنوات طويلة.

أما الفصل الرابع والخامس من الجزء الثاني فيقودنا إلى طموح فاوست نحو سعادته من خلال الاصلاح الاقتصادي للعالم.

كما أن تخلي فاوست عن المظاهر الجميلة التي كانت لا تخلو من القبح، بدأ يتبلور لديه بصورة تدريجية إذ يرفض فاوست التفكير في الأشياء الجميلة ويتوجه إلى الطبيعة التي تركها عندما عرف جمالها في لقائه الأول معها، حيث تبدأ الطبيعة تثير اهتمامه ولكنه لا يريد أن يغوص فيها كما كان يغوص في أعماق الفن في السابق. إن هدفه الآن ترويض القوة الكامنة للعناصر المزدهرة في الإنسان والتي تحدد مسار تطور الطبيعة منذ آلاف السنين وجعلها نافعة للإنسان وللبشرية.

وفي الفصل الرابع من الجزء الثاني يقول فاوست: «ثمة شيء هائل يدفعني إليها ويبدو أن المسألة لا تدور حول عملية تحول بسيطة، بل عملية تحول هائلة للإنسانية منذ بداية تاريخها..»(١٠).

ويصبح لنا واضحا بأن تسخير هذه الطبيعة وهذا العمل الجبار يتم لفاوست وحده.. وهنا يقول فاوست: «سوف أكسب السيطرة والملكية..»(١١).

لقد كتب جوته الفصل الرابع عام ١٨٣١ بعد أن تأثر بالتطور الرأسمالي والصناعي حينذاك وهنا يعلن فاوست أهمية هذا التطور بالنسبة لتقدم الإنسان والمجتمع تحت ظروف ومقاييس المجتمع الاقتصادية للقرن التاسع عشر.

إن موقف فاوست يدل على أنه تبلور في الوقت المبكر ازاء التطور الذي

---

(١٠) نفس المصدر السابق صفحة ١٢١.
(١١) نفس المصدر السابق صفحة ١٣٣.

Twitter: @abdullah_1395

حصل في ألمانيا. ويقدم لنا فاوست صورة حقيقية لمؤسس الاقتصاد الرأسمالي حينذاك.

لقد وضع هؤلاء المؤسسون النواة الأولى لنسف النظام الاقطاعي البالي كما طوروا العناصر التقدمية للتطور الرأسمالي، وقد أضحى هؤلاء الرأسماليون مع التطور سادة المصانع وهيمنوا على الإنتاج الاقتصادي في العالم.

يقول فاوست في مشهد القصر: «الحرب أو السلم.. إن السعي الذكي هو الحصول على المنفعة الذاتية من أي طرف وفي أي ظرف»(١٢).

يخبرنا فاوست أيضاً بنشوب الأزمة الاقتصادية والحروب التي يفرزها نظام التطور الرأسمالي بصورة ديالكتيكية.

يبدو لنا فاوست هنا بأنه ابن التطور الذي ساد عصره وهو يشعر بحاجته إلى السلطة الاقتصادية ولكنه يفتقر إلى السلطة السياسية. وكان القيصر الذي يقود هذا التطور ضعيفاً وليس مؤهلاء لهذا الدور وكان يسير نحو الهاوية والانهيار.

إن سوء الأوضاع الاقتصادية التي صورها جوته في الفصل الأول وكذلك في الفصلين الثاني والثالث تؤدي إلى تدهور الأوضاع الاجتماعية ولكنها لا تؤدي إلى نشوب ثورة على غرار الثورة الفرنسية بل إلى دوامة من الصراعات والفوضى التي عاشتها المانيا حينذاك بين القيصر واعدائه حتى تحين الفرصة لانزال ضربة قاصمة بالمعارضة.

كان فاوست يطمح لتحقيق أهدافه السياسية من خلال ابرام صداقة قوية مع الحكام ولذلك يقف إلى جانب القيصر في صراعه ليحميه من المعارضة فيكسب فاوست عطف القيصر واحترامه ويظهر رجال الكنيسة في النهاية مؤيدين للقيصر بصورة انتهازية وهنا تتجسد لنا صورة المانيا في نهاية الفصل الرابع من عام ١٨١٥م وحتى عام ١٨٣٠م والتي تتحد فيها السلطة الحاكمة مع الكنيسة وأصحاب رؤوس الأموال كما تتكرر في المانيا عام ١٩١٨م اثناء ثورة نوفمبر.

أما الفصل الخامس فيصور مساعي فاوست للحصول على السلطة

---

(١٢) نفس المصدر السابق.

Twitter: @abdullah_1395

الاقتصادية وتوسيعها. ويعكس لنا جوته بوضوح السمات التقدمية للقدرات الصناعية والفنية التي سادت ذلك العصر.

ويقول فاوست في هذا الصدد: «ألا ترى صورة الجنة؟ انظر إلى الخضرة الزاهية والبساتين الكثيفة والغابات والقرى المنتشرة..»(١٣).

ويعكس لنا جوته هنا الحالة العمالية الجديدة في مصانع ذلك الوقت وعملية الازدهار الاقتصادي ولكنه لا يعكس لنا حالة العمال الاقتصادية وظروف العمل وطراز معيشتهم. ولكن فاوست يعتقد أن هذا التطور أدى إلى الاستغلال وأضحى منافياً للإنسانية مما جعل فاوست يبحث عن سبل جديدة لحل أزمة هذا التطور في المستقبل. كما أدرك ان انسان المستقبل سيحصل على جميع رغباته الحقيقية.

إن التصوير الأدبي لانسان المجتمع الرأسمالي وتطوره المستمر يتطلب منه قابلية واسعة للتعاطف مع كيان وبنية المجتمع الرأسمالي الجديد الذي بدأ يسير في طريق استعمار الشعوب الضعيفة.

لقد حدد جوته في أقوال فاوست ملامح مجتمع المستقبل الذي بدأ يسير نحو اشاعة نحو أفكار العدالة الاجتماعية. ويستخدم جوته الطبيعة كأساس يبني عليه فاوست تطوره لأن العلاقات الإنسانية طرأ عليها تغيير كبير، ويتخيل فاوست بأنه يبني جبالاً من الأحلام الاجتماعية والاصلاحية ويتخيل المجتمع الذي ستتحقق فيه السعادة للجميع.

ورغم ما في هذه الاحلام من طوباوية، إلا أن جوته كان يتوقع هذه التغييرات التي تحققت بعد قرن من كتابة مسرحية فاوست.

ونلاحظ هنا عدم ظهور مافيستوفلس بشخصيته التقليدية، حيث يظهر لنا كإنسان له شعور آخر عن العالم، ويتخلى عما تقوله السماء والجحيم عن الخير والشر تلك المقولة التي كان يتقوقع في داخلها إنسان القرون الوسطي.

إن ظهور مافيستوفلس بشخصية رجل دليل على تشخيص هذه المقولات عن الخير والشر كما ان فاوست يمثل هنا مبدأ السعي المستمر للانسان ولكن ازدهار شخصيته وتطورها يبقى متأثراً بهذه المبادىء، إلا

---

(١٣) نفس المصدر السابق صفحة ١٣٢.

Twitter: @abdullah_1395

أن القوة الكامنة فيه تجعله في النهاية قادراً على تخطي العقبات والوصول إلى المستوى اللائق من التطور وتسمو هنا الطيبة في الإنسان فيصبح جزءاً من ذاتكم..»(١٤).

ويعكس لنا ذلك الصيرورة الإنسانية لذلك العصر لا سيما الآفاق التي تبناها هردر وجوته.

إن الشر ينفي هنا الحياة ويعمل على تحطيمها ويرمي الإنسان في محيط سوداوي يتقوقع فيه داخل نفسه وذاته، وتعكس له هذه الأنا عالماً محدوداً وتعزله عن منابع الحياة المزدهرة وتفصله عن العالم الواقعي حتى يلفظ أنفاسه في نهاية الأمر بعد أن تخور قواه.

إلا أن هذه الذات الإنسانية هي أثمن ما يملكه الإنسان حيث تعيش فيها قوة الشر كقوة خارقة وحقيقية ليس مصدرها التعاليم الفلسفية عن العالم، إلا أن كل انسان يتجاهل في تصوره هذه القوة الديناميكية فإنه ينحدر في النهاية إلى التفكير اللاواقعي عن تناقضات الحياة.

وقد صور لنا جوته طموحات الإنسان لاشباع متعته الروحية والمادية فبدون حب الذات والتضحية من أجلها لما تسنى للإنسان أن يتقدم حينذاك.

إن ما فيستوفلس يظهر لنا كشخص في الوقت الذي انحدر فيه فاوست جسدياً ونفسياً إلى طريق مسدود ازاء معرفة اسرار الحاضر والمستقبل وقوانينه الموضوعية. إلا أن ارادة فاوست وقدرته الذاتية لم يصبها الوهن فقد ظلت حية تنبض وتحاول الاستمتاع بالذات بعد أن استغلق عليها ادراك القوانين الموضوعية التي تعمل على اسعاد البشرية من خلال هذه المتعة الذاتية.

لقد جاء هذا القرار لصالح مافيستوفلس مما اكسب فاوست الدور القيادي في حياته.

إن الاتفاق المبرم مع مافيستور لا يعني فقط نقضاً لجميع محاولاته ورؤياه، بل ايضا نقضاً لحياته ومفهومه عنها. ومن خلال هذا الاتفاق مع الشيطان (مافيستو) يحاول فاوست تجميع قواه ليصل إلى حدود

---

(١٤) نفس المصدر السابق.

Twitter: @abdullah_1395

الامكانات المتوفرة ويصب لعناته على جميع قيم واعتبارات الحياة. يقول فاوست: «انني ألعن كل شيء..»(١٥).

في هذا المشهد يتطرق جوته صلب الأحداث ويجعلنا نشعر من خلال كورس الأشباح بالحذر أمام لعنة فاوست.

إن لعنة فاوست تدل على أنه أهمل جميع القيم الإنسانية وأدار لها ظهره وقد صور جوته في كورس الأشباح في الجزء الأول، الذي يتميز بالشكوى والبكاء، بأن لعنة فاوست تعبير عن عدمية الحياة.

أما الجزء الثاني من الكورس فإنه ايمان بالقدرة على تخطي الهوة الخطيرة لعدمية الحياة وتعبيد الطريق أمام المعرفة الجديدة لفاوست من أجل بلورة وصياغة مفاهيم جديدة وسامية عن الحياة.

إن لعنة فاوست ايقظت احاسيس مافيستوفلس فاستغل هذا جزع فاوست وعدم ارتياحه عن الحياة لكسبه إلى جانبه والسير معه في الطريق الذي اختطه لنفسه.

ويتضح من خلال الحديث بين فاوست ومافيستوفلس أو (مافيستو) التناقض الذي نشب بينهما حول مبدأ الخير والشر وعدم قدرتهما على حل وتخطي هذا التناقض.

وعندما يعبر فاوست ومافيستو عن آرائهما يتضح لنا تأكيد كل منهما لموقفه المغاير لموقف الآخر حول وجود حياة متطورة ومتنوعة ولكنهما لا يستطيعان تحديد هدف هذه الحياة لاختلاف مبدأيهما ونظرتهما الفلسفية.

لقد تجنب جوته هنا التقيد بحكاية فاوست التاريخية وركز على الكفاح المتعلق بشخصية فاوست وسعيه الذاتي نحو اصلاح نفسه أي اصلاح المجتمع.

ويجري تنسيق هذا الكفاح بالوسائل الديالكتيكية ويبدو لنا فاوست ومافيستو يهتمان فقط بنتائج التصرفات التي تبرز في الحياة الإنسانية. كما أن الكفاح يستهدف الإنسان نفسه من أجل ازدهار ورعاية البذرة الطيبة فيه إلا أن مافيستو يحاول تحطيم هذا الإنسان الطيب، أما فاوست

---

(١٥) نفس المصدر السابق.

Twitter: @abdullah_1395

فيبحث عن السبل التي تؤدي إلى حمايته.

إن فاوست يريد الانغماس في اللذة ولكنه لا يجد فيها الهدوء: «هل سأجد الراحة حقاً..؟»(١٦). ولا يريد فاوست ايضاً التخلي عن ارادته الذاتية بسبب هذه اللحظة الزائلة ويتضح له من سوء تصرفه كلما أمعن في الانغماس في اللذة اللامحدودة التي أراد ممارستها بدون حدود وتبصر. ويبدأ فاوست يعتقد بأنه أصبح عبداً للرذيلة ويقول: «انني لم أرتكب الآثام وكما اعتقد بأنني مجرد عبد.. لقد أسأت إلى الله ولكني أضعف من أن يسيء اليه خادم مطيع مثلي..»(١٧).

ويبدو لنا الطموح الموضوعي الذي يطغى على الطموح الذاتي عند فاوست بصورة واضحة، وتسير الأحداث على هذا الأساس بين صعود في التقدم الموضوعي وهبوط نحو العمل الذاتي، وهل يصبح مافيستو غاضباً وحانقاً على الإنسان الذي يريد العودة إلى العقل، ونتابع محاولات فاوست للتجرد من الرذيلة وحيل مافيستو لقيادة فاوست مرة أخرى نحو الرذيلة، ولكن وهل سينتصر مافيستو في نهاية الأمر ويستطيع قيادة فاوست نحو العدم؟

ونجد مافيستو يلجأ إلى السحر لضمان عمله عند القيصر، أما رفض فاوست في نهاية حياته للسحر فيعد ذلك خطوة نحو استيعاب مبادىء الحياة والوجود الإنساني ويعزى ذلك إلى رفضه لجميع الرذائل التي تقف حائلاً أمام تقدم الإنسان وهنا ينتصر العقل والنظرة الثاقبة ويرفتع شأن العلم وتنحدر النظرة الغيبية.

---

(١٦) نفس المصدر السابق صفحة ١٤١.
(١٧) نفس المصدر.

Twitter: @abdullah_1395

٣ـ مسرحية فرتـــر:

في ربيع عام ١٧٧٢م غادر جوته مدينة فرانكفورت التي تقع على نهر الماين متـوجهاً إلى مدينة فـتسلر للقيام بالمرافـعات القانونية في مـحكمة المدينة بناء على طلـب والده. ومنذ وصول جـوته إلى المدينة انصـرف إلى قضاء وقتـه مع اصدقائه في منتزهات فتسلر الجمـيلة فوقع في حب فتاة اسمها «شرلوته بوف» وكان عمـرها تسعة عشر عاماً ولكنه لم يكن يدري أنها كانـت مخطوبة إلى صديقه كـستنر. وعندما علم جوته بذلـك استولى عليـه الحـزن وترك المدينة في خـريف ذلك العـام دون أن يودع صـديقـه كستنر.

وفور وصـوله توجه إلى صـديقه ميـرك الذي كان في زيارة للسـيدة صوفي لاروش الـتي كانت قـد نشرت كتـاباً بعنوان «حـياة الآنسـة فوق شتيرنهايم» وكانت هذه السيدة صديقـة حميمة للناقد الألماني فيلاند. وقد وجد جـوته عند هذه المرأة كل الراحة والطمـأنينة النفسـية وأمضى وقـتاً ممتعاً مع ابنتها ماكسيمليانة التي كانت على جانب كبير من الجمال. ورغم انشـغال جـوته بهذه الفـتاة إلا أن ذكـرى شارلـوته ظلت عالقـة في ذهنه وذاكرته، أمـا ماكـسيمليـانة فقد تـزوجت فيمـا بعد من التـاجر الايطالي برنتـانو الذي كـان يعـيش في فـرانكفـورت. وكـان برنتـانو يغـار على ماكسيمليانة كثيراً وكان يحول دون أي لقاء قد يتم بينها وبين جوته.

وقد طرق سـمع جوته نـبأ هزه من الأعـماق هو انتـحار صديقـه أيام الدراسة في لايبزك يروزليم الذي كان يعمل سكرتيـراً لقسم التصديقات

Twitter: @abdullah_1395

في محكمة فتسلر وذلك لأسباب عاطفية إذ أن قيود المجتمع الاقطاعي التي كانت سائدة حينذاك حالت دون تحقيق زواجه من التي أحبها فاستعار المسدس من صديقه كستنر وصديق جوته في نفس الوقت بحجة استخدامه اثناء السفر ولكنه استخدمه لانهاء حياته إلى الأبد..

وقد أثر هذا الحادث على جوته لاسيما وأنه فشل في الحب مرتين، المرة الأولى في شتراسبورك والثانية في مدينة فتسلر. وقد اختطلت الأحداث في مخيلته ومشاعره فكتب لنا رواية آلام فرتر العاطفية في غضون أربعة أسابيع مستلهماً وقائعها من هذا الحدث ومن حبه لشرلوته بوف. وقد صدرت الرواية في ربيع عام ١٧٧٤م وقد اضطر جوته إلى اصدار النص الثاني للرواية بين عام ١٧٨٣ وعام ١٧٨٧م تحت عنوان «رسائل من سويسرا» ونجد بطل الرواية فرتر ينتمي إلى عائلة برجوازية ميسورة الحال ولكنه يهرب إلى الوحدة لعدم وجود شخص يسعده ويواسيه في حياته الاجتماعية التي كان يعيشها.

ويخرج فرتر إلى الطبيعة للنزهة والاختلاط بالناس البسطاء والأطفال الصغار وذلك لنسيان فشله العاطفي. ويتحدث فرتر إلى صديقه وليم في رسائله (والرواية تشتمل على تبادل الرسائل) عن آفاق الحياة الجديدة وحبه للطبيعة وكيف انه تعلم من الناس البسطاء ومن الفلاحين القيم الإنسانية وتلقف خبرتهم الحقيقية عن الحياة فيستغلها لتطوير شخصيته ومعارفه. ويتعرف في هذه الأثناء على الفتاة «لوتسه» فيقع في حبها وكانت بالنسبة له تلك الفتاة التي تمثل الطهر والعفة والنزاهة ولكنها تهتم بامها وبشقيقاتها واخواتها إلا أنه يظل يحبها رغم أنها مخطوبة لالبرت ... وعندما يعلم فرتر بأن حبه يتعذر تحقيقه ينطوي على نفسه ويعود إلى الحياة العادية التي هرب منها. وقبل في النهاية العمل في دوائر الدولة بالحاح من أمه لكي يتعرف على الحياة العادية ويغوص في أعماقها ويتعرف على أسرارها، ولكنه رغم ذلك يحاول العودة إلى لوته وهو يحمل معه مشاعر اليأس ولكنه يجدها في هذه الأثناء قد تزوجت من البرت.

ويؤجل فرتر قرار انتحاره بسبب حبه الشديد لشرلوته أو لوته (اسم الدلع) وهي بدورها تبادله نفس الحب والمشاعر إلا أنها عاجزة عن تحقيقه لأنها متزوجة من البرت الذي يعد شخصاً مرموقاً في البلد ويحتل مركزاً

Twitter: @abdullah_1395

كبيراً حتى أن لوته تشعر معه بالسعادة، وعندما يدرك فرتر ذلك يودع لوته والحزن يغمر قلبه فيطلق النار على نفسه من المسدس الذي استعاره من البرت،، زوج لوته.

يصور لنا جوته في شخصية فرتر مواطناً يمثل الطبقة المثقفة لعصر التنوير الألماني. ومن السهولة بمكان ادراك تأثير أعمال شكسبير وكلوبشتوك وروسو وشتيرن وريشارتسون ومكفرسون ويونك على الشاعر جوته نفسه، كما ينعكس في الرواية رأي روسو عن الشاعر هومير الذي اعتبره روسو شاعراً شعبياً كما ان الرواية تجسيد لدعوة روسو «العودة إلى الطبيعة» حيث نجد ذلك واضحاً عندما يمتدح فرتر الطبيعة وينتقد قوانين المجتمع التي تقف عائقاً أمام ازدهار الشخصية الإنسانية وتحد من نموها.

وقد استهدف روسو من هذا النداء المجتمع الاقطاعي الخامل كما ان نداءه موجه إلى المواطن الواعي والنشيط والمتمسك بالأخلاق على عكس طبقة الاقطاعيين التي تتسم بالفساد والتخلف. وقد رأى روسو في العواطف الإنسانية صورة صادقة عن الطبيعة الحقيقية التي تعمل على تحرير المواطن من قيود المجتمع الاقطاعي، الأمر الذي بلور لدى المواطن الوعي الوطني بضرورة مضاعفة المعارف والعلوم والخبرة لتطوير المجتمع وانقاذه من حالة التخلف واللحاق بركب المجتمعات الأخرى والعمل على ازدهار الشخصية الإنسانية بجميع جوانبها.

وقد جسد جوته في الرواية مصير الشباب الطامح إلى حياة أفضل مليئة بالعمل والانتاج وقد جاء ذلك واضحاً في الرسالة المؤرخة في ٢٠ تموز - يوليو من الرواية ما يلي:

«إن امي تريد أن تراني مشغولاً ومهتماً بالأعمال ... إن ما تقوله يحملني على الضحك، فهل أنا لا أقوم الآن بأي عمل..؟» ألم يكن سيان أن قمت باحصاء حبات البزاليا أو حبات العدس؟ إن كل شيء في العالم لا يعدو أن يكون تافها..»(١٨).

لقد وجه البعض اللوم إلى جوته من أن فرتر كان مصاباً بمرض نفسي ونزوات غريبة، الأمر الذي حمله على الانتحار إلا أن الواقع يدحض ذلك

---

(١٨) مؤلفات جوته الجزء الثالث صفحة ١٩١.

Twitter: @abdullah_1395

فقد جسد جوته في شخصيته انساناً اكتشف المساوىء ولم يرض عنها كما كان انتحاره احتجاجاً على الاخلاق السيئة التي كانت تعشعش في نفوس الشباب في ذلك الوقت. كما كشف لنا جوته الأسباب الاجتماعية التي حملت فرتر على الانتحار وكان جوته يرد على جميع الذين انتقدوه بأن انتحار فرتر كان في الأساس احتجاجاً على قوانين المجتمع وتقاليده البالية التي لم تعد تلائم روح العصر.

إن جوته يعلن في الرواية تضامنه مع المهمة الاجتماعية للأدب في القاء الضوء على المساوىء الاجتماعية كما ان القارىء يدرك بأن فرتر لم يفرزه الفراغ، بل لفظته الحركة الأدبية والاجتماعية العامة.

إن طموحات فرتر المتعددة الجوانب والروح الثورية التي اتسمت بها الحركة الأدبية والفكرية حينذاك وكذلك الموقف المتصلب والتحدي للمجتمع الاقطاعي وخبرات جوته الشخصية في شتراسبورك وفتسلر وفرانكفورت ومعايشته للناس هي التي أملت عليه هذه الصورة الأدبية في الرواية.

لقد كان لانتحار يوروزليم خير محفز لخلق دافع حقيقي لمحور الرواية، وكان جوته هو المحور الرئيسي لاحداث الرواية كما لم يحدث من قبل ان تطرق كاتب إلى مثل هذا الاسلوب الثوري والعاطفي في نفس الوقت في أية رواية عاطفية.

إن فشل جوته في الحب مرتين يرتبط بالوضع المعقد الذي عاشته الشبيبة الألمانية حينذاك حيث تدور أحداث الرواية في مجتمع القرن الثامن عشر كما أن قصة الحب هي وحدها اجتماعية في مضمونها وتتناول الحب في الفترة من عام ١٧٧٠م وحتى عام ١٧٨٠م.

ويتحدث فرتر في ختام الرواية عن حبه المقدس والخالص والأخوي أيضاً، فقد أضحى يحب العالم والطبيعة والكون والناس، لا سيما الأطفال إلا أن حبه للمرأة يحتل المرتبة الأولى من اهتماماته.

إن فرتر يريد أن يحب بدون حدود وسدود ضارباً عرض الحائط بجميع التقاليد المتعارف عليها ولكنه يحب بقلب طاهر ونقي وحبه حب انساني.

إن المطالبة بالعودة إلى الطبيعة والتعبير عن الطبيعة البشرية كما هي

Twitter: @abdullah_1395

والتي كانت أحد شعارات عصر العاصفة والاندفاع، تنصهر في الرواية في بوتقة الحب، ويتجسد لنا الحب هنا كأعلى شكل من أشكال الحياة الإنسانية.

إن العلاقة العاطفية بين المرأة والرجل تعد في الرواية علاقة عاطفية طبيعية وتعبر عن الاتجاهات المعادية للاقطاع في المانيا والمناهضة لقيود المجتمع الضيقة إذ أن الحب الحر الطليق الذي يقف المجتمع الاقطاعي أمامه عائقاً كان أبرز مطاليب حركة عصر التنوير وأحد شعارات حركة العاصفة والاندفاع وجزءاً من حقوق الشبيبة في مرحلة العاصفة والاندفاع وكفاحها من أجل كسر هذه القيود.

ورغم أن فرتر كان يحب لوته بكل عواطفه، إلا أنه كان يحترم علاقتها بالبرت، حيث نراه ينصرف إلى العمل الاجتماعي ويساهم في النشاط الاجتماعي والسياسي.

وعندما يتضح له بأن هذا الواقع الألماني للقرن الثامن عشر عاجز عن ان يوفر له اية امكانية لتحقيق رغباته العاطفية، تصيبه الخيبة والاخفاق لأنه يعتقد بأن لوته هي المخلوق الوحيد الذي يربطه بالحياة وهي تحب فرتر ولكنها تحافظ على علاقتها مع خطيبها البرت لاعتبارات اجتماعية وشعورها بالمسؤولية ولذلك تظل لوته قلقة البال وتعكس لنا هذه الحالة زيف الحياة البرجوازية والمثل الاجتماعية الهشة، وقد كانت هذه المسألة احدى مشاكل المجتمع في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ايضاً وقد عكسها جوته في هذه الرواية.

في الرسالة المؤرخة في ١٥ آب (أغسطس) في الرواية ينعكس ذلك بوضوح حيث جاء فيها★

«من المؤكد أنه لا يوجد في العالم ما يهم الإنسان أكثر مما يهمه الحب»(١٩).

إن حب فرتر يتسم في البداية بالثورية والسخط على المجتمع ولكنه ينتهي بخاتمة مأساوية مؤلمة وانطلاقاً من هذه النهاية لا يمكن فصل الخلفيات الاجتماعية التي كان يحياها فرتر عن قصة الحب لأن الحب في الرواية هو نفسه ظاهرة اجتماعية وغريزية ولكن اخفاق فرتر في هذا

---

(١٩) نفس المصدر السابق.

Twitter: @abdullah_1395

الحب تجسيد لرواسب المجتمع الألماني في القرن الثامن عشر.

إن فرتر يعيش عوائق المجتمع الألماني البرجوازي والبيئة الارستقراطية وهذا المجتمع هو نفسه الذي يقف حائلاً أمام ازدهار الشخصية ويعيق تقدمها وتطورها.

لقد كان فرتر يحاول رغم ذلك ايجاد تجاوب بينه وبين البيئة التي كان يعيش فيها ولكنه كان يعاني من صراع حاد، ففي البداية شعر فرتر بالوحدة والعزلة التامة عن المجتمع من ناحية أخرى كان يشعر بالانسجام والتجاوب عندما نراه يختلط بالناس العاديين والبسطاء. ويكتب في ١٥ أيار (مايو) قائلاً:

«إن الناس البسطاء في المدينة يعرفونني جيداً ويكنون لي حباً كبيراً لا سيما الأطفال»(٢٠).

وفي نفس الرسالة يقول: «انني اعتقد بأن الذي يؤمن بضرورة الابتعاد عن الناس للمحافظة على احترامه، فإنه لا يلام على ذلك لأنه ليس أكثر من جبان».

وفي ٢٢ آيار (مايو) يكتب معبراً عن خيبته فيقول:

«عندما أرى العوائق التي تحتجز القوى الخلاقة والفعالة للإنسان وعندما أرى كيف تتبدد وتهدر طاقات الإنسان وكيف يخلق الناس المتعة لمتطلبات الحياة، فإن هؤلاء لا يسعون إلى أي هدف سوى اطالة عمرنا البائس»(٢١).

إن العلاقة والاختلاط مع الناس البسطاء والفلاحين والاهتمام بمشاكلهم هو أساس استمرارية حياة فرتر. وكما ذكرنا فإن هذا الموضوع كان من المواضيع التي شغلت اهتمام الكتاب والمفكرين في مرحلة الحركة الأدبية التي أطلق عليها (العاصفة والاندفاع).

في الرسالة المؤرخة في ٣٠ أيار (مايو) يجري الحديث عن الحب الطاهر الذي يخوضه ويعانيه فرتر وفي نهاية الرواية، أي قبل الاقدام على الانتحار، تبرز هذه المسألة مرة أخرى في موضوع هام يتعلق بالمغزى الرئيسي للرواية عندما يُطرد (بضم الياء) أحد الفلاحين من عمله ولا يعلم

---

(٢٠) نفس المصدر السابق صفحة ١٨٠.
(٢١) نفس المصدر السابق.

Twitter: @abdullah_1395

أحد عما حل به فآخر ما كان يملكه في الدنيا هي المرأة التي كان يحبها ولكنها ذهبت إلى رجل آخر وأحبته ولذلك لجأ إلى قتلها «ولم يعد أحد من الرجال يعطف عليها».

إنه من الخطأ أن تصبح الحياة بهذا الشكل الذي تدفع فيه الإنسان إلى سلوك هذا الطريق المأساوي ثم تدينه في النهاية إذ أن الفلاح الشاب الذي ارتكب جريمة القتل ليس مجرماً والشاعر جوته ينتصر في الرواية للفلاح العاشق ولم يعتبره مجرماً وجوته هنا مشابه لفرتر الذي يتعرض لنفس المصير ويقول في الرواية: «اني أرى بحق بأنه لا يمكن انقاذنا».

في الرسالة المؤرخة في ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) يعري فرتر سراة القوم وكبارهم من الموظفين والحكام فيقول: «إن هذا المجتمع في تركيبه العام هو مجتمع فارغ ويخلو من أي محتوى»(٢٢)، ويشير فرتر إلى أن اسوأ ما يعانيه هؤلاء الناس الكبار هو السأم وذلك عندما يراقب كل منهم تصرفات الآخر ويعبر كل منهم للآخر بعواطف كاذبة وبعبارات جوفاء ثم يسمي جوته الاشخاص باسمائهم عندما ينتقد في الرواية مجتمع مدينة فتسلر الذي يعكس صورة واقعية للمجتمع الألماني فيصور جوته هؤلاء الدمى بسخرية وتهكم لاذعين فيقول في الرسالة المؤرخة في ١٥ آذار (مارس) ما يلي:

«هل تدخل السيدة الفاضلة س .. مع زوجها وابنتها المراهقة ويبدو صدرها وحزام خصرها مضحكين لا سيما عندما تنظر إلى الأعلى فتبدو فتحتا أنفها مقرفتين حتى اني رحت أمقت هذه الأمة وكنت اضطر إلى التريث حتى ينتهي الكونت من حديثه التافه، ثم يدخل البارون فون ف ... فهو يبدو بملابسه التي يعود تاريخها إلى أيام تتويج الملك فرانس الأول، مضحكاً ويسير إلى جانبه المستشار ر ... (ويطلقون عليه هنا السيد فقط) ويتأبط زوجته الصماء، كما لن أنس السيد ي .. الذي رقع الفتق في بدلته القديمة بقطعة من القماش الحديث»(٢٣).

إن هذا المجتمع الذي يصفه جوته هو مجتمع مدينة فتسلر ومدينة فرانكفورت الذي تتقوقع فيه الشخصيات التافهة التي ترفض الاعتراف

---

(٢٢) نفس المصدر السابع صفحة ١٨٠.
(٢٣) نفس المصدر السابق صفحة ٢٠٢.

Twitter: @abdullah_1395

بعواطف وطموحات فرتر، بل اهملته ونبذته. وهنا يستيقظ ضمير فرتر ويبدأ بالتفكير الراديكالي ويحقد على المجتمع ويطالب بضرورة تغييره، كما تصبح المعايير الاخلاقية والاجتماعية لديه موضع شك وذلك في حديثه مع البرت في ١٢ آب (اغسطس) حيث يقول: «حقا ان السرقة اثم وجريمة، ولكن الانسان الذي يحاول انقاذ نفسه ووجوده من الجوع القاتل يلجأ إلى السرقة فمثل هذا الإنسان يستحق الرحمة أو العقاب؟

إن الشعب الذي يعيش تحت وطأة الظلم لا يمكن أن تصفه أنت بالضعف إذا ما حاول كسر سلاسل العبودية...»(٢٤).

ان هذه الأفكار هي نفسها أفكار روسو التي وردت في كتابه «العقد الاجتماعي» كما ان هذه الأفكار تأييد للثورة في المانيا وتبرير لها.

لقد زرع هذا المجتمع الخامل والمحافظ في نفوس فرتر الألم واليأس في امكانية ازدهار شخصيته وتطويرها كما كان هذا المجتمع يقف سداً منيعاً أمام انتصار حبه .. ويقول في الرسالة المؤرخة في ١٨ آب (أغسطس) .. «انني لا أرى سوى الاستنزاف الأبدي..»(٢٥)

تعكس لنا رواية آلام فرتر أفكار جوته الطوباوية عن اصلاح المجتمع وعن تركيبه إذ يؤكد فرتر في رسائله على الوحدة العالمية للبشر واندماجهم مع الطبيعة والمجتمع ويقول في الرسالة المؤرخة في ١٨ آب (اغسطس):

«انني أراهم يؤثر احدهما في الآخر وينتج احدهما للآخر ويحفر في أعماق الأرض وأرى جميع القوى الغائرة في الأعماق بدون ماض وحاضر معروف فهم مجهولو المنحدر ولكنهم يكدحون فوق الأرض وتحت السماء وهم ينتمون إلى مختلف الأجناس البشرية ويدبرون شؤونهم بأنفسهم في جميع أنحاء الأرض»(٢٦).

إن هذه العبارة الأخيرة تعكس برنامج رواية وليم مايستر لجوته ومفهوم المرحلة الكلاسيكية في الأدب حيث كانت أفكار التآخي والأممية الشعار الرئيسي لتلك المرحلة.

ونجد فرتر يقع في تناقض حاد وثنائية مستمرة، هل أكون أو لا أكون،

---

(٢٤) نفس المصدر السابق صحة ٢٠٥.
(٢٥) نفس المصدر السابق.
(٢٦) نفس المصدر السابق.

Twitter: @abdullah_1395

على غرار ما وقع فيه هملت وهنا ينعكس لنا تأثير شكسبير على جوته.

إن اختيار فرتر الانتحار لحل لأزمته دليل على احتجاجه ومعارضته لقوانين المجتمع كما ان هذا الاحتجاج يتسم بالثورية السلبية إذ أنه سبب لنفسه الضرر ولم يتأثر المجتمع أو قوانينه بهذا الانتحار.

ويترك فرتر قبل اقدامه على الانتحار مسرحية اميليا كالوتي للسنك وهي ملقية على الطاولة وهذا دليل على احتواء وتبني أفكار جوته لأفكار عصر التنوير تلك الأفكار التي استهدفت نسف الاقطاع.

إن انتحار اميليا كالوتي في مسرحية لسنك دليل آخر على الاحتجاج والمعارضة للاقطاع ولابد ان نشير إلى أن انتحار فرتر لم يكن حلاً سليماً لتناقضات المجتمع، بل هو حل قسري للتناقضات الاجتماعية والذاتية رغم أنه حل مأساوي، كما يشكل مأساة مفجعة لانسان القرن الثامن عشر في المانيا.

وقد أشاد الكاتب المسرحي الألماني وممثل مرحلة العاصفة والاندفاع راينهولد لنز برواية آلام فرتر وقال: لو أراد الله أن نعيش في عالم مليء بفرتر لشعرنا جميعنا بالسعادة»(٢٧).

إن أسباب انتحار فرتر هو المجتمع الذي عاش فيه وكذلك التناقضات التي عصفت به ثم ضعف ارادته وعدم قدرته على اتخاذ قرار حاسم منذ البداية.

وقد وصف جوته رواية فرتر بأنها اعتراف عام وشامل كما اعتبر نهايتها بأنها عملية استهدفت التحرر الشخصي لأن فرتر كشخص استطاع التغلب على خطر السلبية والقلق الذي تعرض له.

وقد وصف لسنك الرواية بأنها تصوير لمجنون مرهف الحس، إلا أن هذا الرأي لا يستند إلى أساس ولا يمكن تبريره رغم أن انتحار فرتر يعد ضرباً من الجنون وأحد الحلول اللاواقعية للأمور.

---

(٢٧) أعمال لنز صفحة ٨٥ دار نشر اوف باو برلين ١٩٥٥م.

Twitter: @abdullah_1395

٤ ـ مسرحية اكمونت:

في خريف عام ١٧٧٥م قرأ جوته في فرانكفورت تاريخ حياة اكمونت المكافح من أجل حرية شعب الاراضي المنخفضة (هولندا) وكان ذلك قبل سفره إلى مدينة فايمار. وكان الكتاب مطبوعاً باللغة اللاتينية عام ١٦٥١، وبعد أشهر قرأ جوته وصفاً آخر لشخصية اكمونت بقلم أحد الهولندين واسمه عمانوئيل فون ميترن.

لقد استغرق اهتمام جوته بتاريخ اكمونت عدة سنوات إلا أنه حتى عام ١٧٨٢ كان يكتب بعض فصولها بصورة متقطعة وقرر اثناء سفره إلى ايطاليا انجاز المسرحية لتطبع في مؤلفاته الكاملة التي صدرت حينذاك وقد انجز المسرحية عام ١٧٨٧ في روما.

لقد كانت الأراضي المنخفضة حينذاك من أكثر البلدان الاوروبية ثراء وكانت تضم بلجيكا وجزءاً من فرنسا وهولندا واللكسمبورج، وكانت مكتظة بالسكان حيث كانت تضم ٣٠٠٠ مدينة و٦٥٠٠ قرية وكانت ميناء انتفيرن في القرن السادس عشر مركزاً للمستعمرين الاوروبيين، ومارست البرجوازية الهولندية حينذاك تجارة واسعة حتى ازدهرت طبقة المانيفكتورة الرأسمالية أي الطبقة التي تمتلك مصانع النسيج وغيرها في بداية نشأتها وكانت هذه المصانع تستخدم عمال القرى بأبخس الأجور.

والشيء الغريب ان هذا البلد المتطور كان يخضع لسيطرة اسبانيا اكثر بلدان اوروبا تخلفاً بمقاييس ذلك الوقت. وكانت دولة الاراضي المنخفضة

Twitter: @abdullah_1395

تخضع مباشرة لعرش كارل الخامس، وعندما تنازل هذا الملك عن عرشه لابنه فيليب الثاني، أصبح هذا ملكاً على الأراضي المنخفضة.

وكان الملك وحاشيته من البرجوازية الاسبانية يعيشون على حساب شعب الاراضي المنخفضة وكان هذا الشعب يدفع الضرائب العالية للحكومة الاسبانية أضعاف ما كانت تدفعه امريكا حينذاك من الذهب والفضة لانجلترا.

وقد نهج الملك فيليب سياسة تعسفية وقمعية ضد المطالبين بالحرية والاستقلال وزج بالمعارضين إلى محاكم التفتيش، وكان الملك يستولي على ممتلكات الذين يتم القبض عليهم من المعارضين لسياسته، وكانت الكنيسة تستولي على ثلث هذه الممتلكات ويذهب الباقي إلى خزانة الملك. وقد أدى هذا الوضع إلى تعميق الحقد والكراهية ضد الملك الاسباني كما انتشرت أفكار الحرية بين أوساط الشعب وازاء هذه الموجة من المعارضة تفاقم ارهاب الملك وبطشه بالناس فحكم على الكثيرين بالاعدام أو الحرق وهم احياء مما أيقظ ضمير الشعب بضرورة الثورة عليه.

وأرسلت الطبقة البرجوازية لشعب الأراضي المنخفضة وفداً إلى الملك الاسباني لحمله على تغيير سياسته ومنح الشعب حقوقه المشروعة إلا أن الملك لم يستجب لمطالب الوفد، الأمر الذي حمل الارستقراطية والبرجوازية الكبيرة على ابرام حلف بين جميع فصائلها للكفاح ضد الملك وضد محاكم التفتيش وطرد الاحتلال الاسباني.

في خريف عام ١٥٦٦ اندلعت انتفاضة شعبية في جميع الأراضي المنخفضة مستهدفة السلطة الكاثوليكية والملك الاسباني. وهاجم الناس الكنائس وحطموا التماثيل، إلا أن الملك قرر سحق الانتفاضة بدون رحمة فتوجه الدوق البا، المعروف ببطشه، بجيش جرار إلى الأراضي المنخفضة فمارس ارهابا فظيعاً وارتكب جنوده مجازر وحشية وشكل محكمة أطلق عليها «مجلس المشاغبين» وقد سماها الشعب «مجلس الدم» وبلغ عدد الذين اعدمهم هذا الدوق ثمانية آلاف مواطن كما قام بنهب الطبقة البرجوازية والارستقراطية في الأراضي المنخفضة وارسال الأموال إلى الخزانة الاسبانية.

Twitter: @abdullah_1395

وفرض ألبا على الشعب ضرائب كثيرة أدت إلى افلاس التجار والحرفيين وتعطلت التجارة واغلقت المصانع ابوابها وتعرض آلاف العمال إلى البطالة وهرب الاغنياء وأصحاب رؤوس الأموال إلى الخارج. كما هرب كبير مالكي الأرض وليم فون اورانين إلى المانيا، وكان هذا الارستقراطي يجسد طموحات النبلاء المتذمرين من الوضع فنظمت المعارضة في الخارج صفوفها وحملت السلاح للقيام بثورة شعبية ضد الاحتلال الاسباني وتعسفه.

وقد انعكس هذا الكفاح في قيام المعارضة بشن حرب الانصار من داخل الغابات المجاورة وأقاموا فيها المعسكرات لتدريب المواطنين على استخدام السلاح، كما شن الأنصار حربهم ضد الاسبان عن طريق البحر الأمر الذي ادخل الرعب في قلوب المحتلين الاسبان.

وقد شملت حرب الأنصار جميع مناطق الشمال وتم انتخاب وليم فون اورانين عام ١٥٧٢ قائداً لمنطقة الشمال فالتف حوله جميع المعارضين للاحتلال الاسباني للأراضي المنخفضة. وجهز البا جيشا كبيراً لمقاومة الانتفاضة المسلحة وكان البا يرتكب ابشع الجرائم ضد الثوار مما ضاعف من عنفوان الثورة المسلحة.

وعندما حاصرت القوات الاسبانية مدينة لايدن قام الشعب بتخريب السدود فاندفعت المياه لتغمر المزارع بأسرها وكانت هذه السدود تحمي البلاد من فيضانات مياه البحر وأدى ذلك إلى تراجع الاسبان وعزل الملك فيليب الثاني ألبا ولكن سياسة القمع والارهاب لم تتغير ضد شعب الاراضي المنخفضة..

إن مسرحية اكمونت للشاعر جوته تتناول الأحداث التاريخية للانتفاضة الشعبية في خريف عام ١٥٦٦ حتى اعدام الكونت اكمونت في حزيران عام ١٥٦٨م.

كان اكمونت قد حصل من الملك فيليب الثاني ومن قيصر المانيا كارل الخامس على أرفع الأوسمة كما حارب إلى جانب قوات ملك اسبانيا في سانت كونتين عام ١٥٥٧م وفي كرافلنكن عام ١٥٥٨ وأبلى في هذه المعارك بلاء كبيراً. وكان الكونت اكمونت أحد أبرز ممثلي طبقة النبلاء

Twitter: @abdullah_1395

وعضواً في مجلس الدولة ورفع صوته مع البا ضد تسخير آلاف المطارنة والقساوسة في الأراضي المنخفضة لمطاردة وحرق المعارضين ولكن اكمونت لم ينضم إلى ما يسمى بعصبة النبلاء.

وأمر البا بعزل ماركريتا فون بارما وطلب القبض على اكمونت لأنه كان رئيساً لمعارضي طبقة النبلاء والارستقراطيين في الأراضي المنخفضة وحكم عليه بالاعدام.

لقد صور جوته في المسرحية شخصية الجلاد البا الذي عينه الملك فيليب الثاني لينفذ اوامره ضد الشعب، كما صور جوته اكمونت الذي لم يعر اهتماماً لأحداث الثورة وكأن الأمر في البداية لم يكن يعنيه.

ونجد الكونت اكمونت يذهب إلى كليرشن، وهي فتاة بسيطة من أوساط الشعب ولكنها تحب اكمونت كثيراً. وقد حذر اورانيني صديقه اكمونت من التسرع في الانغماس بالثورة فيقع في فخ الاعداء ويعترف امام البا بتفاصيل الوضع العسكري في المدن ولكن اعترافاته كانت في نفس الوقت كلمات جارحة موجهة ضد الملك الاسباني وسياسته، ويأمر البا بالقاء اكمونت في غياهب السجن ولكن اكمونت يظل يعتقد بعدالة الملك وبعلاقاته باورانين وبحب الشعب له لانقاذه من السجن .. أما كليرشن فإنها لم تستطع ان تنقل لاكمونت ما تعانيه من يأس وألم من المواطنين الجبناء الذين لم يحاولوا انقاذه من الموت فتنتحر بالسم لكي تموت مع حبيبها سوياً. وفي الليلة التي صدر فيها الحكم باعدامه يرى اكمونت في منامه كليرشن وهي تبدو في صورة تمثل إله الحرية وتحوم حول غيمة بيضاء وتعلن له ان موته سيحقق الحرية لشعب الاراضي المنخفضة وتقدم له اكليل النصر...

كانت مسرحية اكمونت ثالث عمل مسرحي ينجزه جوته في ايطاليا. وتعد هذه المسرحية، التي تصور البطولة والتضحية، احدى انجازات مرحلة العاصفة والاندفاع.

إن كفاح شعب الاراضي المنخفضة ضد تعسف الكنيسة وظلم الملك الاسباني كان جزءاً من نضال الشعب الألماني ضد الاقطاع والرجعية الألمانية. وقد الهب هذا الموضوع مشاعر الكثيرين منهم الشاعر شلر فقد

Twitter: @abdullah_1395

انعكس ذلك في مسرحيته «دون كارلوس» إلا أن شلر صور لنا في هذه المسرحية الحركة الوطنية في الأراضي المنخفضة بمنظار بعيد عن الأحداث، في حين صور جوته الصراع في خضم الأحداث. وقد أدرك جوته كيف يصور لنا بالأسلوب الواقعي النضال الجرىء لشعب الأراضي المنخفضة والتفافه حول اكمونت.

وقد هزت مسرحية اكمونت لجوته مشاعر الموسيقار الألماني بيتهوفن فلحن لها مقطوعة الحرية.

وقد أشاد شلر بالتصوير الواقعي في مسرحية اكمونت وامتدح جوته على طريقة تناوله الأحداث بصغيرها وكبيرها بدقة متناهية. ويعد جوته في هذه المسرحية أول كاتب في المانيا صور الشعب على خشبة المسرح تصويراً واقعياً وحياً في نضاله ضد الرجعية والاستبداد الاقطاعي. لقد عكست لنا هذه المسرحية الحب الذي يكنه جوته للشعب ومقته للاستغلال الاقطاعي وكان جوته يدرك الغليان الذي يجيش في نفوس الفلاحين الألمان حينذاك ولكن تصوراته عن الثورة كانت تحددها مفاهيم وقيم ذلك الزمان ولا ننسى بأنه كان يعمل وزيراً في بلاط فايمار لدى الدوق كارل اوكست.

في شتاء عام ١٧٧٧م كتب جوته إلى فراو فون شتاين يقول: «ما أعظم الحب الذي منحني اياه هؤلاء الناس وأنا في هذه القافلة المظلمة (ويعني بذلك الرحلة إلى منطقة الهارس في الشتاء)، لقد وصف البعض هؤلاء بالعوام ولكنهم عندي أعلى فئة من الناس.. انهم يتسمون بالعفة والنقاوة والصدق والقناعة والصبر»»(٢٨).

في ١٣ ديسمبر عام ١٨١٣م كتب جوته إلى المؤرخ لودن الذي كان أستاذاً في جامعة يينا قائلاً: «هل تعتقد حقا ان الشعب استيقظ فعلاً؟ وهل يدرك ماذا يريد؟ ان السبات سيظل عميقا..»(٢٩).

نستطيع هنا أن ندرك الأسباب التي حملت جوته على اختيار الجزء الثاني من الكفاح التحرري لشعب الاراضي المنخفضة. لقد كتب جوته

---

(٢٨) حياة جوته الوثائقية دار نشر معهد البيبلوغرافيا لايبزك ١٩٦٠ صفحة ٥١٢.

(٢٩) نفس المصدر صفحة ٥٢٤.

Twitter: @abdullah_1395

بعض الملاحظات في دفتره اليومي وجاء في احدى هذه الملاحظات: «عندما عدت من رحلتي إلى ايطاليا وقمت بانجاز اكمونت، خطر لي اثناء قراءتي الصحف بأن المشاهد تتكرر الآن في بروكسل مما يعزز الشعور المسبق للأحداث».

إن هذا يدل على أن جوته كان يصور الناس في القرن السادس عشر وكأنه يعني بهم الناس في عصره.

لم يكن اكمونت من الناحية التاريخية يتصدر فئة الثوريين البرجوازيين في هولندا بل كان مجرد بطل ينتمي إلى الاقطاع الهولندي إذ كانت مصالحه تتعرض للخطر من جانب الاحتلال الاسباني ولذلك كانت مصالحه تتفق مع مصالح البرجوازية الهولندية.

كان موقف اكمونت من الناحية التاريخية ازاء الكفاح التحرري لشعب الاراضي المنخفضة متأرجحاً وقلقاً، فقد كان يتصرف منطلقاً من مصلحته الاقطاعية وكان يعامل الفلاحين وكأنه حاكم اسباني كما ظل اكمونت متمسكاً بالكاثوليكية على غرار الحكام ولم يؤيد البروتستانتية التي كانت تتسم بطابع تحرري. كما كان اكمونت يتملق البلاط الاسباني، ومن سوء حظه ان البلاط الاسباني لم يكتف بهذا التملق، بل كان يطمح إلى استغلال اكمونت حتى النخاع.

وقد كتب الشاعر شلر حول ذلك في مقاله عن تاريخ اكمونت يقول: «بعد تأسيس عصبة الثوار اندلع مباشرة الهجوم على المحتلين في جميع انحاء الريف فسارع الحكام في بروكسل إلى استخدام العنف لاعادة الهدوء، وكان اكمونت أول من قدم خدماته لهم وساهم في ادانة وتعذيب الثائرين وهم على قيد الحياة كما اضطلع باسكات اصوات البروتستانت ولكن هذه الخدمة الكبيرة التي قدمها اكمونت للبلاط الاسباني جعلته فيما بعد يصبح أحد المتهمين بالخيانة العظمى لأنه ساعد البروتستانت على الاحتفاظ بجزء يسير من امتيازاتهم لأنه لم يكن قادراً على منعهم من ذلك بالقوة»(٣٠).

لقد كان هذا الموقف من اكمونت هو وحده الذي اضفى عليه سمة البطولة من أجل كفاح شعب الأراضي المنخفضة، كما كان موقفه المتأرجح

---

(٣٠) أعمال شلر الكامل، طبعة فلوكس فرلاك، جزء ٤ فايمار صفحة ١٣٢ ـ ١٩٦١.

Twitter: @abdullah_1395

سبباً في مأساته، حيث كان الاسبان ينظرون إلى العميل بأن تكون عمالته لهم خالية من أي تذبذب وتأرجح.

عندما أرسل الملك فيليب الثاني ملك اسبانيا الجلاد البا إلى بروكسل على رأس جيش للقضاء على المحرضين للثورة واضطرابات البرتستانت، استطاع بعض البروتستانت مثل اورانين الهرب ولكن اكمونت ظل في مقره ولم يعبأ بتحذيرات اورانين فقد كان يعتقد بأنه سيتمكن من القضاء على الثوار ويكسب بذلك رضا وتأييد الحكام الاسبان، كما ان سبب عدم هروبه وبقائه في الجبهة هو تعوده على حياة الترف والبذخ التي كان الاقطاع في القرن السادس عشر يحياها، وقد تراكمت عليه فيما بعد الديون، ولو قدر له الهرب مع اورانين لكان قد خسر اقطاعياته وثروته وجميع امتيازاته ولذلك وقع في فخ الجلاد البا فأمر البا بقطع رأسه في الخامس من حزيران عام ١٥٦٨م.

إن اكمونت لم يكن من الناحية التاريخية بطلاً ولم تنطبق عليه مأساة الثوار الابطال، فقد كان على جوته اختيار بطل آخر غير اكمونت لكتابة مسرحية مأساوية عنه.

لقد قام جوته رغم ذلك بعمل جبار عندما صور لنا الكفاح الذي خاضه شعب الاراضي المنخفضة تصويراً واقعياً يتسم بأبعاد وملامح تقدمية، وقد حافظ جوته على الحقائق التاريخية عندما صور طريقة اكمونت في تهدئة خواطر الثائرين وذلك في الفصل الثاني من المسرحية «إن ما ينقصكم هو الهدوء افعلوا ذلك ان ما قمتم به من آثام وخراب ودمار يكفي لادانتكم، لا تثيروا الملل بعد الآن! انه يمسك بالسلطة والقوة. ان المواطن العادي يعيش بجد وصدق ويتمتع بالحرية في كل مكان وأكثر من حاجته إليها، وحدوا صفوفكم ضد التعاليم الغريبة! ولا تظنوا انكم تستطيعون من خلال التمرد المحافظة على امتيازاتكم!.

امكثوا في بيوتكم ولا تجلبوا الآلام لكم بخروجكم إلى الشوارع..»(٣١).

لم يصنع جوته من اكمونت بطلاً تحررياً، بل وضعه أمامنا على طاولة التشريح ليكشف لنا عدم تأييده للتمرد والثورة على الاحتلال الاسباني

---

(٣١) مؤلفات جوته ٨ أجزاء، الجزء الخامس صفحة ١١٢.

Twitter: @abdullah_1395

بسبب خوفه على تعرض مصالحه للخطر. وقد وجه شلر بعض النقد لجوته لبعض فصول المسرحية، إذ جعل جوته من بطله في بعض المواقف انسانياً أكثر من الذين عملوا معه وذلك ليكسب من خلال ذلك عطف المشاهدين والقراء عليه بالذات (أي جوته).

ان شخصية اكمونت التاريخية لم تكن شخصية ثورية أو مأساوية، كما أن سبب انهياره هو الحاجة المادية، فقد استطاع جوته رغم ذلك وببراعته تحويل هذه الشخصية إلى شخصية مسرحية تستحوذ على مشاعر المشاهدين. فمثلاً عندما يزور فرديناند اكمونت في السجن يندهش من مشاعر اكمونت الذي يخاطبه قائلاً: «انني سأموت من أجل الحرية التي عشت من أجلها واتعذب الآن من أجلها أيضاً»(٣٢).

وكان اكمونت يتذكر وهو في السجن تضحية كليرشن وانتحارها وقد وجد فيها أفضل انسان سخط على الاستعباد.

ويدرك اكمونت قبل تنفيذ الحكم عليه بأن الشعب سينتصر في النهاية ضد الاحتلال الاسباني حيث يقول قبل ان يقتادوه إلى المقصلة: «وكما تجرف مياه البحر السدود سيحطم الشعب العبودية بفعل ما اقترفته اياديكم من الاثم..»(٣٣).

إن هدف جوته الرئيسي في هذه المسرحية لم يكن تصوير الكفاح التحرري لشعب الأراضي المنخفضة فحسب، بل تصوير خواص وأخلاق وسمات اكمونت النادرة والتي انعكست في الحكايات التاريخية التي يرويها الناس. كما ان عظمة اكمونت وشجاعته وجرأته النادرة هي التي شدت جوته إلى الموضوع وجعلته لا يتقيد بالمعلومات والتفاصيل التي دونها التاريخ عن اكمونت.

لقد جسد جوته في مسرحية اكمونت روح الشباب والوثبة الجريئة للرجل الفارس الشجاع وموهبته في اجتذاب الناس اليه وعدم تحمسه لمصادقة النبيلات ولكنه يحب بحرارة فتاة بسيطة من اوساط الشعب، وكذلك قدرته على تقمص شخصية رسمية موهوبة وقابليته في كسب خصومه إلى جانبه، فهذه الصفات جميعها هي التي بعثت الاعجاب في

---

(٣٢) نفس المصدر صفحة ١١٧.
(٣٣) نفس المصدر صفحة ١٢٢.

Twitter: @abdullah_1395

نفس جوته لتجسيدها في المسرحية وقد أهمل جوته الجوانب الثانوية في شخصية اكمونت.

نشر جوته المسرحية قبل عام من اندلاع الثورة الفرنسية. وقد صور جوته كليرشن خير تصوير لفتاة منحدرة من أوساط الشعب وتناضل ضد الاحتلال الاسباني وتضحي بحياتها في سبيل مبادئها السامية رغم أن هذا النضال اتسم بطابع سلبي إذ أن انتحارها دليل على سلبية الناس حينذاك. لقد عكس لنا جوته في هذا التصوير الوضع السيىء في ألمانيا ويأس الناس في حدوث أي تغيير في الأوضاع الاجتماعية والسياسية.

إن شخصية كليرشن تعد أول شخصية ثورية نسائية في الأدب الألماني، كما أن شخصيتها تعكس لنا لأول مرة جرأة المرأة حينذاك في اختيار زوجها بنفسها ونبذها تقاليد المجتمع الاقطاعي حينذاك.

أما شخصية اورانين فتبدو لنا على النقيض من شخصية اكمونت، فهو سياسي واقعي يستطيع أن ينفذ ببصيرته الثاقبة إلى خفايا الامور وأسرار الحكم الاسباني وطبيعته. وهو إلى جانب ذلك دبلوماسي بارع ويتفوق على اكمونت في هذه المجالات. وكان قد أعد خطة على غرار ما فعله شعب الأراضي المنخفضة لمجابهة المعركة في النهاية، وقد اضطرت اثناء ذلك الوصية ماركيتا فون بارما إلى الاستقالة تحت تأثير الضغوط والدسائس التي حاكها ضدها الجلاد البا إلا أن المصادر التاريخية تقول ان البا ومن جاء بعده فشلوا في ذلك ولكن ماركريتا كانت أول من اضطر إلى الاستقالة بعد فشل المساعي لايقاف المد الثوري للجماهير الغاضبة. كما ان المشاهد التي يبدو فيها الشعب خائفاً من البطش تكشف لنا بوضوح أخلاق الجلاد البا.

إن الصورة الوحيدة الجيدة عن الاسبان تنعكس في موقف فرديناند ابن ألبا الذي ينضم إلى صفوف المعارضة بكل عواطفه. لقد استخدم جوته في مسرحية اكمونت الاسلوب النثري كما هو في مسرحية كوتس حيث جاءت اللغة في كلا المسرحيتين ملائمة لجميع طبقات الشعب. وثمة اختلاف واضح في مسرحية اكمونت لاسيما في اللغة التي استخدمتها كليرشن فقد كانت أقرب إلى لغة العوام وكانت تختلف عن لغة الطبقة

Twitter: @abdullah_1395

البرجوازية، أي لغة اكمونت نفسه.

لقد عبر جوته في هذه المسرحية عن تعاطفه مع الشعب الثائر ضد الاحتلال الاجنبي، ولا عجب أن ينسحب بعض المسئولين الكبار في فايمار أثناء عرض المسرحية في مسرح المدينة. وقد انتقدت فراو فون شتاين شخصية كليرشن أثناء الحديث الذي تبادلته مع جوته حول المسرحية وقد كتب لها من ايطاليا فيما بعد قائلاً: «إن ما تقولينه عن كليرشن لم أفهمه على الاطلاق.. انني أرى بأنه ينقصك التمييز الدقيق بين المومس والقديسة..»(٣٤).

عندما استلم جوته مسرح فايمار عام ١٧٩١ لم يتحمس البلاط إلى عرض مسرحية اكمونت وقد بادر شلر إلى اجراء تغييرات في بعض محتواها وقد أيد جوته هذا التعديل بتحفظ. وقد اختفى في هذا التعديل حديث ماركريتا مع ماخيافيل حول حكم الشعب، إلا أن هذا التعديل لم يستمر طويلاً أثناء عرض المسرحية على خشبة مسرح فايمار فقد كان ضرورياً اعادة النظر في محتواها الطبيعي وصياغتها الحقيقية والمحافظة على النص الأصلي وأن تعرض بأسلوبها الذي كتبت فيه ولذلك ظلت المسرحية تنتزع اعجاب المشاهدين في كل مكان وحتى يومنا هذا.

---

(٣٤) حياة جوته الوثائقية صفحة ٢٤٦.

Twitter: @abdullah_1395

٥ ـ مسرحية أفيكينيا في تاورس:

تعد الحكاية أو الأسطورة اليونانية القديمة التي تتألف من الملك أكا ممنون والملكة كليمنسترا وأبنائهما اوريست وافيكينيا والكترا، من المواضيع التي شحذت أقلام كتاب المسرح التراجيدي في اليونان القديمة أمثال اسخيلوس وسوفوكلس وايروبيدس.

وعندما أيقظت الحركة الإنسانية في اوروبا الاهتمامات التي تتناول تصوير تاريخ الاغريق، طرق كُتاب من مختلف الدول هذا الموضع بعد فترة ركود دامت الفي عام.

ومن هؤلاء الكتاب الذين عالجوا هذا الموضوع في فرنسا، راسين وفي المانيا هانس ساكس. كما طرق هذا الموضوع كُتاب العصر الحالي منهم الكاتب الألماني كيرهارد هوبتمان في مسرحيته «افيكينيا في اوليس».

إلا أن الشاعر الألماني جوته جسد لنا من خلال المغزى الاخلاقي لاسطورة افيكينيا في تاورس الأفكار التي نادت بها المرحلة الكلاسيكية بكل ملامحها وسماتها الإنسانية. وقد وجد جوته موضوع افيكينيا في تاورس في مسرحية للكاتب الاغريقي ايروبيدس، وقد أشار جوته إلى الأسباب التي حملته على اختيار هذه المسرحية وذلك في الفصل الخامس عشر من كتاب «شعر وحقيقة» Dichtung und Wahrheit.

إذ انتقد محاولاته التي اضطلع بها عام ١٧٧٣م لتحويل موضوع بروميتوس إلى عمل مسرحي. وقال: «لقد كانت الشخصيات الجريئة مثل

Twitter: @abdullah_1395

تانتالوس وأكسيون وسيسيفوس موضع تقديس ولكن هؤلاء لم يقبلوا بتصنيفهم إلى مجتمع الالهة بدرجة أقل من مستواهم وأن يبعدوا عن مسرح الأحداث إلى درجة النفي المحزن انني اعطف عليهم، وقد اعترف القدامى بمأساتهم الحقيقية وعندما أصورهم كأعضاء للمعارضة القوية خلف مسرح الأحداث فاني بذلك مدين لجزء من التأثير الذي مارسته هذه المسرحية علي بسعادة تامة(٣٦).

كتب جوته عام ١٧٧٩ النص النثري الأول للمسرحية ثم كتب الفصول الثلاثة الأولى بعد ذلك أثناء الرحلات الرسمية التي قام بها إلى مدينة بينا وأبولدا وبوتشتد ومدينة التشتات لشق الطرق وأعمال البناء حيث كان جوته حينذاك يشغل منصب وزير في دوقية فايمار السكسونية. وانجز جوته الفصل الرابع في ١٩ مارس في منطقة شفالبنشاين في مدينة الميناو. أما الفصل الخامس فقد كتبه جوته في وقت قصير استمر من ١٤ شباط (فبراير) وحتى ٢٨ آذار (مارس) عام ١٧٧٦م. وفي ٦ نيسان (ابريل) عرضت المسرحية في مسرح القصر ومثل جوته بنفسه دور اوريست. وكان اهتمام المشاهدين يتسم بعدم التعاطف كما ذكرت احدى سيدات القصر في رسالة بعثت بها إلى والدة جوته إذ قالت فيها: «لقد كانت البدلة التي كان يرتديها جوته يونانية التصميم ولم أره في حياتي بهذا الجمال»(٣٧).

لقد غير جوته النص النثري عام ١٧٨٠ إلى قافية البامبوس وهو بحر شعري يوناني قديم، ثم عاد عام ١٧٨١ فغير النص مرة ثالثة إلى النثر الخالص. وفي خريف عام ١٧٨٦ حمل معه مسودات المسرحية في رحلته المشهورة إلى ايطاليا وقام هناك باجراء بعض التعديلات عليها إلى أن اكتملت في يناير عام ١٧٨٧.

وتتلخص المسرحية بأن قائد اسطول اليونان هو والد افيكينيا ويحارب ضد طروادة فيضحي بابنته لمصالحة آلهة ارتيمس ديانا واخت ابول. وفي اثناء تقديم التضحية يبادر ارتيمس لانقاذها ويرحل معها إلى تاورس وتصبح هناك راهبة في ارتيمس مملكة تواس ملك سكيتن. وتمر السنون

---

(٣٦) مؤلفات جوته، الجزء الرابع، صفحة ٨٣.
(٣٧) حياة جوته الوثائقية، صفحة ٢٥٠.

Twitter: @abdullah_1395

ويظهر على ساحل تاورس رجال غرباء بينهم اوريست شقيق افيكينيا وكذلك صديقه بيلادس.

وكان اوريستد قد قتل امه كليمنسترا بعد ان قتلت زوجها اكاممنون الذي عاد بعد غياب طويل. وتبدأ الهة الثأر بمطاردتها فيحاول اوريست تنفيذ الأمر الذي أوكله اياه ابول وذلك باحضار صورة ارتيمس من تاورس في اليونان. وينفذ اوريست في اويروبيدس مهمته باتقان. وفي تاورس كانت توجد عادة تقضي بأن يضحي الغريب في معبد ارتيمس وكادت هذه العادة ان تقضي على حياة اوريست وبيلادس. وقد علم الاخوة بذلك واستطاعوا خدع تواس ونقله بالسفينة باعتباره صورة مشابهة لارتيمس ولكن الريح العاتية منعت السفينة من السفر فيعلم تواس بالخدعة ويأمر باحضارهم فتظهر الآلهة اثينا وتأمر بانسحاب اليونانيين.

لقد أعطى جوته للموضوع مساراً آخر، إذ جعل من افيكينيا شخصية ساعدت على الغاء عادة التضحية بحياة الناس. وعندما ترفض افيكينيا طلب الملك تواس بأن تصبح زوجة له، يجري تطبيق هذه العادة من جديد ويصبح اوريست وبيلادس أول ضحية.

وتحاول افيكينيا بروحها الطاهرة ونفسها العفيفة انقاذ اوريست من تصوراته الجنونية. وفي مجلس بيلادس يقرر اليونانيون الهرب ولكنها لا تستطيع انقاذ هذا الرجل الذي ضمن لها اللجوء والأمان لعدة سنوات. وقد انكشفت له الخطة التي أعدتها للهرب مستغلة حسن نواياه، واستطاعت افيكينيا ارغام الملك على الخجل والتصرف بسماحة واسعة عندما قالت له: «أفسدنا إذا شئت ذلك..»(٣٨).

ويعاني تناس صراعاً داخلياً مريراً للتغلب على أي شعور بالثأر، ويعلن مصالحته ثم يسير في طريق الوداع.

ان تأثير افيكينيا الكبير على الناس الآخرين يكمن في اصالة الاخلاق التي تتحلى بها، ففي المسرحية تقود افيكينيا اليونانيين والطروادين إلى عصر جديد ومستقبل أفضل.

---

(٣٨) مؤلفات جوته، صفحة ٨٥.

Twitter: @abdullah_1395

إن الأخلاق الكريمة والأصيلة تنعكس أيضاً في الأفكار الإنسانية التي عبرت عنها مسرحية «نأتان الحكيم» للكاتب لسنك التي جسدت لنا التسامح الديني وطهارة القلب، وقد عكست لنا افيكينيا هذه النقاوة في مطلبها الذي قدمته وقالت فيه: «ان الحقيقة هي التي تحكم بيننا»(٣٩).

وفي حديث لجوته مع سكرتيره أكرمان في ١ / ٤ / ١٨٢٧م تحدث عن نشوء الأخلاق في العالم وأجاب على ذلك بقوله: «إن الأخلاق ليست من نتاج التفكير الإنساني بقدر ما هي طبيعة مكتسبة مع ولادة الإنسان»(٤٠).

لقد مارست افيكينيا بطبيعتها النقية وخلقها السامي تأثيراً كبيراً على سكان طروادة وقد ساعد ذلك على ايقاف موجة تضحية الناس بحياتهم من أجل الآلهة، وعندما رفضت افيكينيا الزواج من تواس فإنها تصرفت بحرية من أجل التكفير عن ابناء جنسها ولكنها في نفس الوقت اضعفت تأثيرها الطيب على عادات سكان تاورس فتقع في صراع ازدواجي ولكنها في نهاية الأمر تجد أخاها وتقرر انقاذه، ويصل الصراع هنا إلى قمة ذروته وذلك عندما تنصاع لنصيحة بيلادس وترافق الملك.

ان حل العقدة يتم في اللحظة التي تقرر فيها افيكينيا تأييد الاتجاه الاخلاقي وهو الصراع الذي يسري على جميع شخصيات الرواية من أجل تقرير الاتجاه الذي ينبغي تأييده.

ان مفهوم الاغريق عن القدر الذي يحدد ملامح الانسان اللاارادي ويؤدي به إلى التعاسة واقتراف الذنب ـ في المسرحية يتحدد القدر لأهالي تانتالوس من خلال هرب الآلهة ـ يتم حله بقناعة الإله بأن الإنسان يستطيع بمفرده ان يقرر بين اختيار الخير أو الشر وهو الذي يتحمل المسئولية الأخلاقية عن عمله.

كان جوته في السنوات التي كتب فيها مسرحية افيكينيا يشعر بتأثير النساء الرقيقات من صديقاته وأقربائه عليه. ونشير هنا إلى تأثير شقيقته كارولينا وإلى اوكوستا فون شتولبيرك وكذلك شارلوته فون شتاين زوجة ضابط القصر التي اثرت عليه تأثيراً كبيراً بمشاعرها الرقيقة

---

(٣٩) مؤلفات جوته، صفة ٨٦.
(٤٠) اكرمان: أحاديث مع جوته، صفحة ٢٧٥، الجزء الأول.

Twitter: @abdullah_1395

وأحاسيسها الصادقة.

إن اضفاء الطابع الانساني الرقيق على شخصية افيكينيا مصدره التجارب الواقعية التي اكتسبها جوته من خلال علاقاته مع النساء سواء مع افراد عائلته أو مع حلقات أصدقائه في مدينة فايمار التي عاش فيها حتى وفاته.

إن مسرحية افيكينيا هي من افرازات مرحلة معينة من تطور البرجوازية وايدلوجيتها في المانيا. كما ان افيكينيا تعكس الطريق الوحيد للتقدم وهو طريق انتصار الخير والمثل العليا من خلال القوة الكامنة في الإنسان.

ويستعرض لنا جوته فكرة قيام عالم متآخٍ ومنسجم من خلال التطبيق السليم للأخلاق العالية للمسئولين الكبار ومنْ خلال العمل الثوري الخلاق للجماهير.

كان جوته يدرك الطابع الطوباوي لهذه الأفكار، ولم تؤكد على ذلك الكلمات التي قالها بيلادس فحسب: «لقد صنت نفسك حقاً بالمعبد»(٤١)، بل كذلك الرسالة التي بعث بها جوته إلى فراو فون شتاين عام ١٧٧٩م من مدينة ابولدا إذ صور فيها مشاهداته لحالة العاطلين من عمال النسيج في تلك البلدة وقال: «هنا لا تريد المسرحية أن تسير إلى الأمام. ياللعنة ... ان الملك في تاورس ينبغي ان يتكلم كما لو لم يكن في ابولدا أي عامل نسيج جائع..»(٤٢).

لقد حافظ جوته في المسرحية على وحدة الموضوع والزمان والمكان تمشياً مع النمط الاغريقي للتراجيديا، ولكنه لم يفعل ذلك انسجاماً مع المبدأ الذي سار عليه الاغريق، لأن موضوع المسرحية يتطلب التقيد الشديد بالبناء المسرحي الكلاسيكي للتراجيديا.

وتكمن روعة أشعار جوته في الانسجام بين المحتوى والشكل للمسرحية، كما ان دقة ووضوح المسرحية يكمنان في قلة عدد الأبطال. ان اوريست وبيلادس يشكلان مجموعة موحدة، أما تواس وأركاس فهما المجموعة الثانية، وتقف افيكينيا لوحدها بينهما.

---

(٤١) مؤلفات جوته، صحة ٨٨.
(٤٢) حياة جوته الوثائقية. الجزء الثاني صفحة ٣٠١.

Twitter: @abdullah_1395

أما بيلادس واركاس فهما مجموعة ثانوية ولكنهما شيختان مهمتان في دفع عجلة الأحداث إلى الأمام. وعندما يتسنى لافيكينيا انهاء الخصومات بين هؤلاء يندمج الجميع في وحدة متماسكة.

وفيما يتعلق باليونانيين والطروادين فقد أشار إلى ذلك جوته في مقالة بعنوان «شكسبير بدون نهاية» إذ تناول وصف شكسبير للرومان بقوله: «يقال ان شكسبير وصف الرومان بدقة أما أنا فلم المس ذلك إذ انهم مجرد انكليز في الصميم ولكنهم بشر في الأساس يلائمهم الثوب الروماني»(٤٣).

إن اليونانيين والطروادين في مسرحية افيكينيا يمثلون الطبقة البرجوازية وأفكارها التي كانت سائدة في عصره، كما ان المسرحية تعد نموذجاً لمسرحية لسنك «ناتان الحكيم» التي جسد لنا فيها التسامح الديني ونبذ التعصب.

إن مقدمة المسرحية تشمل الفصل الأول والمشهد الأول من الفصل الثاني. ثم نتعرف على الوسط الاجتماعي وبقية الشخصيات وتبدأ العقدة في التطور ثم يظهر لنا انهيار اوريست إذ يسيطر عليه جنون الموت الذي لا يمكن تفاديه، ثم يبدأ الموضوع في التصاعد حتى شفاء اوريست من تصوراته الجنونية.

لقد وصف جوته هذا المشهد بأنه محور المسرحية. وتبدأ افيكينيا بمقاومة الصراعات الداخلية التي تنتابها .. فهل تخضع لمشيئة تواس وتتزوجه أو تقتفي اثر الملك وتتبعه؟ وتبدو لنا بأنها عاجزة عن القيام بهاتين المهمتين.

ومن خلال اغنية البارسن التي تنشدها افيكينيا تستعرض لنا فيها عادة ابناء بلدها والمأساة التي يتعرض لها الناس بسبب الانتحار وقتل النفس الانسانية. ويبعث جوته في نفس القارىء شعوراً بأن النهاية ستكون مأساوية، إلا أنها تنتهي بالمصالحة.

لقد استخدم جوته في المسرحية أساليب درامية وملحمية وشعرية. وقد لعب الحوار دوراً كبيراً عندما يطلق الاشخاص في المسرحية العنان

---

(٤٣) مؤلفات جوته، الجزء الرابع، صفحة ١٥٠.

Twitter: @abdullah_1395

لشعورهم الداخلي بسرد الأحداث التي وقعت ويتطلب ذلك احياناً عرضاً مقتضباً، كما توجد أحاديث موسعة درامية لاسيما عندما تتحدث افيكينيا عن منحدرها العائلي وكذلك حديث اوريست عن الأحداث التي وقعت في وطنه.

أما صلوات افيكينيا وتعبيرها عن الفرح العارم فهي قفزة شعرية تبلورت في تعرفها على أخيها. ورغم ان جوته أراد تجسيد روح الشعب الألماني حينذاك ومعاناته، فإنه اضطر ازاء الوضع الذي كان سائداً في القرن الثامن عشر إلى التخلي عن آماله التي عقدها على الجماهير ولم يكن يأمل مساعدة هؤلاء من خلال بناء مسرح وطني في المانيا، بل مساعدتهم بصورة مباشرة وازالة البؤس الاقتصادي عنهم.

لقد عرضت المسرحية عام ١٨٠٣ بعد ان ادرجت مسرحيات الموسم لذلك العام وهرع الممثلون للقيام بدوْر افيكينيا واوريست، إلا أن جوته كان ينظر أبعد من ذلك، ففي ٢٧ آذار (مارس) عام ١٨٢٥ قال جوته لسكرتيره اكرمان: «هنا في فايمار منحوني الشرف لأن أقدم افيكينيا وتاسو على المسرح وقد شعر الجمهور بالسأم وراودني شعور بضرورة بناء مسرح الماني وأن أساهم بنفسي في بناء هذا المسرح ووضع لبناته الأولى، وعندما كتبت افيكينيا وتاسو خامرني أمل طفولي بأنه يمكن ان تسير الأمور على هذا النحو، ولكن لم يحدث أي تغيير وظل كل شيء كما كان في الماضي»(٤٤).

وليس مصادفة ان تعرض مسرحية افيكينيا ويقرؤها الناس إلى جانب عرض وقراءة مسرحية ناتان الحكيم للكاتب لسنك وكذلك اوبرا «الناي السحري» لموزارت بعد انهيار النظام النازي في المانيا في الثامن من مارس (آيار) عام ١٩٤٥م وذلك لما تتسم به هذه المسرحيات من مشاعر انسانية صادقة.

---

(٤٤) ارمان: أحاديث مع جوته، الجزء الأول صفحة ٢٧٨.

Twitter: @abdullah_1395

٦ـ مسرحية توركواتو تاسو:

من بين الكتب التي قرأها كوته في مكتبة والده كتاب «القدس المحررة» لتاسو ترجمة يوهان فريدريش كوب عام ١٧٤٤.

وأشار كوته في كتابه «شعر وحقيقة» وفي روايته «سنوات تلمذة وليم مايستر» إلى الأثر الذي تركه هذا العمل الشعري عليه. وكانت الترجمة عبارة عن مقدمة وخلاصة عن حياة تاسو بقلم مانسو وصدر عام ١٦١٩.

وكانت هذه السيرة الذاتية تفتقر إلى الأسلوب العلمي حيث جعل منها كوته مصدره الوحيد لكتابة مسرحية تاسو. وقد صدر الجزء العاشر لطبعة فينيسيا عن تاسو الذي دون فيه لودفيكو انتونيو موراتوري مصير تاسو وكان لودفيكو يعمل اميناً لمكتبة دوق مودينا.

وتتحدث مذكرات كوته لأول مرة عن تاسو في ٣٠ آذار (مارس) عام ١٧٨٠. وفي ١٤ اكتوبر بدأ كوته العمل في المسرحية وأنجز كوته الفصل الأول في ١٢ نوفمبر عام ١٧٨٠ ثم واصل العمل في المسرحية في آب (اغسطس) عام ١٧٨١م وتوقف عن الكتابة حتى رحلته إلى ايطاليا.

وفي ايطاليا عثر كوته على كتاب يضم وصفاً مسهباً عن حياة تاسو تأليف سيراسي وذلك عام ١٧٨٥م وتعرف كوته بنفسه على الكاتب وزوده الأخير بمعلومات غزيرة عن حياة تاسو.

وأثناء وجود كوته في ايطاليا في بداية الشتاء من رحلته عكف كوته

Twitter: @abdullah_1395

على انجاز مسرحية افيكينيا وفي شهر تموز (يوليو) انجز كوته مسرحية تاسو وكان ذلك في عام ١٧٨٩. وقد أكدت الرسائل التي بعث بها إلى فراو فون شتاين من ايطاليا معاناته من الانهاك والصعوبات التي اعترضته أثناء تأليف مسرحية تاسو. وفي حديث لكوته مع سكرتيره اكرمان عن تاسو قال:

«إن حياة تاسو هي جزء من حياتي كما ان حياة القصر والبلاط في فايمار تشبه حياة تاسو في فريرا، واستطيع القول بأن ساق تاسو هي ساقي ولحمه هو لحمي»(٤٥).

ولد تاسو في ١١ آذار (مارس) عام ١٥٤٤ في مدينة سورينت واسم والده برناردو تاسو وينتمي إلى عائلة نبيلة النسب وقد اشتهر كشاعر بارع وعمل منذ عام ١٥٣٢ سكرتيراً لنبيل ساليرنو وفي عام ١٥٥٠ نفي من مملكة نابولي لتعاطفه مع الفرنسيين، ومكثت أمه في نابولي مع ابنتها كورنيليا ولم يسمح لهما بمرافقته وتوفيت بعد مدة من ألم الفراق..

كان توركواتو قد تربى على أيدي اليسوعيين وقدم إلى روما عام ١٥٥٤م وعاش متنقلاً بين اوربينو وفينيسيا وبادوا وبولونا ودرس في جامعات هذه المدن القانون والفلسفة والرياضيات. وعندما كان عمره ١٧ عاماً نشر أول عمل شعري له بعنوان «رينالدو».

وفي عام ١٥٦٥ لبى دعوة الكاردينال لويكي دي است وكان توركواتوقد أهدى له ديوانه وكتب اسمه عليه. وسافر توركواتو إلى فيريرا وأثناء وصوله إلى فيريرا كان القصر يحتفل بزواج الدوق من الدوقة باربارا النمساوية وقد طلب شقيق الكاردينال من تاسو أن يعمل في خدمته وكان ذلك عام ١٥٧٢.

وامتدح تاسو في أشعاره شقيقتي الدوق وهما لوسيرسيا الفتاة المرحة، والينورة المنطوية على نفسها. وفي عام ١٥٦٥م بدأ بتأليف ملحمته «القدس المحررة» وانتهى منها عام ١٥٧٥ وفي هذا العام كتب تاسو للدوق موضوعاً بعنوان «معالجات حول فن الشعر» كما نشر مسرحية عن الرعاة بعنوان «مينتا»، وذلك عام ١٥٧٣.

---

(٤٥) نفس المصدر السابق، صفحة ٢٩٥.

Twitter: @abdullah_1395

كان يوجد في القصر وزير للدوق يدعى انتونيو مونتكاسينو يعمل في القصر منذ عام ١٥٧٥ وقد توطدت الصداقة بين تاسو وهذا الوزير إلا ان الوزير اضحى خصماً عنيداً لتاسو بعد مدة قصيرة بسبب الحسد والغيرة. وقد أدى الشغب الذي مارسه هذا الوزير وكذلك الكراهية والتقولات ضد تاسو إلى الانهيار النفسي لتاسو فأصدر الدوق في ١٧ حزيران (يونيه) عام ١٥٧٧ امراً بحجز تاسو في منزله بسبب طعنه احد الخدم بالخنجر إذ ظن تاسو بأن هذا الخادم هو أحد جواسيس محاكم التفتيش. وقد هرب تاسو مرتين من الاعتقال وعاد القصر عام ١٥٧٩ وعندما لم يجد من الحاشية والكاردينال أية رغبة في اعادته إلى عمله، انهار تاسو وسقط امام القصر وهو يلعن الدوق والقصر وأمر الدوق بارساله إلى مستشفى الفقراء للأمراض العقلية. ثم يخرج تاسو من المستشفى عام ١٥٨٦م وكان ديوانه «القدس المحررة» قد صدر في عدة طبعات دون ان يحصل على أي تعويض مادي.

وبعد سنوات من التجوال المنهك يتم تتويجه في الكابيتول كأفضل شاعر في روما، وبعد سنوات قليلة أي في عام ١٥٩٥م أصيب بنكسة مرضية أودت بحياته فدفن في روما.

هذا هو المضمون التاريخي لقصة تاسو، اما المحتوى الذي جسده لنا كوته في المسرحية فيتلخص في ان تاسو قد انتهى لتوه من كتابه الملحمي القدس المحررة وأهداه إلى دوق فيريرا الفونس وطلب الدوق من شقيقته ليونورة ان تضع على رأس تاسو اكليلاً من الزهور تكريماً له .. وهنا يدخل انطونيو وزير الدوق الذي عاد لتوه من روما، وعندما رأى الشاعر وهو يختال مزهواً بالأكليل يسخر من سهولة حصول تاسو على الاكليل ويلوم الدوق بسبب عدم تقديره لكبار الشعراء أمثال فرجيل واريوست.

وتحاول الأميرة حث تاسو على كسب صداقة الخصم إلا أن محاولاتها تبوء بالفشل فينحدر تاسو إلى هوة الانهيار وعندما رأى تاسو الدوق يقف أمامه يسحب عليه السيف ولكن الدوق يباغته وفي نهاية الأمر يرأف به الدوق ويطلب عدم معاقبته بشدة، وينتقد الدوق وزيره انطونيو لأنه توانى عن معالجة تهور تاسو وثورته العاطفية بحكمة، وطلب الدوق من

Twitter: @abdullah_1395

تاسو ان يعيد السيف إلى غمده كما طلب منه ان يعتذر من الذين اهانهم، ولكن تاسو يشعر بالاهانة ويطلب من الدوق ان يسمح له بمغادرة فيريرا ويهرع تاسو إلى الاميرة وبدلا من ان يودعها يبثها لواعج حبه فلم تعره اهتماما ويرفضه القصر ولم يجد من يساعده سوى انطونيو الذي يتسم بالحكمة ويتحلى بالتعقل وكان إلى وقت قريب يظنه خصمه اللدود ولمنه الآن يجد فيه المنقذ الوحيد لمشكلته.

إن كوته يصور لنا في مسرحية تاسو حياته الشعرية والأدبية في بلاط فايمار كما يصور لنا الأسباب التي حملته على الهرب إلى ايطاليا والتي هي نفس الاسباب التي حملت تاسو على ترك القصر والخدمة لدى الدوق. ان مسرحية تاسو هي صورة حقيقية لما كان يعانيه كوته من كوامن نفسية، كما يصور كوته وضعه كشاعر في دوقية فايمار لدى الدوق اوكست وكيف يصطدم برواسب التقاليد الاقطاعية.

ان تاسو في مسرحية كوته هو نموذج للانسان الخلاق الذي اضطرته الظروف ان يعيش في بلاد فيريرا (فايمار) لكي يستطيع تطوير قابلياته وتنمية مواهبه الأدبية بصورة أفضل بعيداً عن الناس، وهو انسان لا ينتمي إلى مجتمع القصر، بل مجرد يتيم بائس يعيش على رحمة سيده، وبما ان تاسو كان يدرك بوعي قيمته الأدبية، لا سيما وأنه انتهى من تأليف ملحمته، فإنه يعلم بأن حبه للأميرة امر صعب المنال فينهار في هاوية الصراع الفكري والنفسي ويسيطر عليه التوتر العصبي فيتحاشى رجال القصر ويفقد الثقة بهم ويتصور بأنهم هجموا على غرفته لدس السم في الطعام أو طعنه بالخنجر أو مراقبة تصرفاته والاطلاع على الرسائل التي ترده وقد كانت هذه الوساوس أرضاً خصبة للشك بالآخرين، إلا أنه لم يفقد الشعور الحقيقي بمواصلة الكفاح من أجل تحقيق المثل الانسانية والمساواة الاجتماعية داخل البلاط.

وليس مستغرباً ان يحلم بمجتمع يتساوى فيه الناس في الحقوق ويعيشون فيه احراراً وتسودهم الاخوة والمحبة. وهنا تخاطبه الأميرة قائلة: «ياصديقي ان العصر الذهبي قد ولى إلى غير رجعة»(٤٦).

---

(٤٦) مؤلفات كوته، الجزء الخامس، صفحة ٧٢.

Twitter: @abdullah_1395

ويشعر تاسو بأنه يعيش في قفص من ذهب لأنه لا يستطيع التصرف بحرية بل إلا بما يسمح به الذوق الخاص للقصر والحاشية. كما عبر كوته في المسرحية عن طموحه للحرية وذلك بهروبه إلى ايطاليا مما يدل على عدم رضاه عن النظام الاقطاعي في دوقية فايمار في المانيا والتي كان يعمل فيها لدى الدوق كارل اوكست.

وتنصح الاميرة تاسو بضرورة التحلي بالصبر والتخلي عن امنياته ورغباته وهذا يعني الاقتناع بالوضع القائم في القصر وأن يصبح مثل انطونيو لبقاً ويعرف كيف يدخل في كواليس القصر بمحض اختياره.

إن الصراع الذي عاناه كوته بعد عودته من ايطاليا وشعور الوحدة الذي كان يعاني منه تؤكد لنا الصراع الداخلي الذي عاناه تاسو في القصر والذي أدى به إلى الانهيار التام.

لقد عانى تاسو صراعاً مستمراً منذ ان دخل انطونيو في خدمة القصر فقد كان انطونيو يتصرف بحقد وغيرة وحسد مكشوف ازاء التقدير الذي حظي به تاسو من الدوق، وكان انطونيو يعتبر نفسه أكثر كفاءة من تاسو فهو رجل بارع في الدبلوماسية والسياسة لذا ينبغي ان يحظى بما يحظى به تاسو من احترام وتقدير كبيرين. وهل يا ترى الشعر أفضل من الدبلوماسية؟

لقد كان انطونيو ينطلق من غيرته من تاسو عندما يعقد مع نفسه هذه المقارنات. لقد عبر كوته هنا عن مأساته في فايمار وأشار إلى الحساد الذي كانوا ينتشرون في قصر الدوق اوكست في فايمار، كما عكس كوته في مأساة تاسو مأساته هو نفسه وما يعانيه من صراع داخلي ظل يقلقه لسنوات طويلة.

وعندما يسخر انطونيو من تاسو يجيب تاسو على هذه السخرية بعبارات حادة وملتهبة تعبر عن الألم الذي كان يعانيه من خصومة انطونيو وعدم تفهم الحاشية في القصر لآرائه الأمر الذي بعث في نفسه الشك ازاء الجميع وكان يشعر بأن الحاشية تخدعه وتراقبه في تصرفاته فيصاب بالوهم وينحدر إلى الانهيار العصبي، ويتقدم إلى الأميرة اليونورة لتقبيلها فتصده عنها وهذا يفسر لنا الحب الذي كان كوته يكنه

Twitter: @abdullah_1395

لفراو فون شـتاين ومحاولته التغلـب على هذا الحب وذلك بالسفر إلى ايطاليا. إن عواطف تاسو ازاء الأميرة تشكل الطابع الإنساني الوحيد الذي اتسمت به حـياته في القصـر. وقد انعكس حب تاسو للحـرية في الحديث الذي جرى بينه وبين الأمـيرة ليونورة سـانفيتـالة والتي كانت تطمح لأن يخلدها تاسـو في شعـره وتقـول الأميـرة في الفـصل الرابع من المشهـد الثاني: «اريد أن أكون حرة في تفكيري وشعري ويكفي ما نعانيه من قيود في تصرفاتنا»(٤٧).

وينصرف تاسو في استعراض قابليـاته التي يتفوق فيها على انطونيو ولكنه لم يجد من انطونيو وحاشية القـصر سوى عدم الاكتراث والاهمال بل والعداء. وكان هذا الـشعور هو نفسه الذي تجـسد في شخصـية كوته عندما عاد من ايطاليا وقد كان احتجاج كوته على تصرفات حاشية القصر في دوقية فـايمار قد انعكس في تخليه عن ادارة مسرح القـصر، وقد كان هذا القـرار دليـلاً على الموقف الجـريء والواعي لكوته واحـتجـاجـاً على معاناته داخل القصر واستطاع من خلال هذا القرار انقاذ نفسه من المصير الذي انحدر إليه تاسو، إذ أن تاسو لم يستطع كظم مشاعره، أما كوته فقد عبر عن احـتجاجه بطريقـة أخرى تختلف عن طريقة تاسـو، ولو لم يفعل كوته ذلك لربما انحدر إلى نفس مصير تاسو المأساوي.

كـان كـوته يدرك ان الكفـاح من أجل نشـر الأفكار الإنسـانيـة يتطلب جهوداً كبيرة وتضحيات أشد وأعظم وقد عبر عن ذلك في حديثه مع لودن في ١٣ ديسمـبر عام ١٨١٣ إذ أشـار فيه إلى أن الوقت لـم يحن بعد لحل المسائل الحياتية للشعب.

تعد مسرحية تاسو مسرحية مـعاناة مثل مسرحية افيكينيا ولذلك تعد مأساة (تراجيـديا) على ان تكون قصة تتحدث عن مـرض تاسو وانهياره النفسي.

وعندما قـرأ كوته في مجلة «كلوب» الفـرنسية نقـداً لمسرحيـة تاسو واعتبـرت المجلة المسرحيـة جزءاً مكملاً لمعاناة فـرتر، وافق كوته على هذا النقد. لقد ركز كوته في المسرحية على ما يعـانيه تاسو من مشاعر نفسية

---

(٤٧) نفس المصدر السابق، صفحة ٨٤.

Twitter: @abdullah_1395

داخل قصر الدوق. وتحتوي المسرحية على آراء جريئة تتناول اهمية ودور الشاعر في المجتمع وكذلك واجبات الحاكم والعلاقات بين المرأة والرجل.

أما لغة المسرحية فقد كتبها كوته شعراً واستخدم قافية «البلانك» وهو بحر شعري يوناني قديم يتسم بالنغم الموسيقي الجميل الأمر الذي اضفى على المسرحية روعة وجمالاً كبيرين.

عندما صدرت المسرحية عام ١٧٩٠ استقبلها النقاد ببرود ووجهوا اللوم إلى كوته لأنه ركز على معاناة تاسو واهمال الموضوع الرئيسي، وقد رفض كوته اجراء أي تعديل على المسرحية. وعرضت المسرحية في ١٦ شباط (فبراير) عام ١٨٠٧ لأول مرة ولاقت نجاحاً منقطع النظير فقد وجد فيها الناس في المانيا خير معبر عن معاناتهم الاجتماعية والسياسية وواقعهم الاقتصادي.

Twitter: @abdullah_1395

الفصل الثاني
جوته والأدب العربي القديم

بعد أن تحدثت عن جوته وأعماله الأدبية المهمة، لابد أن أتطرق في هذا الفصل إلى ناحية مهمة في حياته الأدبية وهي اهتمامه بالأدب العربي القديم.

والمقصود بالأدب العربي القديم المعلقات وألف ليلة وليلة لأنها كانت التراث العربي الوحيد الذي عرفته أوروبا في القرن الثامن عشر. (كلمة أوربا مشتقة من الكلمة البابلية القديمة اروب شمشي، أي غروب الشمس، وقد سميت ابنة ملك الفينقيين اوربا فيما بعد تحريفاً للكلمة البابلية المذكورة).

لقد تعرف الغرب على الشرق أثناء احتلال العرب لاسبانيا في بداية القرن الثامن. ولكن الذين قاموا باحتلال اسبانيا في بداية الأمر كانوا البربر ثم جاء العرب فيما بعد وكان البربر قد انتشروا في ربوع اسبانيا لزراعة السهول ولكن العرب طردوا البربر فيما بعد واستولوا على السهول وسمحوا للبربر بزراعة الجبال، ومن هنا نشأ العداء المزمن للبربر ضد العرب حتى تعاون البربر مع الملكة اليزابيل والملك فرديناند لطرد العرب من اسبانيا، أي ما يؤخذ بالقوة يسترد بالقوة.

كما تعرف الغرب على الشرق عن طريق جنوب فرنسا وفنيسيا إذ تمت هناك ترجمة أول كتاب عن العربية إلى اللغة الايطالية بعنوان «أمراض الخيل»، كما كانت الحروب الصليبية (١٠٩٩ ـ ١٢٧٢م) أفضل عامل

Twitter: @abdullah_1395

لاحتكاك الغرب بالشرق.

إن عصر النهضة في القرن الخامس عشر الذي كان من افرازاته احتلال الأتراك للقسطنطينية، (اسطمبول) عاصمة البيزنطيين في ٢٩ مارس ـ أيار عام ١٤٥٣ الذي أدى إلى هروب رجال الدين والمفكرين إلى ايطاليا وهم يحملون معهم تراث الشرق، وكذلك اكتشاف امريكا ثم دعوة مارتين لوثر الاصلاحية في فتنبيرك بألمانيا عام ١٥٢١م ساعدت كلها على عودة اوروبا إلى المنابع الاغريقية القديمة وازدهار الفنون والعلوم والاطلاع على تراث الشعوب الأخرى ومنها تراث الشعوب الاسلامية الذي يمكن أن نسميه التراث العربي.

لقد شهد عام ١٧٠٤ ظهور أول ترجمة لألف ليلة وليلة وقد ترجمها المستشرق الفرنسي كالان ثم صدرت بعد سنوات ترجمة المانية لها. وقد الهبت هذه القصص الخيالية خيال الكتاب وشحذت قرائحهم لما تتميز به من الوصف الرومانتيكي والخيال الخصب الذي يحمل في طياته تصوير أحوال المجتمع في ذلك الزمان.

ويعود السبب في هذا الوصف الخيالي هو أن مؤلفي تلك القصص كانوا من الجياع والمحرومين من الحب والمال والرفاه الاجتماعي سواء كان مؤلفوها عاشوا في الهند أو في بغداد. وكانت هذه القصص تعكس احلام اليقظة عند هؤلاء المحرومين رغم أنها تحمل بصمات واضحة وحادة من النقد اللاذع لحكام ذلك الزمان بسبب ترفهم الفحاش. والمعروف أن من ينام جائعاً يحلم في الليل وهو يتناول أشهى أنواع الأطعمة. وينصح أساتذة الجامعات في اوروبا الشباب بقراءة هذه القصص لأنها تساعدهم على شحذ القرائح وتنمية مداركهم وتوسيع رقعة خيالهم القصصي. وقال عنها الكاتب الفرنسي ستندال: «إنها تمثل العادات الكريمة والأصيلة عند الإنسان».

لقد تركت هذه القصص تأثيراً كبيراً في نفوس الكُتاب في العالم نذكر منهم، إلى جانب جوته، الكاتب والناقد الألماني فيلاند (١٧٣٣ ـ ١٨١٣) والكاتب وليم هاوف (١٨٠٢ ـ ١٨٢٧) الذي نشر عدة قصص وأساطير على غرار ألف ليلة وليلة كما أنها أثرت على الكاتب النمساوي كرلبارسر

Twitter: @abdullah_1395

(١٧٩١ ـ ١٨٧٢) والكاتب الايطالي كوسي والكاتب الفرنسي فولتير (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) ومونتسكيو والكاتب لاسال والروائي الانجليزي ديكنز (١٨١٢ ـ ١٨٧٠) والروائية الأمريكية هاريت بشر ستاو.

واضحت ألف ليلة وليلة نوعاً من الموضة الأدبية في عصر التنوير في القرن الثامن عشر إذ تعلم الكاتب الألماني فنكلمان (١٧١٧ ـ ١٧٦٨) اللغة العربية في ايطاليا لكي يستطيع قراءتها في لغتها الأصلية، كما ان اكثر الكتاب الألمان الذين تأثروا بها هو الكاتب يوهان فولفكانك جوته.

كان جوته مولعاً بالشرق منذ صغره، إذ كانت جدته تقص عليه حكايات ألف ليلة وليلة قبل أن ينام في الليل، وعندما سافر إلى لايبزك عام ١٧٦٥ للدراسة عثر على ترجمة المانية لها وانكب على قراءتها، وقد حفزته هذه القصص على تعلم اللغة العربية والاطلاع على اشعار المعلقات فيما بعد. لقد انعكس تأثير ألف ليلة وليلة على جوته في روايته العاطفية «آلام فرتر» Die Ieiden des Jungen Werther وجاء في الرسالة المؤرخة في ٢٦ تموز (يوليو) في زواية فرتر ما يلي: «كانت جدتي تحدثني عن الجبل المغنط وكيف تتفكك السفن التي يشتد دنوها منه ويتطاير حديدها فيسقط ملاحوها في البحر بين الألواح المتداعية»(٤٨).

وهذه الحكاية الخيالية هي من ترجمة المستشرق الفرنسي كالان فهي الحكاية الثالثة من حكايات ألف ليلة وليلة بعنوان «ابن الملك».

وتحدث جوته في مذكراته بعنوان «شعر وحقيقة» Dichtung und Wahrheit في الكتاب الثاني منه قائلاً: «إن والدتي كانت تقص علي أساطير وحكايات مشهورة وكانت تعلمني الأمثلة والحكم المأثورة وأقوم بعد ذلك بنفسي بحبك أساطير جديدة على غرارها، وكنت أشعر بالسعادة عندما كانت أمي تروي هذه القصص والاساطير والحكايات»(٤٩).

كما أشار جوته في الكتاب العاشر من شعر وحقيقة قائلاً: «لقد أضفت عليَّ والدتي جواً من السعادة عندما كانت تطلب مني أن أروي للأطفال بعض الأساطير والحكايات وكانت الحكاية الخالية من الأحداث والانفعالات والمفاجآت تمتاز رغم ذلك بالجاذبية والمشوقة رغم فقر

---

(٤٨) مؤلفات جوته الجزء الثالث، صفحة ١٨٩.
(٤٩) نفس المصدر السابقة، الجزء الثامن، صفحة ٥٥.

Twitter: @abdullah_1395

مضمونها، ولكني كنت أبتكر حكباً جديداً للصور والتخيلات، الذي كان يكلفني جهداً كبيراً، أصبح الأطفال يحبونني وأصبحت في نظر الكبار مرموقاً أيضاً»(٥٠).

وكتب جوته إلى صديقته كتشن شونكوبف في ٣٠ ديسمبر ١٧٦٨ قائلاً: «انني ارسم كثيراً واكتب الاساطير وانني سعيد بذلك».(٥١).

وكتب جوته إلى صديقه كارل لودفك كنيبل (١٧٤٤ ـ ١٨٣٤م) وهو شاعر وناقد أدبي، رسالة في ٢١ نوفمبر عام ١٧٨٢ قال فيها: «انني أكتب في اجمل ساعات فراغي الاساطير وقد عودني ذلك على سردها للآخرين»(٥٢).

كما كتب جوته رسالة إلى صديقه الفيلسوف والمربي كريستيان جوتهلف سالزمان (١٧٤٤ ـ ١٨١١) في ١٩ حزيران (يونيه) قال له فيها: «ان اجمل المناطق وأحب الناس إليَّ وأفضل حلقة من أصدقائي هي بالنسبة لي انعكاس لاحلام الطفولة.. اليس كذلك؟ وعندما اهيم بنفسي في الافق البعيد والرحيب من السعادة اللامتناهية أجد نفسي في بساتين الحوريات التي تشتاق نفسك اليها(٥٣).

وذكر جوته في رسالة بعث بها إلى صديقته فردريكة بريون في ١٥ اكتوبر عام ١٧٧٠: «ان قلقي الذي يشغل بالي يرجع إلى اني بعيد عنك وينبغي ان أكون بقربك في شتراسبورك، كما أريد أن اسطر على الورق اسطورة خيالية تعزيني في وحدتي، وقد خالجني شوق أن اصبح حصاناً مجنحاً لأطير به اليك واعزيك في وحدتك ولكنني لا أريد ان اعكر صفوك إذا كان بعدك عن أصدقائك يسليك..»(٥٤).

إن ذكر الحصان المجنح مصدره قصة وردت في ترجمة كالان تحت عنوان «الجواد الظريف» وكذلك حكاية «الجواد الساحر» الهندية التي يطير فيها الحصان من مدينة إلى أخرى بسرعة فائقة.

كان جوته يروي للأطفال في فرانكفورت حكايات ألف ليلة وليلة،

---

(٥٠) نفس المصدر السابق، صفحة ٥٦.
(٥١) حياة جوته الوثائقية، صفحة ١٦٧.
(٥٢) نفس المصدر السابق، صفحة ٥١٢.
(٥٣) نفس المصدر السابق. صفحة ٢٤٦.
(٥٤) نفس المصدر السابق، صفحة ٢٤٣.

Twitter: @abdullah_1395

فـمثـلاً كان يروي هذه الحـكايات لأطفال عـائلة دي اورفـيل التي ترتبط بقرابة لعائلة صديقته ليلى شونمان. وكتب جوته بعد سنوات قصيدة جاء فيها:

«أذهب ايها المغني العزيز إلى حضن ليلى
وقبلها بدلاً مني
أدعوك ياشيخ ظاهر ان تذهب إليها
وتقبلها من يدها
ولا تدعها تهدأ

لقد أصدر جوته فيما بعد أعمالاً أدبية عكست تأثير ألف ليلة وليلة عليه ومن هذه الأعـمال مـسرحـيـة مزاج العـاشق Die Laune des Verliebten وتصور هذه المسرحية الغيرة في شخص جوته اذ يغار على صديقته أنيتا شونكوبف ابنة صاحب الفندق الذي كان جوته يقيم فيه أثناء الدراسة في لايبزك عام ١٧٦٥. وقد تأثر جوته بقـصة «أمينة» احدى قصص ألف ليلة وأطلق على بطلة المسرحية اسم أمينة.

وأمينة في كتاب ألف ليلة وليلة أرملة صـغيرة السن وثرية وكانت على جانب كـبيـر من الجمـال واحبت رجلاً كـان يبدي اعـجابه بهـا من خلال النظرات وسرعان ما تزوجتـه امينة ولكنها اضطرت ان تعيش في ظروف التقاليـد القاسية مع هذا الرجل فقد كـان محرماً عليها أن تكشـف وجهها أمام شـخص غريب أو تكلـم أحداً غيـر زوجهـا. وبعد شـهر من زواجـها احتـاجت ان تخرج إلى السـوق لشراء قمـاش لكي تخيط ثوباً لهـا بعد أن سمح لها زوجها بذلك على أن ترافقـها الخادمة في تجوالها. ودخلت أمينة دكانا يملكه شـاب صغيـر السن وسيم الوجه ولكن الكلام كـان يجري مع الخادمة لأنه كان محرما عليها ان تكلم شخصا غريبا .. وقد اختارت أمينة قماشـاً اعجبهـا غير أن غلاء السعـر أحدث صعوبة في شـرائه وقد فرض البائع هذا الـسعر الغـالي لكي يساوم مع امـينة .. وبعد نقـاش طويل قبل البائع تخفيض الـسعر لقاء قبلة من خد أمينة وقـبلت أمينة ان تمنح البائع

Twitter: @abdullah_1395

قبلة لقاء تخفيض السعر. وتلفعت امينة بعباءتها وقدمت خدها للقبلة، وبدلاً من ان يقبلها البائع عضها من خدها فانبجس منه الدم.. وحاولت امينة عبثا اخفاء اثر العضة وعندما عادت إلى البيت أخذت الغيرة تنهش في صدر الزوج فأمر عبده بقطع رأسها إلا أن توسلات النسوة والجيران حالت دون تنفيذ ذلك. وقد أراد الزوج ان تبقى ذاكرة امينة معلقة بالخيانة فطلب من عبده ان يجلدها بالسوط ويترك في جسدها آثاراً واضحة.

عندما كان جوته في لايبزك للدراسة كان يشعر بالغيرة الحادة على صديقته أنيتا شونكوبف وعندما كانت انيتا تذهب في المساء إلى المسرح كان جوته يتقلب في فراشه ويقول مع نفسه: «يا الهي .. مع من تجلس الآن في المسرح؟ وكان احياناً يتنكر في زي آخر ويذهب خلفها ويراقبها أثناء ذهابها إلى المسرح.

في عام ١٨٠٩ نشر جوته رواية «قرابة الاختيار» Die Wahlver-wandschaft وقد نشأت هذه القصة من حبه لفتاة اسمها «مينا هرسليب» ابنة الطباع فرمان، وكانت لاتزال صغيرة السن ولكن جوته احبها عندما كبرت رغم انه بلغ السبعين واضطر والدها إلى ارسالها إلى المدرسة لكي يحول دون زواجها من جوته.

ورغم ان الرواية تدور حول زواج الطبقة البرجوازية في المانيا والمشاكل التي تعترض هذا الزواج، إلا أنه استقى موضوعها من حكاية «أبو الحسن وشمس النهار» وهي احدى حكايات الف ليلة وليلة. ففي هذه الحكاية يضحي أبو الحسن في سبيل محبوبته شمس النهار منذ ان كان صغيراً ولكنهما يفترقان بعد سنوات حتى يبلغ أبو الحسن سن الشباب ويستطيع الحبيبان أن يلتقيا في أحد الأماكن في بغداد ويتفقا على الزواج.

لقد تأثر جوته بتضحية أبي الحسن في سبيل محبوبته شمس النهار. وأبو الحسن في رواية جوته هو «ادوارد» أما شمس النهار فهي «مينا هرسليب» التي وقع في حبها جوته. ومن القصص والمسرحيات التي كتبها جوته تحت تأثير الف ليلة وليلة مسرحية فاوست الجزء الثاني التي كتبها شعراً.

---

(٥٥) كاترينة مومسن: جوته وألف ليلة، أكاديمي فرلاك - برلين ١٩٧٠م، صفحة ٧٩.

Twitter: @abdullah_1395

رغم أن شخصية فاوست طرقها الكاتب الانجليزي كريستوفر مارلو (١٥٦٤ ـ ١٥٩٣م) إلا أن جوته وصل فيها إلى قمة الابداع في تصوير الحب والمثل العليا والتضحية في شخصية فاوست وكريتشن. وقد تأثر جوته بحكاية «الأمير حبيب ودرة الكواز» من قصص ألف ليلة ونسج على غرارها بعض أحداث مسرحية فاوست الجزء الثاني.

والأمير حبيب صبي حاد الذكاء تولى تعليمه معلم فقيه، وعندما بلغ حبيب السابعة من العمر كان يتقن اللغة والفقه اتقانا جيداً. ودرس فيما بعد التاريخ وتعلم الشعر واصوله. وفي أحد الأيام اضطر المعلم إلى السفر فودع تلميذه الصغير حبيب فبكى حبيب على فراق معلمه وجاءه بعد يوم معلم آخر لا يقل اطلاعاً ومعرفة عن المعلم الأول.

وبعد مدة غادر هذا المعلم تلميذه مستأذناً بالسفر لانجاز مهمة عائلية، وقبل أن يودع تلميذه حبيب قال له: انك ياحبيب ستجتاز مخاطر كثيرة وستمر بك مصاعب جمة ستهزك من الأعماق وسيكون ثمن تضحيتك وصبرك على هذه المصاعب هو زواجك من الأميرة درة الكواز حاكمة احدى المقاطعات في العراق.

ونشر جوته بعد سنوات رواية «تلمذة وليم مايستر» Wilhelm meister Lehrjahre في ثلاثة أجزاء وهي تصور نضال الطبقة البرجوازية من أجل تأسيس مسرح وطني في المانيا غير أن اليأس يستولي على البطل وليم فيترك المانيا ويهاجر إلى أمريكا ابان حرب الاستقلال الامريكية للانضمام إلى صفوف المحاربين هناك. والرواية تجسيد لمعاناة الشباب الألماني وانتصار لأفكار التحرر من السيطرة الأجنبية.

ولعل الجزء الثاني من الرواية بعنوان «تجوال وليم مايستر» Wihelm Meister Wanderjahre يتفق كل الاتفاق مع مغزى حكاية «علي الجوهري» وسيرة علي الجوهري مشابهة لسيرة وليم مايستر في بعض الجوانب فهو ايضاً جوال ومكافح وداعية للاصلاح ومغامر يجوب الاصقاع دون خوف ويسعى إلى تحقيق طموحاته فيخفق في كثير من الاحيان ويحالفه النجاح في بعض منها ويخرج في نهاية الأمر منتصراً على الفشل والاخلاق.

Twitter: @abdullah_1395

ونشر جوته فـيما بعد قصيـدة «حفار الكنز» Schatzgrader متأثراً بها بحكاية «علي بابا والأربعون حرامياً» ويقول فيها:

معدماً أقضـي أيامي الطويلة
اتجرع في الفقر ضيق أيامي
وأحلم في الثراء بأيام آمالي
ولما أعياني الألم
ذهبت للبحث عن الكنز المفقود
ممنياً نفسي بالرخاء
وحفرته حتى عفر ترابه دمائي
وتجولت في كل الاصقاع
حاملاً مشاعل السرور
وكيساً مملوءاً بعظام الأشباح
وعشباً تفوح منه رائحة زكية
وباسلوب المعلم الفهيم
بحثت عن كنزي القديم
وكان الليل حالك الظلام
فرأيت بصيص نور بعيد
وإذا بنجمة تقترب
من بين الظلمة الحالكة
فدقت الساعة معلنة
نهاية الليلة الزائلة
وفجأة قبل أن يحين الأوان
ملأ الضوء جو المكان
منبعثاً من بريق يومض بعمر الزمان
يحمله صبي له جمال الحسان
فرأيت بريق العيون الجميلة
من بين أكاليل الزهور الكبيرة

Twitter: @abdullah_1395

اشرَبْ من تجارب الحياة النقية
وتقدمْ نحوها بخطى شجاعة
فقد بهرني السناء
واسقني من الكوز شراباً صافياً
ليزول عني كل عناء
ويبدد في نفسي شعور الجفاء
وارتو ياصاح بماء الشجاعة
كي تدرك معني القناعة
وتزود بالمعرفة ولا تعد بروح خائفة
لهذا المكان بثروته الزائلة
ولا تحضر هنا ثانية بروح بائسة
أعملُ في النهار وأستضيفُ في المساء
فمضت أسابيع الجفاء وأتت أعياد الرخاء

كما تأثر جوته بحكاية البساط السحري من قصص ألف ليلة وليلة فنسج على غرارها مسرحية «الابنة الطبيعية» Die naturliche Tochter عام ١٨٠٢ وافتتح بها مسرح لاوخنشت في فايمار. ونشر جوته قصيدة في كتاب المعاني والحكايات في الديوان الذي أصدره وكتب بخط يده عنوان الكتاب «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي» وقد تأثر ظهر جوته بهذه القصيدة متأثراً بحكاية «علاء الدين والفانوس السحرى» Alaedin und die Wundelampe، وإلى جانب اهتمامات جوته بألف ليلة وليلة فقد اهتم بأشعار المعلقات واتصل عام ١٧٨٣ بمكتبة جامعة كوتنكن بالمانيا لتوافيه بالمعلقات التي كان قد ترجمها إلى الانكليزية في ذلك العام «وليم جونس» وهو مستشرق انكليزي كان أول من ترجم المعلقات حينذاك.

وقرأ جوته هذه المعلقات باللغة الانكليزية وتأثر بها وامتدح الشعراء الجاهليين وأثنى على اشعارهم التي تتميز بقوة التعبير وقابلية التأثير. وقد نشر في الديوان الشرقي للمؤلف الغربي عدداً من القصائد التي كانت تحمل بصمات تأثره باشعار المعلقات وقام جوته بترجمة بعض منها إلى الألمانية.

Twitter: @abdullah_1395

وكان الشاعر الجاهلي امرؤ القيس موضع تقدير كبير واعجاب عميق من جانب جوته وحظيت اشعاره باهتمام جوته ولكن قصيدة «قفا نبكي» اثرت على جوته تأثيراً كبيراً ونشر بعد عام من قراءته لاشعار المعلقات بالانكليزية قصيدة دعوني ابكي التي كانت تحمل بصمات قصيدة الشاعر الجاهلي امرىء القيس ويقول جوته في هذه القصيدة:

دعوني أبكي في صمت الليل وفي هدوء الصحارى
على طريق القوافل
وعلى آثار الجمال
أطوي الأميال التي تفصلني عن زليختي
وتبعدني عنها فراسخ وأميال
دعوني أبكي فالبكاء ليس عاراً
انه من خصائل المحبين
✣ دعوني ابكي فالبكاء يرطب اعصاب العاشقين
فقد بكى من قبلي اخيل على محبوبته بريسيس
✣ ومثلما بكى سيروس على جيشه الهصور
وعلى القائد المنتحر الكسندر
لقد امتزجت دموعي بالتراب.

وإذا كان شاعر الامبراطورية البريطانية كبلنك (١٨٦٥ ـ ١٩٣٦) قد قال.. «الشرق شرق والغرب غرب وهيهات ان يلتقيا» فإن جوته قد فند هذا الزعم منذ القرن الثامن عشر.

✣ أخيل أو أخيلس ـ بطل الاسطورة اليونانية التي تحكي حرب طروادة.

✣ سيروس أو قورش امبراطور فارسي منذ عام ٤٨٦ قبل الميلاد احتل مملكة بابل عام ٥٣٨ قبل الميلاد.

Twitter: @abdullah_1395

الحركة الرومانتيكية
إحدى إفرازات عصر ألف ليلة وليلة

إن انجازات جيل عام ١٨٠٠ الذي أطلق عليه اصطلاح الرومانتيكيين، رغم أنهم لم يطلقوا على أنفسهم هذه التسمية، يمكن ادراكها اليوم من خلال وحدة اختلافاتهم أكثر من كونها ظاهرة منفردة.

ولابد هنا أن نطرح بعض التساؤلات حول افكار هذا الجيل، أهي تقدمية أم رجعية، مادية أم مثالية، موضوعية أم ذاتية.

فالى جانب موسوعة ممثل الرومانتيكية الألمانية نوفاليس (١٧٧٢ ـ ١٨٠١) Novalis التي عكس فيها أهم مجالات الحياة، فقد برزت مصطلحات في هذه الموسوعة مثل شقاء النفس والتمزق الداخلي للشخصية الفنية، في محاولة لايجاد تركيب يربط بين الجمال الصوفي الغامض وفصم العلاقة مع الواقع

وإذا ما أردنا تحديد معالم الرومانتيكية فيمكن القول بأن الرومانتيكية كانت موجودة في الأدب قبل ظهورها تحت هذا الاسم.

وقد كانت في بداية الأمر سداً منيعاً ضد اتجاه العقلانية التي بشرت بها حركة التنوير في المانيا التي بدأت متأخرة عن حركة التنوير في فرنسا وانجلترا بـ١٠٠ عام. لقد تناول كتاب يوهان جيورك هامان (١٧٣٠ ـ ١٨٧٧) J.G. Hamann «حرب صليبية ضد اللغويين» الذي صدر عام ١٧٦٢، الشعر في عصر التنوير الذي كان يمجد الطبيعة وأشاد هامان بهذا الشعر واعتبره لغة الأم للجنس البشري. وهنا بدأت مرحلة العودة

Twitter: @abdullah_1395

والتخلي عن قبول اشكال الفن اليوناني القديم (الانتيكا) وكان لكفاح الناقد الألماني والمفكر هردر (١٧٧٤ ـ ١٨٠٣) J.G. Herder في سبيل تغيير الأوضاع الاجتماعية في المانيا، بمثابة ارهاصات للرومانتيكية، حيث اكتشف هردر لغة القلب التي أثرت على شاعر المانيا جوته.

وقد أشاد هردر باولوية سلطة الشعور المرهف في قصائد كلوبشتوك (١٧٢٤ ـ ١٨٠٣) وكانت موضع اعجاب الكتاب طالما كان يطغى عليها الاحساس العاطفي.

وتم التخلي عن أولوية سيطرة الفن والشعر اليوناني وذلك بمساعدة أفكار هردر وكذلك هامان وقيادتهما عملية التجديد في الشعر والفن وتقييم تراث العصور الوسطى واعتباره صورة مشرقة للشعور الأصيل. ووجد الرومانتيكيون هنا رموزهم الفريدة، بعكس الأفكار التي طرحها فنكلمان عن فن اليونان ومعالمه الواضحة. وراح الرومانتيكيون ينظرون إلى تراث العصور الوسطى باعتباره جزءاً من تراثهم، وان تراث اليونان مجرد ماضٍ مندثر!!.

وكانت حركة العاصفة والاندفاع تسير في هذا الطريق، ورحب كوته بهذه الأفكار من خلال اتصاله بالاخوين شليكل ونوفاليس.

وفي ما يتعلق بالرواية التربوية، فقد هاجم الرومانتيكيون رواية كوته «وليم مايستر» كما ان الرومانتيكية المبكرة، التي تخلت عن المرحلة الكلاسيكية، تمسكت من ناحية أخرى بعلم الجمال والنقد الأدبي وانعكس ذلك على صفحات مجلة «اثينيوم» Athenaum لقد سعى هؤلاء إلى الغاء الحدود والقيود الشعرية، ولذلك كانت توجد ملامح مشتركة بين أشعار القصائد للشاعر هولدرلين (١٧٧٠ ـ ١٨٤٣) F. Holderlin والشعر الفلسفي لشلر، كما كان يوجد تقارب بين كوته والاساطير الفنية التي نشرها نوفاليس، كما نجد في الديوان الشرقي لكوته ملامح عن المدرسة الرومانتيكية لاسيما تأثير قصائد نوفاليس وعنوانها «فوندرهورن» Wunderhorn وكانت توجد علاقة وطيدة ووثيقة من جانب الرومانتيكيين مع ممثلي المدرسة الكلاسيكية في مدينة فايمار، إلا أن ذلك لم يكن يعني حينذاك وجود اتفاق في وجهات النظر بين الطرفين، بل كان ذلك مجرد

Twitter: @abdullah_1395

تبادل الآراء والأفكار.

ولأجل أن نؤكد على أن الرومانتيكية لم تكن مجرد حركة معزولة ومحدودة في اطار عصرها، ينبغي علينا ان نشير إلى الرومانتيكية الانجليزية والفرنسية، فقد كان يسود الحركة الرومانتيكية في انجلترا وفرنسا تيار الشعر وهذا ما يتفق مع تيار الرومانتيكية الألمانية لاسيما في عملية التحول للاغتراف من المنابع الروحية والفكرية لتحديد فن الشعر، رغم وجود شروط اجتماعية وتاريخية مختلفة في المانيا. ورغم ان الرومانتيكية في فرنسا كانت تخوض مع الأشكال التي برزت بعد مرحلة نابليون خلافات حادة، إلا أن الرومانتيكية في انجلترا استجابت للظروف التي نشأت في خضم تحولات الثورة الصناعية والسياسية في انجلترا، ولذلك بدأت في نفس الوقت تأثيرات الحركتين تنعكس احدهما على الأخرى.

وكان يوجد تشابه حول مفهوم الطبيعة الذي طرحه الفيلسوف شلنك (١٧٧٥ ـ ١٨٥٤) Schelling وقد برز من خلال هذه السمات المشتركة تيار جديد هو الافلاطونية الجديدة الذي كان يمثله عالم اللاهوت والفيلسوف بومه (١٦٧٥ ـ ١٧٢٤) J. Bohme لقد لعبت الرواية الانجليزية المرعبة التي كان يمثلها كولردج وشللي وسكوت، دوراً كبيراً عما كان عليه من تأثير في اشعار تيك وبرنتانو وهوفمان.

أما في فرنسا فقد بدأت الرومانتيكية متأثرة بالمانيا إذ نقلت الرومانتيكية إلى فرنسا مدام دي ستيل (١٧٦٦ ـ ١٨١٧) Stael وهي كاتبة فرنسية كانت ضد نابليون وحروبه فنفاها نابليون إلى ألمانيا فنقلت الرومانتيكية إلى فرنسا بعد أن نشأت في المانيا على يد نوفاليس وأصدرت كتابها في فرنسا بعد أن عادت إلى باريس عقب أفول نجم نابليون وكان كتابها بعنوان «عن المانيا» De L, Allemagne وصدر عام ١٨١٠.

لقد أثر الرومانتيكي الألماني أوكست هاينريش هوفمان (١٧٩٨ ـ ١٨٧٤) A. H. Hoffmann على الكاتب الفرنسي فيكتور هيجو، فقد تناول هيجو في مقدمته التي كتبها لمسرحية كروموبل مسألة الاشكال المتنافرة

Twitter: @abdullah_1395

والغريبة في الأدب، أي تلك الأشكال التي تبعث على الضحك والبكاء في نفس الوقت والتي يطلق على هذا النوع (كروتسك) Grotesk.

أما روايتا «اتالا» و«رينيه» لهوجو فكانتا تتسمان بطابع مناهض للاتجاه العقلاني وتتميزان بمسحة عاطفية، في حين يركز اتجاه الرومانتيكية في اريكا، والذي كان يمثله كوبر Cooper وهاوثورن Haw-thorne وملفيل Milville في اطار الاشكال الانسانية والسياسية.

ويمكن اعتبار الحركة الرومانتيكية الألمانية بظواهرها وأشكالها التي استمرت من عام ١٧٩٨ وحتى عام ١٨٢٦ ثم امتدت فيما بعد إلى عام ١٨٣٥، بأنها آخر مرحلة فكرية واجتماعية للمثالية الألمانية.

إن المفهوم الرومانتيكي في هذه الحركة يعني تجسيد وتصوير الحقيقة في الفن. أشار فريدريش شليكل (١٧٧٢ ـ ١٨٢٩) ابان التحولات السياسية التي اعقبت الثورة الفرنسية، إلى غياب السلطة المركزية كسند للمواطن، وأكد على الوضع الذي نشأ حينذاك وتميز بانعطاف ايجابي حيث قال:

«بالنسبة لي اعتقد ان من يبعث النشاط في روح العصر وصيرورة التحولات الاجتماعية، ومن يدرك مبادىء الثورة الخالدة، فإنه يستطيع ان يمسك بزمام الانسانية ويدرك مآثر الرعيل الأول ويتنبأ بظهور ملامح جديدة للعصر الذهبي المزدهر.. وحينذاك ستختفي الثرثرة وسيرتاح الانسان وسوف تدون ذلك الأرض والشمس، وهذا ما اعني به باليثولوجيا الجديدة»(١).

ويبدو ان الرومانتيكيين كانوا يتوقعون ظهور عصر جديد في اوروبا، فقد وقفوا ازاء احداث عصرهم موقفاً ايجابيا يتسم بطابع صوفي احيانا، واحيانا اخرى يعكس لواعج الحنين إلى حياة القرون الوسطى وتقاليدها واشعارها البسيطة الساذجة المعبرة عن الطبيعة الانسانية البسيطة والساذجة احيانا وكان ذلك أحد سمات الحركة الرومانتيكية التي ظهرت في المانيا وانتشرت في اوروبا فيما بعد.

ولإدراك هذا الوضع ينبغي التأكيد على أن هؤلاء الرومانتيكيين

(١) فريدريش شليكل ـ الأعمال النقدية، اصدار فولف فريدريش ديتريش راش ميونيخ ـ دار نشر كارل هانسر ١٩٦٤ الجزء السابع صفحة ٥٠٣.

Twitter: @abdullah_1395

اضطروا إلى الاعتراف بهزيمة المانيا السياسية لاسيما بعد وفاة فريدريش الكبير عام ١٧٨٦م ويوزيف الثاني في النمسا عام ١٧٩٠ وفصم التحالف بين بروسيا والنمسا.

ولم تكن هذه الهزيمة بسبب البصمات التي تركتها الثورة الفرنسية وسيطرة نابليون على اوروبا فقط، ففي نفس الوقت حدث تطور ثقافي تحدث عنه المؤرخ الفرنسي هيبولت تاين وقال: «لقد تمخضت عن المانيا في الفترة من عام ١٧٨٠ وحتى عام ١٨٣٠ جميع أفكار عصرنا»(٢) ورغم عدم وجود أمة موحدة في المانيا، إلا أن بعض المفكرين القلائل في مرحلة العاصفة والاندفاع ومرحلة الكلاسيك طوروا الوعي القومي لاسيما الشعور بعالمية المواطنة.

وكان كوته يردد دائماً: «انني من أهل العالم ... أو أنا فايمري (نسبة إلى مدينة فايمار التي كان يقيم فيها).

وكانت هذه الشعارات لها قيمة كبيرة حينذاك لبعض ممثلي الحركة الرومانتيكية وذلك لعدم وجود حملة مشتركة من أجل التحرر الاجتماعي والسياسي ولذلك اضطلع الافراد بهذه المهمة.

لقد احدثت الموعظة العلمية التي روجها الفيلسوف فيشته (١٧٦٢ ـ ١٨١٤) J.G. Fichte عام ١٧٩٤ والتي منح فيها الأولوية للأنا وجعلها مركز الصدارة في التفكير، اثرا كبيرا في المجال النظري والتطبيقي في الفكر الفلسفي. وقد ظهر الفيلسوف كانت بمقولته الفلسفية عن المثالية المتسامية (أي فلسفة الفصل الواضح للشيء في ذاته الذي يمكن ادراكه كظاهرة فقط).

وقد تحولت هذه المثالية إلى المثالية الذاتية فيما بعد. وقدم فيشته نظاما يتفوق فيه الأنا على الحقيقة.

وفي هذه المثالية الجديدة تدرك فيها الأنا جميع الحقائق في ذاتها، أو كما قال فريدريش شليكل.. «انها تستوعب الخلود»، وأصبحت فيما بعد الملهم للرومانتيكيةالمبكرة، أو كما قال اوكست وليم شليكل (١٧٦٧ ـ ١٨٤٥) .. لقد أصبحت بمثابة العصا السحرية للشعراء وادخلت المادة في الفكر والفكر في المادة.

---

(٢) رومانتيك، الجزء الأول، صفحة ١٢.

Twitter: @abdullah_1395

كان الحماس الذاتي والاندفاع الشخصي نحو الفكر والعاطفة قد برزت جميعها كعناصر ساعدت على ادراك الواقع في عملية التحول ولاصيرورة نحو الأفضل، ولكن ليس من خلال المساهمة الاجتماعية العملية إذ لم تكن للرومانتيكيين رؤية واضحة حول دور الجماهير في عملية التغيير الاجتماعي حينذاك.

ومن هنا كان «فاكنرودر (١٧٧٣ ـ ١٧٩٨) وتيك (١٧٧٣ ـ ١٨٥٣) ينظران بحماس كبير إلى دور الرهبان في رعاية الفن في الأديرة ومناهضتهم للفن الكلاسيكي وتطلعهم إلى فن العصور الوسطى وعصر النهضة (رنيسانس) Renaissance وعندما تسببت حرب نابليون في بلورة المفهوم القومي الضيق في المانيا، أضحى الحماس من أجل الدولة والوطن شعار النصر الوطني.

أما الاخوة شليكل ونوفاليس فقد عبروا بتحفظ عن حماس فاكنرودر حول الاشكال الفنية وذلك لأن المفاهيم النظرية للرومانتيكية المبكرة كانت تؤكد على أن التعقل والحكمة والحماس هي قوانين مطلقة للتفكير.

وكتب فريدريش شليكل في مايو عام ١٧٩٥ في مجلة «دويشة ميركور» التي كان يصدرها فيلاند، يقول: «ان نواقصنا هي آمالنا لانها تصدر عن سيادة العقل الذي لا يعرف تكامله البطيء اية حدود»(٣)

هذه اذن طريقة التفكير لفريدريش شليكل ونوفاليس التي انعكست في أعمالهما والتي تناولت النكتة اللاذعة والعقل والتهكم وقوة التخيل المثمرة.

إن نشاط هذه القوى حدد حينذاك في البداية الفكر الحر الطليق الذي كان من الصعب تحديده لدى فريدريش شليكل، حيث قصد فيه نفي الواقع للعالم الخاص لعصره وان الحقيقة هي مجرد شيء محدود ومتناه.

إن معالم الرومانتيكية المبكرة يمكن تلخيصها كالآتي:

١ ـ ادراك مرحلة العصر لم يحدث من خلال نظرية المعرفة، بل من خلال الوسط التأملي عن الفن. وعندما يعلن ويطالب فريدريش شليكل بأن الواقعية الجديدة أدت إلى بعث الوجود التام من روح الشعر، فإنه يعني بذلك تصوير فكرةالفن.

---

(٣) نفس المصدر السابق، صفحة ١٠٠ الجزء السابع.

Twitter: @abdullah_1395

٢ ـ إن النقص الذي اتسم به عصرهم انعكس بصورة لا مباشرة في النقاش المتجدد ازاء الانجازات التي حققها عصر التنوير.

إن العصر الجديد الذي كان يسعى اليه الجميع انعكس في العصور الوسطى الذي توحدت فيه الكاثوليكية. إن كتاب وليم شليكل بعنوان «أفكار حول فلسفة الطبيعة» الذي صدر عام ١٧٩٧ والذي أشاد فيه بالجوهر الروحي للعالم، أي اضفاء الطابع الروحي على العالم، أدى إلى بلورة مفهوم جديد عن الطبيعة.

وقد أجاب هاينريك ستيفنس (١٧٧٣ ـ ١٨٤٥) Henrik Steffens عن المسائل المتعلقة بعلوم الطبيعة وذلك في كتابه «مقالات حول التاريخ الطبيعي للأرض» الذي صدر عام ١٨٠٢ واستخدم فيه انجازات شلنك الرومانتيكية عن علم المعادن والجيولوجيا.

وعندما أصدر الكسندر فون همبولدت (١٧٦٩ ـ ١٨٥٩) A.B. Humboldt ابحاثه عن الطبيعة تحت عنوان «آراء عن الطبيعة» عام ١٨٠٧ تأثر به كتهلف هاينريش شوبرت، فاصدر كتابا بعنوان «آراء عن الجانب المظلم لعلوم الطبيعة» عام ١٨٠٨م.

وكانت هذه الأبحاث خطوة نحو ادراك اسرار الطبيعة وايجاد ملامح للعصر القديم الاسطوري الذي كان الرومانتيكيون يشعرون بالحنين اليه.

وقد أدت هذه الاكتشافات العلمية إلى منح الأدب أهمية خاصة، واكتشف يوهان وليم رتر J. W. Ritter الأشعة فوق البنفسجية. وأبدى الرومانتيكيون اهتماما كبيراً بالأشعار والأدب المنشور باللغات الاجنبية وقام كثير منهم بمهمة الترجمة عن اللغات الاجنبية، وقد اضطلع اوكست وليم شليكل بترجمة سبع عشرة مسرحية لشكسبير ثم أنجزها من بعده «تيك» (١٧٧٣ ـ ١٨٥٣) Judwig Tieck بمساعدة ابنته دورثيا وكراف باودسين كما ترجم تيك دون كيشوت لسرفانتس كما ترجم اوكست وليم شليكل A.W. Schlegel (١٧٦٧ ـ ١٨٤٥) مسرحية كالديرون عن الفرنسية، وترجم شلاير ماخر Schleiermacher بعض أعمال افلاطون، وترجم وليم كرم (١٧٨٦ ـ ١٨٥٩) Wilhelm Grimm مسرحية ايدا Edda وهي حكاية المانية قديمة تعود إلى العهد الجرماني وكتبت باللغة الألمانية

Twitter: @abdullah_1395

القديمة. والغريب في الحركة الرومانتيكية انها كانت تتألف من تجمعات عائلية أو صداقية، فمثلاً هناك الاخوان فدريريش واوكست شليكل، وكذلك الاخوان ياكوب ووليم كرم وكذلك كليمنس برنتانو (١٧٧٨ ـ ١٨٤٢) C. Brentano مع شقيقته بتينا التي تزوجت من الرومانتيكي آخيم آرنيم (١٧٨١ ـ ١٨٣١) Arnim

ثم هناك علاقة الصداقة الوطيدة بين وليم وهاينويش فاكنرودر ونوفاليس وتيك وفريدريش شليكل وفريدريش شلايرماخر وكذلك بين الاخوة كرم وآخيم فون آرنيم. وفي عام ١٧٩٧ صدر في برلين كتاب لفاكنردور وتيك بعنوان «متعة القلب لأحد محبي الفن شقيق الدير».

واصطلاح شقيق الدير يدل حينذاك على أن الفن ترعرع في احضان رجال الكنيسة والرهبان، وكان هذا الكتاب أول شهادة عن الجيل الجديد وميله إلى الفن وعندما توفير فاكنرودر عام ١٧٩٨ اضحت مدينة بينا مركزا للرومانتيكية المبكرة وكانت الحركة تضم الاخوة شليكل ونساءهم وكذلك تيك ونوفاليس وشلنك وشلاير ماخر وهاينريك ستيفنس (١٧٧٣ ـ ١٨٤٥) Heinrik Steffens وقد صدرت في برلين في الفترة من ١٧٩٨ وحتى عام ١٨٠٠ مجلة «أثينيوم» Athenaum وعكست على صفحاتها أهم المسائل النظرية للرومانتيكية المبكرة. وبعد احتجاب هذه المجلة التي كان يصدرها الاخوان شليكل، وكان يساهم في تحريرها نوفاليس وشلايرماخر، أصدر فريدريش شليكل، الذي كان في تلك الفترة في باريس، مجلة «اوروبا» وذلك عام ١٨٠٣ واستمرت حتى عام ١٨٠٥ في مدينة فرانكفورت التي تقع على نهر الماين.

لقد حددت هذه الحلقة المسائل النظرية عن الأدب والفلسفة وفلسفة العلوم الطبيعية. ويمكن تحديد الملامح الأساسية لهذه الحركة الفكرية والأدبية من خلال مؤلفات وآراء الفيلسوف كانت والفيلسوف فشته وكذلك آراء مؤسسها الأول نوفاليس. ومنذ عام ١٨٠٥ كان يلتقي في مدينة هايلدلبيرك Heidelberg كليمنس برنتانو ويوزيف فون آيشندورف (١٧٨٨ ـ ١٨٥٧) Eichendorff ويوزيف كوريس (١٧٧٦ ـ ١٨٤٨) Gorres وآخيم فون آرنيم، حيث تأسست هناك صحيفة للنازحين وصدرت

Twitter: @abdullah_1395

عام ١٨٠٨ ضمن كتاب بعنوان «وحدة العزاء».

وبدلاً من ان يتجه هذا التجمع الرومانتيكي إلى المسائل النظرية عن الفلسفة والأدب والعلوم الطبيعية، طرأ تحول كبير إذ أخذ هؤلاء الرومانتيكيون يبحثون عن البساطة والسذاجة عند الانسان، واكتشف هؤلاء عددا كبيرا من الاغاني الشعبية والحكايات والاساطير. وبدأ هؤلاء يديرون ظهر المجن لفرنسا وثورتها وفكرها وثقافتها، واتجهوا إلى مسائل تراث شعبهم وفكره القومي، وتوصلوا إلى اكتشاف الدعائم العملاقة للماضي التي تمثلت في تراث العصور الوسطى.

وكان لسيطرة نابليون على اوروبا واحتلاله المانيا ان أدى ذلك بالحركة الرومانتيكة إلى اتخاذ موقف قومي اصيل من الاحتلال النابليوني. وعندما تأسست في برلين عام ١٨١٠ حلقة الجلساء الألمانية المسيحية، أضحت هذه المدينة مركزا مهما للرومانتيكية المتأخرة. وقد اتخذ آرنيم وبرنتانو وآيشندورف وفوكيه وكاميسو وكلايست موقفا قوميا واضحا.

وأصدر كلايست بين عامي ١٨١٠ و١٨١١ صحيفة برلينر آبندبلات Berliner Adendblatt واتسمت بطابع أدبي وسياسي وكان يكتب فيها الوطنيون المتحمسون لوحدة المانيا من أجل طرد نابليون من المانيا. وتجدر الاشارة إلى ان احتلال .. نابليون المانيا ساعد على زرع بذور الوحدة الوطنية لأول مرة.

إن الاتجاهات المتعددة للرومانتيكيين لا يمكن فصلها عن الأحداث التاريخية لمرحلة الثورة وارهاصاتها في القرن التاسع عشر. وكان الرومانتيكيون يتميزون برؤية واضحة عن الاحداث التي سادت عصرهم عن أوضاع المجتمع الألماني.

لقد حاول الرومانتيكيون اثناء اكتشاف تراث العصور الوسطى في اجرمانية المسيحية القاء الضوء على المساعي التجديدية، وحاولوا اثناء اكتشاف الاساطير والحكايات اشاعة الظلمة في العالم المتنور لأنهم ارادوا العودة إلى الماضي المظلم، وهنا يكمن التيار الرجعي في الحركة الرومانتيكية، ورغم هذا التيار الرجعي فيها فهناك في المانيا وانجلترا

Twitter: @abdullah_1395

وفرنسا ممن يمثلون التيار التقدمي في الحركة الرومانتيكية كان آيشندورف قد أصبح ناقدا للحركة الرومانتيكية حيث قال في معرض نقده: «ان الرومانتيكية لم تكن فقط ظاهرة أدبية، لقد اضطلعت بتجديدات داخلية للحياة العامة كما اعلن عنها نوفاليس. وما تم مؤخرا تسميته بالحركة الرومانتيكية، لم يكن أكثر من فرع أدبي للشجرة المهينة .. إن أهدافها الأساسية رفع الحياة الدنيوية والوجود إلى مكانة أسمى وجعلها فوق كل شيء، ويشمل ذلك مجال الفن ايضا»(٤).

لقد استعرضنا أهم الملامح الفلسفية والأدبية والفنية التي اتسمت بها الحركة الرومانتيكية بين عام ١٧٩٨ وحتى عام ١٨٠٤ في كل من مدينة برلين ومدينة بينا وكذلك الانعطاف الذي تميزت به الرومانتيكية نحو العودة إلى تمجيد الروح القومية لاسيما في حلقات مدينة هايدلبيرك عام ١٨٠٥ وكذلك اهتمام الرومانتيكية في برلين عام ١٨١٠ بالتيارات القومية. ونستعرض الآن الملامح الشعرية التي انعكست في أدب ممثلي الرومانتيكية منذ عامي ١٨٠٩ و١٨١٠ بدأ الاتجاه العقلاني في الشعر يشق طريقه في كتابات مرحلة الرومانتيك المبكرة لاسيما في كتابات فاكنرودر وتيك ونوفاليس.

وفي منتصف هذه الفترة، أي في عام ١٨٠٤ صدرت رواية تخلو من اسم المؤلف بعنوان «حراسة الليل في بونافنتورا» Nachtwachem Von Bonaventura وتناولت هذه الرواية جميع مواضيع ومسائل الرومانتيك المبكر بالتقليد والضحك والسخرية الحادة بالمقارنة مع واقع عام ١٨٠٤م.

وعندما مارس الرومانتيكيون نقداً مباشراً لاحداث العصر، لم يكونوا في وضع يسمح لهم بصياغة شعر قومي أو فكر وطني وذلك بسبب الخيبة التي تميزت بها الأحداث التي اعقبت الثورة في المانيا.

لقد نشر كثير من الرومانتيكيين امثال فوكيه وفريدريش روكرت (١٧٨٨ ـ ١٨٦٦) F. Ruckert ورنست موريس آرنتدت (١٧٦٩ ـ ١٨٦٠) E. M. Arndt ولودفج اولاند (١٧٨٧ ـ ١٨٦٢) Ludwig Uhland وماكس فون آيشندورف أشعاراً مناهضة للحرب النابليونية. وطالب آرنيم بجمع

---

(٤) اعمال آيشندورف ـ اصدار كيرهارد باومان (٤ اجزاء) ـ دار نشر فريد كروسة، ١٩٥٧م الجزء الرابع صفحة: ١٠٠٤ ـ ١٠٤٦.

Twitter: @abdullah_1395

هذه الأشعار، كما نشر قصيدة عن الحرب التي شنها نابليون ضد اوروبا والمانيا وذلك عام ١٨٠٦ ووزعها آرنيم على الجنود المتوجهين إلى الجبهة في كوتنكن.

وتميزت الاشعار التي نشرها آيشندروف، والتي تناولت هزيمة ألمانيا، الأمل في اعادة الحرية للشعب الألماني.

وعندما سافر فريدريش شليكل إلى باريس عام ١٨٠٣ وأسس هناك مجلة اوروبا، كان ذلك بمثابة بداية لمرحلة جديدة للرومانتيكي للتحرر من الحلقات الجماعية ومن قواعد علم الفن الذي صاغته هذه الجماعات والحلقات المتعددة.

وتميز هذا الاتجاه الجديد للرومانتيكية بطابع خيالي رومانتيكي، ثم تغير هذا الاتجاه خلال القرن فأصبح تعبير الرومانتيكية يعني الروعة والمغامرة والغربة عن الدنيا.

تنعكس في الحركة الرومانتيكية مفاهيم وتراث الرومانتيكية المبكرة والمتأخرة، فمثلا «تجوال» ورواية نوفاليس بعنوان «هاينريش فون اوفتردنكن» H.B. Ofterdingen وكذلك رواية آيشندورف «توقع للعصر الحاضر» Ahnung und Gegenwart وكذلك القصة الاسطورية لهوفمان «هر مور» Kater Murr لقد كانت هذه الروايات والقصص والأعمال النثرية للرومانتيكيين امتدادا للنهج الذي سار عليه كوته في روايته «وليم مايستر».

لقد استوعبت الرواية الرومانتيكية، انطلاقاً من الأصول التي وضعها شليكل حول الشعر العالمي، جميع الأشكال الفنية كالتأملات والقصص وكذلك الغناء. ورفض تيك علاقة الرومانتيكيين بأدبه وقال:

«بالنسبة لي فقد كانت الرومانتيكية تعني عندي دائماً الشعر»(٥) كانت الرواية تشكل موسوعة للرومانتيكيين، وقد أظهرت مشاريع وآراء الشعراء والكتاب وكذلك الصور التي عبروا فيها عن النموذج الجديد للانسان الرومانيكي، بأنها الاطار الذي تتجسد فيه آراء وأفكار الكتاب.

ولم يشعر كتاب الرومانتيكية بأنهم ولدوا شعراء ماعدا برنتانو الذي

---

(٥) رومانتيك. الجزء الثاني هانز يوركن شيدت فيليب ركلام شتوتكارت ١٩٧٤م.

Twitter: @abdullah_1395

سخر قلمه للشعر. كان الكتاب الرومانتيكيون ينتمون إلى الطبقة البرجوازية الصغيرة والنبيلة ماعدا تيك الذي كان ينتمي إلى عائلة عمالية.

بعد اخفاق تيار الرومانتيكية فضل آرنيم العمل في الدوائر الحكومية في برلين ولكنه هجر العمل الحكومي عام ١٨١٤ واشتغل مزارعا في الريف، أما نوفاليس لقد عمل موظفا في مصنع الملاحة الخاص بالعلاج الطبيعي في مدينة فايزنفلس WEISENFELS ودرس كلايست العلوم المالية ثم التحق بالعمل الحكومي بعد ان اخفق في الالتحاق بأعمال أخرى في الجيش.

أما هوفمان فعمل سكرتيرا في احدى المحاكم، وسلخ آيشندورف ٢٨ عاماً من عمره في خدمة الدوائر الحكومية، واهتم كاميسو بدراسة العلوم الطبيعية واشتغل موظفاً في حديقة النباتات في برلين.

في نهاية عصر الرومانتيكية بدأت التحريفات لدى اعضاء حلقة منطقة شفابن Schwaben في المانيا لاسيما عندما كتب يوستينوس كيرنر إلى اولاند يقول: «عندما يفكر المرء بنوفاليس بأنه موظف في مصانع الملاحة، فإن ذلك يبعث على القرف لأن هذا العمل لا يليق به»(٦).

إن الشعر الرومانتيكي كان مبنياً على أساس ايجاد البديل للحياة اليومية الروتينية وقد عبر نوفاليس مرة قائلاً: «إن الطريق المبهم يقودنا إلى أعماق النفس الإنسانية واننا نحس في اعماقنا بالخلود والماضي والحاضر»(٧).

إن هذا الاتجاه كان يستهدف البحث عن مضمون ومعنى جديدين للحياة. وكان الرومانتيكيون يحاولون انقاذ المواطن من واقعه السياسي المضطرب وتوجيهه نحو الشعر ودفعه إلى عالم المغامرة الشعرية والفكرية. وينطبق ذلك على الاساطير والحكايات الخيالية التي كانت تتميز بوظيفة مهمة في الحركة الرومانتيكية.

ونشر فاكنرودر وتيك ونوفاليس وبرنتانو وهوفمان كثيراً من الاساطير والحكايات الخيالية وكانت كتابة الاساطير مرحلة مهمة لكثير من الرومانتيكيين لممارسة كتابة القصة الخيالية والاسطورية أو القصص القصيرة حيث قفز هذا النوع النثري في الحركة الرومانتيكية قفزة كبيرة

---

(٦) نفس المصدر السابق، صفحة ١٠ ـ ١١.

(٧) أعمال نوفاليس كيرهارد شولتس مينونيخ دار نشر ها. بيك ١٩٦٩م جزء ٣ صفحة ١٥٦.

Twitter: @abdullah_1395

وأفرزت هذه الحركة عدداً كبيراً من هذه الأعمال الأدبية.

وأكد هذا الجنس الأدبي على أن الرومانتيكية والواقعية صنوان وكانت هناك دائماً نقاط التقاء بينهما، وانعكس ذلك في الاتجاه الثنائي بين الخيال والواقع في اساطير هوفمان وفي أعمال تيك وقصصه مثل «مهرجان الساحرات» Die Heze Sabbath وفيض الحياة Der Lebensuberfluss كما يوجد تشابه في هذا المجال في أعمال آرنيم وكاميسو مثل روايته «بيتر شلميل» (Peter Schlemhil) وكذلك قصص كلايست التي أدرك فيها كيف يعكس الواقع وذلك بانصهار الروعة والاسطورة في بوتقة واحدة.

أما اشعار الرومانتيكيين فيمكن اعتبارها اشعاراً شعبية لأنها تناولت جميع فئات الشعب وطبقاته.

ولم يكن الشعر في مرحلة الرومانتيكية جنساً منفصلاً عن الاجناس الأدبية الأخرى، فقد كان جزءاً من الرواية الرومانتيكية. إن الغناء الذي رافق الرومانتيكي ونشأ عنه الشعر الرومانتيكي، أكد على أنه لغة مركزة للعاطفة والشعور المرهف، وانه من الخطأ مقارنة هذا الشعور بالأصول الشعرية لمرحلة الكلاسيك الألماني أو الشعر الالماني بصورة عامة.

كما لا يمكن مقارنة اناشيد وتراتيل نوفاليس مع الشعر الرومانتيكي، إلا ان الشاعر الوحيد الذي يمتاز بأصالة واضحة في اشعاره بالنسبة للحركة الرومانتيكية هو آيشندورف. كما يبرز لنا شعر برنتانو بأنه شعر يتميز بلغة واعية وفنية وتنعكس فيه مرحلة الانتقال إلى تأليف القصائد الغنائية واستخدام الاسلوب الرومانسي. وينتمي المقلدون للشعر والقصيدة الغنائية للحركة الرومانتيكية المتأخرة إلى مدرسة شفابن (نسبة إلى مقاطعة شفابن في المانيا) ومنهم لودفج اولاند (١٧٨٧ ـ ١٨٦٢) Ludwig Uhland ويوستينوس كيرنر (١٧٨٦ ـ ١٨٦٢) J. Kern-er ونيكولاو س لينا و (١٨٠٢ ـ ١٨٥٠) N. Lenau وكوستاف شفاب (١٧٩٢ ـ ١٨٥٠) G. Schwab وكان ينتمي اليهم ايضا وليم هاوف (١٨٠٢ ـ ١٨٢٧) W. Hauff وكذلك ادوارد موريكة (١٨٠٤ ـ ١٨٧٥) E. Morike وكان هؤلاء يجتمعون في منزل كيرنر في مدينة فاينزبيرك Weinsberg وكانت هذه الاجتماعات تعقد بينهم بسبب شغفهم بالطبيعة

Twitter: @abdullah_1395

ولم يكن يوجد بينهم أي مشروع فكري أو خطة أدبية مشتركة ولكنهم كانوا يتبادلون الأفكار والأشعار. لقد بدأت الحوافز الرومانتيكية، كالغناء، والكآبة والوحدة والشعر، تظهر من جديد في اشعار هؤلاء الكتاب.

وقد أظهر اولاند، الذي كان ذا اتجاه سياسي ملتزم، ميلا نحو الشعر الواقعي ولكن شعره كان يقف في منعطف بعيد عن مستوى الأشعار السياسية لكاميسو. كانت المسرحية مهملة من جانب الرومانتيكيين باستثناء كلايست (١٧٧٧ ـ ١٨١١) Heinich Kleist. ولم يستطع الشاعر تيك وآرنيم وكذلك الشاعر آيشندورف عرض أي عمل مسرحي على مسارح المانيا.

ويعزى هذا الاخفاق خاصة لتبني جنس أدبي معين. وكان يطغى على أعمال الرومانتيكيين مهمة معالجة أمور الحياة، وكان النص المسرحي يشكل معضلة الجيل حينذاك. كان المسرح الرومانتيكي يتكون من مسرحيات يجري تلاوتها والقاؤها على الجمهور والمعجبين وليس عرضها، وقد برزت حينذاك الكوميديا لدى برنتانو. كما ظهرت المسرحيات الهجائية في مسرح الاساطير لدى تيك. اما آرنيم فقد تبنى مسرح الدمى والحكايات التاريخية، كما لا يمكن في هذا المجال مقارنة مسرح كلايست مع الرومانتيكيين الآخرين إذ ان كلايست كان مسرحياً من الطراز الأول حيث سلط في مسرحياته الأضواء على أهم المسائل الاجتماعية حينذاك. ويمكننا الآن استعراض أهم ممثلي الرومانتيكية مع ابرز انتاجهم:

١ ـ لودفج تيك (١٧٧٣ ـ ١٨٥٣):

قام تيك بمهمة كبيرة حيث أصدر أعمال صديقه فاكنرودر، كما ساهم في تأليف بعض هذه الأعمال لا سيما تحرير بيان الجيل الجديد وتشخيص ملامحه.

نشر تيك عام ١٧٩٨ رواية تجوال شتيرنبالد Feanz Sternbalds Wanderungen وهي على غرار رواية وليم مايستر لجوته حيث يهرب فيها البطل تخلصاً من مشاكل مجتمعه وينغمس في عالم الفن، وكانت هذه أول رواية تتحدث عن الفنانين. كما نشر فيما بعد رواية تحتوي على الخطابات

Twitter: @abdullah_1395

المتبادلة بعنوان «قصة السيد وليم لوفل» Ceschte des Herrn Willhelm Lovell وذلك عام ١٧٩٥. وكانت هذه الرواية متأثرة بروايات الرعب الانجليزية. ونهج على غرارها فيما بعد هوفمان في روايته «اكسير الشيطان» Elixierte des Teufels، كما كانت رواية تيك متأثرة بأعمال الكاتب الانجليزي صموئيل ريشاردسون S. Richardson (١٦٨٩ ـ ١٧٦١) وكانت روايات ريشارد سون تعتمد على مبدأ التحليل النفسي للابطال. توجد في مجموعة الاساطير الشعبية (١٧٩٧) بعض الأشعار لتيك وكذلك اسطورة «ايكبرت الأشقر» Der blonde Eckbert التي تناولت الوحدة في الغابة وزواج الاخوة بطريقة مرعبة. كما توجد مسرحيات الاساطير لرتر بلاوبارت Ritter Blau bart واسطورة «القط المنتعل» Der gestiefelte Kater حيث يزول فيها خيط الايهام بين المتفرجين وصالة المسرح (الجدار الرابع).

أما مجموعة «فانتاسوس» Phantasus التي صدرت عام ١٨١٢، فإن عنوانها يدل على أنها اعارت اهمية كبيرة للخيال، إذ أن القصص الاسطورية في هذه المجموعة تعكس الواقع بكل جزئياته ويعد الواقع فيها بديلاً عن الاسطورة والخيال.

وقد أوحت القصة الهامشية، التي تعالج المسائل التي تمس التربية، إلى الكاتب هوفمان لاصدار مجموعته «اخوة المعبد المصري القديم» Serabions-brudor ان لودفج تيك (١٧٧٣ ـ ١٨٥٣) Ludwig Tieck هو الرومانتيكي الوحيد الذي تخرج من الجامعة ونال التعليم العالي حيث درس اللغات والأدب، كما أنه أصدر رواية نوفاليس بعنوان «هاينريش فون اوفتردنكن» Heinrich von Ofterdingen وتتحدث الرواية عن مصير أحد الشعراء وتعبر عن حتمية الخلود في عبارات شعرية تعكسها صفحات الرواية. وأشار تيك في مقدمة الرواية إلى أن نوفاليس هو الذي ارتأى التعبير عن الجوهر الحقيقي للشعر وتوضيح أهدافه الاستبطانية.

وعلى ضوء ذلك كان يجري تحول للطبيعة والتاريخ والحرب وأحداثها ومشاكل الحياة البرجوازية لخضم معاناتها اليومية، إلى عملية شعرية بحتة وذلك لأن الشعر بمثابة الفكر الذي يعكس جميع الأشياء والعواطف

Twitter: @abdullah_1395

الانسانية وافرازاتها اليومية.

وإلى جانب رواية نوفاليس الكبيرة بعنوان «متعلمو زائيس» Lehrlinge zu Sais التي تطرح مسائل عملية عن الطبيعة والمعرفة الذاتية للانسان كما في رواية هاينريش فون اوفنتردنكن لنوفاليس التي نشأت على ضوء مناقشتها للمسائل التي طرحها كوته في روايته «وليم مايستر». وتوجد ايضاً المجموعة الشعرية بعنوان «تراتيل إلى الليل» Hymnen an die Nacht وهي تشكل نموذجاً شعرياً خاصا.

كانت مواضيع ولغة هذا الشعر مستوحاة من الصوفية ومذهب التقوى Pietismus الذي انتشر في المانيا في القرن الثامن عشر. كما ان الشعر الفلسفي المتحرر من القافية اليونانية القديمة، اتخذ له مساراً قريباً من الحركة الرومانتيكية، وكان يمثله هولدرلين (١٧٧٠ ـ ١٨٤٣) Friedrich Holderlin في ترانيمه الشعرية. لقد كان هذا الانتاج الشعري ضئيلاً بالنسبة لأعمال نوفاليس النظرية، ولكنه كان ايضاً نموذجاً للشعر الرومانتيكي حينذاك.

٢ ـ كليمنس برنتانو (١٧٧٨ ـ ١٨٤٢):

تعد حياة برنتانو لغزاً حيث عاش من صناعة الشعر وفقد في النهاية انسجامه الفكري وكان مؤلفاً لكثير من المسرحيات والاساطير والاشعار. وقد أصبح عام ١٨١٧ م [illegible]ياً بصورة رسمية بعد ان تخلى عن الدين لفترة طويلة، كما لم تصدر في المانيا أية طبعة تضم جميع أعماله الشعرية والأعمال النثرية وربما لعدم اهتمام القراء بمشاكل ذلك العصر ولتقادم الزمن عليها.

وقد جعلت منه هذه القصائد والاغاني الكثيرة التي نشرها عن حبه لنهر الراين، مشهوراً قبل غيره من الرومانتيكيين.

وكان فكره يتوقد دائماً بنماذج من التراث الألماني والايطالي والسباني، وفي نشر الاساطير عن نهر الراين. وقد أظهر برنتانو تعاطفه مع تراث القرون الوسطى وذلك في قصته التي نشرت بين عام ١٨٠٢ وعام ١٨٠٦ بعنوان «قصة التلميذ المسافر» Die Chronika des Fahrenden Schulers.

Twitter: @abdullah_1395

وكان برنتانو ينتقي من تراث القرون الوسطى مبادىء مذهب التقوى الديني القديم الذي يمتزج فيه العالم السحري بالمسيحية.

وتتميز أعماله، لا سيما قصة كاسبر الشجاع Geschichte .. vom bra-ven Kasper وكذلك «انرل الجميل» Der Schone Annerl اللتان نشرتا عام ١٨٣٨ وصور فيهما عالماً واقعياً في الريف تطغى عليه سلطة القضاء والقدر، إلا ان هذا العالم يتحول في النهاية إلى عالم تسوده الروعة والرغبة في حب الحياة.

ونجد في شعر برنتانو ثروة من الاشكال الفنية لا نجدها في اشعار الرومانتيكيين الآخرين منها الاناشيد والاغاني القريبة من روح الشعب، كما نجد القصيدة الفنية والقصائد الغنائية ذات البناء الفني العالي.

لقد شيد برنتانو اساس شعره بمساعدة صديقه آخيم فون آرنيم (١٧٨١ ـ ١٨٣١) وذلك في المجموعة التي تحمل عنوان «الصبي فوندرهورن» Der Knabe Wunderhorn وحافظ برنتانو على الصدق من الناحية اللغوية اكثر من آرنيم، ويلمس القارىء في مؤلفاته اهتماماته التاريخية في نقل الحدث وتغييره في الشعر ليصبح مرآة للحاضر، ان أول رواية لآرنيم هي «فقر، ثراء، ذنب وكفارة النبيلة دولوريس» Armut, Re-ichtum und Busse der Grafen Dolores التي صدرت عام ١٨١٠ وكانت بعيدة عن أسلوب الرواية التي تتحدث عن الفنانين، ولكنها كانت قريبة من مفهوم رواية العصر.

وعالج في اعماله التحولات السياسية والاجتماعية في عصره ولكنه كان يفتقر في معالجاته إلى أرضية واقعية يستند إليها.

في عام ١٨١٧ أصدر آرنيم أول رواية تاريخية بجزئين بعنوان «حارس التاج» Kronwachter وظهر تأثره في هذه الرواية بطريقة دمج الخيال مع احداث التاريخ وانعكس ذلك بوضوح ايضا في رواية «ايزابيلا المصرية» Isabella von Agypten.

Twitter: @abdullah_1395

٣ ـ يوزيف آيشندروف (١٧٨٨ ـ ١٨٥٧) Eichendorff

أما ايشندورف فلم يعكس في أعماله التصدع الذي أصاب برنتانو وهوفمان فقد كان يتسلح بتمسكه الشديد بالاتجاه الكاثوليكي للمسيحية، فمثلاً في روايته «احساس وحاضر» Ahnung und Gegenwart التي صدرت عام ١٨١٥ يبحث النبيل في النهاية عن الشفاء في الدير. وعلى عكس الرواية التربوية والتعليمية، فإن هذه الرواية تنقصها الأحداث المختلفة والمغامرة التي تمنح البطل فكرة تعليمية معينة. ويفتقر أدبه إلى المغامرة البطولية والأحداث المتعددة التي يغلب عليها التشنج، كما ان الاضطراب الفكري يغلب على رواياته، ولكن أدبه رغم ذلك يظل يبحث عن الشعر والنغم الحقيقي للحياة. ان نغم الحياة يستطيع تغيير الحياة نفسها وقد استخدم آيشندورف من أجل ذلك اللغة الشعرية التي تعبر عن حدث معين وليس عن حكاية ساذجة تخلو من معنى. ويعني ذلك ان آشيندورف ساهم في فصم العلاقة مع الواقع.

إن روايته النموذجية بعنوان «من أجل حياة شخص خامل» Aus dem Leben eines Taugenichts لم تعتمد على التحليل الوصفي والشاعري للبطل، بل اعتبره الكاتب نموذجاً مطابقاً لصورة الشخص الذي يلجأ إلى الاحلام الرومانتيكية. ان السخرية تكمن في ان الشخص الخامل ليس ضاراً فحسب، بل انه شخص يرفض الاستسلام بدون شروط لمبدأ القدرة على العمل.

إن دعابة آيشندورف هي رد فعل طبيعي لأحداث عصره وتقاليد المجتمع. وفي نطاق فنه القصصي مثل روايته صورة مرمرية Marmor-bild التي تعكس المغزى الرمزي فإن روايته قصر دوراندة Das Schloss Durande التي صدرت عام ١٨٣٧ تشكل استثناء في طريقة كتابتها على غرار اسلوب كلايست.

كان آيشندورف آخر فارس من فرنسا الرومانتيكية، فقد دخل إلى هذه الحركة منذ البداية وقد عكست ذلك كتاباته الغزيرة التي صدرت في ايامه الأخيرة لاسيما كتابه «حول الأهمية الدينية للشعر الرومانتيكي الاجدد في المانيا» الذي صدر عام ١٨٥٧.

Twitter: @abdullah_1395

كان كلايست وهوفمان بعيدين عن تجمعات الرومانتيكيين، وقد أشرنا إلى ان الرومانتيكيين كانوا يقيمون مراكز خاصة بلقاءاتهم وتجمعاتهم في هايدلبيرك وبرلين وغيرها من المدن.

٤ ـ كلايست (١٧٧٧ ـ ١٨١١) Heinich v. Kleist

كانت علاقة كلايست بالرومانتيكيين علاقة عابرة، اللهم سوى اسهامه في تحرير مجلة «برلينر آبندبلتر» وكذلك اشتراكه في اجتماعات «جمعية الطاولة الألمانية المسيحية».

إن مسرحيات وروايات وقصص كلايست لا تنتمي إلى الحركة الرومانتيكية، ولا إلى الكلاسيكية الألمانية. إلا ان بعض هذه الأعمال يقترب في اتجاهه من العالم الورمانتيكي الذي ينشده الرومانتيكيون مثل المسرحية الاسطورية «كتشن فون هايلبرونن» Katchen von Heilbronen وكذلك مسرحية «أمير هومبورك» Prinz von Hoburg ومسرحية «انهيار الماركيزة أوو...» Ohnmacht der Marquise von o... ومسرحية «جنون بنتزيلا» Raseei der Penthesilea.

إن ابتعاد هذه الأعمال عن الكلاسيك الألماني يبدو واضحا وذلك عندما يقارن المرء بين هذه الأعمال القيمة والاضراب العاطفي لكلايست وكذلك الفوضى الفكرية التي تطغى عليها، الأمر الذي دفع كلايست فيما بعد إلى الانتحار مع حبيبته قرب احدى البحيرات في برلين.

إن أزمة الفيلسوف كانت Kant التي تتلخص بعدم بلوغ أي شيء، وكذلك خيبة الأمل من المجتمع الفرنسي التي جرى تقييمها من خلال أعمال روسو عام ١٨٠١ حملت كلايست على التراجع عن العالم الواقعي وأدت به إلى البحث عن حياة جديدة للفن تعتمد على ايجاد نظام جديد للحياة في الفن.

وقد انتقل هذا الصراع إلى مسرحياته وقصصه ولذلك نجد أن مسرحياته تقدم نظرة شاملة عن العواطف المتغيرة لدى الأبطال، كما أن تطور الأحداث يعتمد على مجال الصراع النفسي الداخلي.

ويؤدي هذا الصراع إلى تأزم الأحداث من خلال ديالكتيك الأنا

Twitter: @abdullah_1395

والعالم والعاطفة والكراهية وبين المشاعر الشخصية وقوانين الدولة الصارمة التي تحد من حرية الفرد. فمثلاً في رواية «ميشائيل كولخاز» تعتمد على البطل الذي يتغير بقابلية الفرز بين الحقيقة والباطل. ثم يكتشف البطل بالتدريج مساوىء النظام الفاسد ويعري البنية الهرمة للمجتمع.

وفي رواية «هزة أرضية في شيلي» Erdbeben in Chili يقوم السجناء بمساعدة السكان بازالة الانقاض ومساعدة السكان في محنتهم، وهنا يتعاطف كلايست مع هؤلاء الذين سحقتهم قوانين المجتمع ويكشف لنا في نفس الوقت عن الخبايا الطيبة في نفوسهم.

ونجد الماركيزة فون أوو ... منشغلة بعواطفها وتسعى لاحتواء الرجال دون مبالاة لتقولات الناس عنها.

كان كلايست يهتم دائماً في رواياته وقصصة ومسرحياته بموضوع الشرف الزوجي، فقد كانت مقاييس ومثل المجتمع في زمانه عن هذه المثل والقيم التي أفرزتها المجتمعات الاقطاعية على مر العصور.

أما كوميديا » «الجرة المكسورة» Der zerbrochene Krug التي صدرت عام ١٨١١ فقد عرى فيها حاكم القرية نفسه بنفسه إذ اجتازت هنا حدود الرومانتيكية. ويشير الناقد الألماني البروفسور هانز ماير (١٩٠٧ ـ) إلى أن أعمال كلايست تحمل بذور عصر التنوير كما ان أعماله لا تنتمي فقط إلى الحركة الرومانتيكية بعض الشيء، بل تتعداها إلى أبعد من ذلك.

٥ ـ هوفمان (١٧٧٦ ـ ١٨٢٢) E.T.A. Hoffmann

ينطبق مفهوم الرومانتيكية على الكاتب هوفمان فقد شجعه على تأييد الحركة الرومانتيكية كل من ادوارد هتسج E. Hitzig وزخاريس فيرنر Z. Werner.

لقد كان حب الوطن بعيداً عن تفكيره لأنه كان يتنقل من مدينة لأخرى من بوزن إلى وارسو ومن بامبيرك إلى درسدن ومن درسدن إلى برلين.

وينبغي أن ندرك ان المانيا كانت في زمانه مقسمة إلى دوقيات وكان سكان الدوقية يتعصبون لدويلتهم أكثر من تعصبهم لألمانيا. لقد جاء

Twitter: @abdullah_1395

هوفمان من وسط التأليف الموسيقي إلى التأليف القصصي بصورة متأخرة، وقد حدث ذلك أثناء وجوده في مدينة بامبيرك في المانيا، وقد حاول ان يجد في مدينة كونكزبورك Konigsburg موطىء قدم له في مجال التأليف الموسيقي لمواصلة معيشته ولكنه لم يوفق إلى ذلك.

لقد ضيقت ظروف العصر والبؤس الاقتصادي وكذلك افلاس مسرح بامبيرك مجال المعيشة عليه وكان آخرها قبل وفاته عندما أمر مدير بوليس برلين عام ١٨٢٢ بمصادرة مسودات سمفونيته الموسيقية «مايستر فلو» Meister Floh واضطر هوفمان إلى ممارسة المحاماة لكسب قوته، إلا أن الفن ظل محور تفكيره ونشاطه كما ظل الواقع الاجتماعي محور أعماله الأدبية.

وفي أول رواية نشرها هوفمان بعنوان «فارس كلوك» Ritter Gluck بين عامي ١٨٠٧ و١٨٠٨ تتجسد فيها بوضوح قابليته في السرد الروائي وكيف استطاع ان يحول لنا الأوهام إلى واقع والاحلام إلى حقيقة.

إن عدم انسجام الحياة الداخلية مع الحياة الخارجية التي يحياها الفنان وشعوره بأنه مهدد باستمرار بضرورة التكيف مع اشكال الحياة المختلفة، رغم عدم قناعته بها، كانت السبب الرئيسي لصدور المجموعة القصصية الثالثة بعنوان «اخوة سيرابيون» Serapionsbruder وقد عبر فيها عن هذا المخاض الاجتماعي. وقد صدرت هذه المجموعة بعد صدور مجموعة «أقاصيص الليل» Nachtstucke عام ١٨١٧ وحتى عام ١٨٢١.

وتضم هذه المجموعة أيضاً قصصاً وأحاديث وتأملات اعتمد فيها هوفمان على اسلوب سلفه تيك لاسيما في قصته «الخيال» Phantasus.

وكان هوفمان يحاول في قصصه تحويل الخيال إلى واقع، كما أن هذه المجموعة تعد بالنسبة لهوفمان نموذجاً للاستشهادات والأمثلة الساخرة وتحويل القوالب الاجتماعية الجاهزة إلى أشكال وأفكار جديدة، ويرتبط هذا الخيال الغريب بالجنون والأفق الضيق والجمود الرومانتيكي والمثال الأعلى للجمال الكامل. وهذه كلها ظواهر لمجتمع ذلك الزمان وعالجها هوفمان بقلمه وشرَّح فيها الطبقة البرجوازية ذات الأفق الضيق والتي تعيش على هامش الحياة، كما كشف لنا كيف ان المجتمع يقود الإنسان

Twitter: @abdullah_1395

احيـاناً إلى هاوية الجنون.. وقـد زاوج هوفـمـان بين الاسطورة والواقع المعاش.

وتنعكس القابلية القصصيـة والسرد الروائي لهوفمان في روايته «هر مور» Kater Murr التي صدرت بين عام ١٨٢٠ وعام ١٨٢٢. وتتجسد فيها نهاية ومـصير قائد الفـرقة الموسيقـية (الاوركسـترا) يوهانس برايسلر، الذي ينحدر إلى مصير غامض ويتبادل في النهاية حوارا مع الهر في مكان مظلم كدليل على عدم فهم المجتمع للفنان وعلى الشقاء الفكري الذي يعانيه الفنان في ذلك الوقت.

وقد انتـقد فيـها المجتمع الألماني نـقداً حاداً، كمـا ان النقد الاجتـماعي حينذاك حدد للرواية مـلامحها الأساسـية في القرن التاسع عشر لاسـيما عند الكاتب فونتانة Fontane (١٨١٩ ـ ١٨٩٨).

إن هذه الأعمال النموذجية لهوفمان لا تشكل لديه نقطة التحول النهائية إلى الأدب الرومانتيكي. ولو القينا نظرة على الأعمال التي سبقت هوفمان، لادركنا ان التعبير عن الأنا والعالم وكذلك عن المجتمع والانسان لم يتحقق بصـورة مـباشـرة، بل أنه حـدث من خـلال المرور بمسـالك وعـرة بدأت بتصاعد وتأثر الخيال عند الكاتب. وقد أدى هذا التصاعد في الخيال، خلال الفتـرة من ١٨٠٠ وحتى ١٨٢٢، إلى افـراز فيض من الأشكال والأعـمال الفنية والأدبية الجيدة.

إن المزيج الذي يتكون من الحلـم والحنين وتصوير الأشـيـاء الغريبـة وتجـسـيـد الخيـال والتـعبـيـر عن المضحك المـبكي في الحيـاة (Grotesk) واكتشاف أعماق النفس البشرية، كانت جمـيعها بديلاً للحياة اليومية التي كانت تضطر الانسان إلى الهرب منها.

لقد أفرزت الحركة الرومانتيكية أعـمالاً رائعة رغم جنوحها إلى الخيال والحنين والحلم، فـقد كان ممـثلوها يفتـقرون إلى تبني فلسـفة واضـحة لتحليل أمور الحياة تحليلاً واقعياً ينطلق من أرضية صلبة، ورغم ذلك فإن أعمالهم اتسمت بمـسحة انسانية لمرحلة تاريخية وأدبـية معينة في الأدب الألماني.

Twitter: @abdullah_1395

عصر التنوير ـ تجسيد لارهاصات عصـــر ألـف ليلـة وليلـة

١ ـ الحركة الفلسفية لعصر التنوير : (١٧١٠ ـ ١٧٨٥)

تعد حركة التنوير الألمانية تجسيداً سـياسياً وفكرياً للطبقة البرجوازية ولأفكارها التي استهدفت ازالة الاقطاع والتـخلف واشاعة الحرية الفكرية ثم تقليص نفوذ الكنيسة.

كما اسـتهدفت أفكار عصر التنوير اطلاق العنان للعـواطف الإنسانية في الشـعر والأدب ومـحاربة التـعبـير الشكلي المصطنع لأدب البـلاطات والصالونات الاقطاعية في المانيا ومنح العقل المقام الأول.

إن حركة التنوير هي ايدلوجية التحضير للثورة البرجوازية، أما أساس هذه الحركة فهو الكفاح التحرري الذي خاضـته البرجوازية الألمانية لتعبيد الطريق أمام التطور الرأسمالي حينذاك.

وقـد كـان على البرجـوازية التي قـادت النضـال أن تضطلع بمهـمـة ممارسة النقد الذي استهدف الكنيـسة والاقطاع، حيث كانت الكنيسة تقف بوجه التـطور العلمي. كمـا استهـدف النضال تحـرير العقل البـشري من جميع الخرافات والمعتقدات الغيبية.

كانت حركـة التنوير حدثاً حاسمـاً في عملية تطور المجتـمع الانساني حيث جرى تحطيم القيود والاغلال التي كانت تشل الفكر الإنساني وكذلك نشر مـفاهيم وقـيم جديدة تنسـجم ومرحلة التطور الـتي ستضطلـع بها البرجوازية الألمانية في كفاحها ضد الاقطاع والتمزق الجغرافي.

Twitter: @abdullah_1395

وقد استطاعت هذه الأفكار ان ترى النور في فرنسا وانجلترا حيث كانت البرجوازية قد دعمت سلطتها الاقتصادية في هاتين الدولتين الموحدتين في حين كانت المانيا في هذا الوقت ممزقة الأوصال ومقسمة إلى مئات المقاطعات والامارات.

وفي فرنسا مثلاً مهدت حركة التنوير هناك لقيام الثورة الفرنسية، أما في المانيا فقد اتسمت حركة التنوير بطابع خاص له مميزات تاريخية وقومية. وذلك بسبب التجزئة السياسية وضعف البرجوازية، الأمر الذي جعل البرجوازية تقدم تنازلات مؤقتة خوفاً من البطش والارهاب حيث كانت تنقص البرجوازية الألمانية التجربة السياسية والثورية.

لقد كانت حركة التنوير في ألمانيا جزءاً من الصراع الطبقي العالمي الذي انعكس في نضال البرجوازية المتطورة اقتصادياً والناضجة لمرحلتها التاريخية كما اثر كفاح البرجوازية الانجلزيزية التي كانت تمسك بزمام السلطة السياسية على نضال البرجوازية الألمانية.

وثمة حقيقتان رسمتا معالم طريق النضال في المانيا واوروبا. الحقيقة الأولى هي الانتقال من انتاج المانيفكتورة الرأسمالية إلى الإنتاج الآلي، والحقيقة الثانية استقطاب الكفاح الأوروبي ضد الاقطاع الذي تكلل بالثورة الفرنسية.

ومن أجل تحقيق هذين الهدفين لابد من وجود علم مادي وتجريبي حيث أن نمو الصناعة شجع التطور السريع للعلوم التجريبية والرياضية والتكنيكية. وقد أدى ذلك بالطبع إلى اشتداد حدة الصراع الطبقي ضد الاقطاع إلا أن العائق الوحيد الذي كان يقف أمام تطور وتعميق الحركة الثورية والديموقراطية هو الدين وسيطرة الكنيسة إذ كان الدين يرتبط بالتراث القديم لثقافة القرون الوسطى في اوروبا. وما دامت سيطرة الكنيسة لم يتم تقويضها فكان ينبغي اذن والحالة هذه ان ينمو جنين الثورة البرجوازية في رحم الدين المسيحي، كما حدث في الثورة الانجليزية في القرن السابع عشر.

ومن جهة أخرى كان الفلاسفة الماديون قد استنفذوا جميع أسلحتهم العلمية ضد الدين المسيحي وتم فيما بعد تحرير العلم من سيطرة الكنيسة

Twitter: @abdullah_1395

وأفكار القرون الوسطى.

أما في فرنسا فقد كان فلاسفة البرجوازية التقدميون يعتبرون النظام الاجتماعي نظاماً انحرف عن جادة الصواب والعدالة، الأمر الذي يتحتم تغييره إلى نظام أفضل.

٢ ـ مسار التطور في ألمانيا منذ حرب الفلاحين الألمانية حتى الثورة الفرنسية:

تدهورت ألمانيا سياسياً واقتصادياً منذ حركة الاصلاح الديني في الحادي والثلاثين من شهر اكتوبر ـ تشرين الثاني عام ١٥١٧ عندما قام مارتين لوثر بكتابة ٩٥ اعتراضاً ضد بيع الغفرانات وذلك على باب الكنيسة.

وقد أدى هذا العمل الجريء إلى قيام حرب الفلاحين الألمانية التي استمرت من عام ١٥٢٤ وحتى عام ١٥٢٥ ثم حرب الثلاثين الألمانية التي استمرت من عام ١٦١٨ وحتى عام ١٦٤٨ وقد أدى هذا كله إلى اضعاف المانيا في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية.

ومن الطبيعي ان هاتين الحربين حالتا دون نمو طبقة برجوازية لها أفكارها بشأن التطور في البلاد.

وكان أغلب المثقفين الألمان يعتمدون حينذاك في معيشتهم على بلاطات الأمراء والنبلاء الاقطاعيين حيث لم تكن هناك مجالات أخرى أمامهم للتحرر من هذه التبعية بسبب الركود الاقتصادي والدمار الذي تعرضت له البلاد بسبب الحروب، كما لم تترعرع في رحم هذا المجتمع سوى طبقة البروليتاريا وصغار الفلاحين المعدمين الذين شكلوا جيش الثورة في المستقبل.

وكانت هذه الطبقة من الضعف بمكان لدرجة أنها لم تكن قادرة على ازالة العوائق والعقبات التي تقف في طريق اقامة الوحدة وتصفية التجزئة وازالة التمزق.

وقد ظل هذا الشعور الوطني بالوحدة وتصفية الاقطاع يراود مخيلة الجماهير غير أنه في مثل هذه الأوضاع في الدويلات الصغيرة الألمانية

Twitter: @abdullah_1395

كان متعذراً إذ ان المستلزمات الاقتصادية كانت هي التي تقف في المقدمة من أجل نمو طبقة برجوازية قبل أي شيء آخر، ولذلك حدث ائتلاف بين النبلاء والطبقة البرجوازية الصغيرة تحت قيادة النبلاء وقد استهدف ذلك اشاعة الدمقراطية كمرحلة انتقال من أجل تصفية الاقطاع ومواصلة نضال البرجوازية من أجل استلام السلطة السياسية، كما حدث في الثورة الفرنسية. وكان من نتائج هذا التحالف الطبقي بين الاقطاعيين والبرجوازيين الصغار ان سيطر الاقطاعيون على المراكز الحساسة والعالية في المجتمع في حين كان نصيب البرجوازية الصغيرة المناصب الضئيلة.

ورغم هذا التخلف في الحياة السياسية والاجتماعية منذ ان بدأت البرجوازية تنمو وتعد نفسها لقيادة النضال ضد الاقطاع واستلام زمام القيادة السياسية بعد عزلة طويلة عن الاتجاهات التقدمية في دول اوروبا، فقد بدأت هذه الطبقة تقترب فكرياً من حركة التنوير في انجلترا وفرنسا واستيعاب مضمونها وأهدافها السياسية والفكرية والاقتصادية.

٣ ـ القاعدة الاجتماعية لحركة التنوير الألمانية:

كانت البرجوازية الألمانية في القرن الثامن عشر تفتقر إلى الشروط الموضوعية لتفجير أفكار حركة التنوير، فقد كان على حركة التنوير ازاء هذا الوضع قبول شكل سياسي ملائم. فمن جهة كانت حركة التنوير الألمانية مرتبطة في عملية انتقال الأفكار التقدمية إلى اوروبا لاسيما انجلترا وفرنسا، ومن جهة أخرى كانت تناضل ضد الأوضاع السائدة في المانيا.

وقد انعكس ضعف البرجوازية ومعاناتها في الكفاح الشاق الذي خاضه ممثلو حركة التنوير في المانيا.

لقد اجتازت حركة التنوير الألمانية في البداية عدة مراحل من التطور في مسيرتها الطويلة. فقد استطاع المفكرون الذين يمثلون مرحلة التطور المتقدمة، أمثال لسنك وكانت وهردر وفيلاند وجوته من توضيح موقفهم من ستينات وسبعينات القرن الثامن عشر، ومن ناحية أخرى كان ينبغي

Twitter: @abdullah_1395

على هؤلاء المفكرين اعارة أهمية بالغة للتمزق الجغرافي الذي طبع حالة البؤس في المانيا بطابعه.

ومنذ اجهاض حرب الفلاحين الألمانية قبض الاقطاعيون على زمام السلطة والسيادة المطلقة وقد ساعدت حرب الفلاحين على تعميق هذا الاتجاه. وقد تطور في القرن الثامن عشر اتجاه خطير في المقاطعات الألمانية استهدف تعميق الانفصال ووضع العراقيل في طريق تطور المانيا إلى مجتمع رأسمالي حديث وقيام وحدة المانية وطنية والوقوف ضد نمو البرجوازية الوطنية.

وعلى النقيض من الحكم المطلق في فرنسا وانجلترا الذي حقق الوحدة الوطنية المركزية، فإن الحكم المطلق في المانيا كان معادياً لفكرة الوحدة الوطنية وكان يقف على طرفي نقيض مع متطلبات التطور والتقدم، كما لم يساعد مثل هذا الوضع على تكوين ثقافة وطنية وتقدمية ولو بصورة محدودة.

وقد عكس تقليد النبلاء والأمراء الاقطاعيين للثقافة الفرنسية صورة مشوهة في قصورهم، حيث كان فردريك الكبير يقول «انني لا أتكلم الألمانية إلا مع خيولي». وكان هذا الملك الألماني لا يتكلم في قصره سوى الفرنسية. كما باءت محاولات ممثلي حركة التنوير الألمانية الرامية إلى اجراء اصلاحات جذرية وبلورة الأفكار التقدمية من خلال تقديم تنازلات وقتية للنبلاء الاقطاعيين أو العمل في قصورهم كمربين لابنائهم، بالفشل وذلك بسبب التخلف الفكري لهؤلاء الاقطاعيين وارتباط مصالحهم الاقتصادية بالحكم التعسفي للدويلات وادراكهم ان وحدة الأمة الألمانية ستلحق الضرر بمصالحهم وستقلم اظافرهم وتمهد بالتالي الطريق أمام البرجوازية الوطنية لاستلام القيادة السياسية والفكرية في البلاد.

لقد اتجه ممثلو حركة التنوير في المانيا في نضالهم من أجل انضاج خميرة أفكار التحرر من ربقة الاقطاع وسيطرة الكنيسة بمعتقداتها البالية، إلى الاغتراف من أفكار ممثلي حركة التنوير في كل من فرنسا وانجلترا والدول الاوروبية الأخرى.

وكان ممثلو حركة التنوير يفتقرون إلى الاسناد المعنوي والسياسي

Twitter: @abdullah_1395

لأية حركة ثورية يقومون بها، ولذلك اتجهوا إلى الأدب والفلسفة لنشر أفكارهم خوفاً من اضطهاد السلطة لهم، في حين استخدم ممثلو حركة التنوير في فرنسا السياسة سلاحاً لهم لتوجيه النقد واللوم إلى الملك لويس الرابع عشر.

ويعد الفيلسوف صامويل بوفنورف (١٦٣٢ ـ ١٦٩٤) أول رواد حركة التنوير في ألمانيا. وطالب في مؤلفاته بضرورة حماية المواطن من التعسف الاقطاعي ونشر العلوم والغاء الضرائب التي تفرضها الكنيسة على الفلاحين.

ويعد الفيلسوف لايبنس (١٦٤٦ ـ ١٧١٦) أحد تلاميذ مدرسة الفيلسوف ديكارت. لقد سار الفيلسوف الانجليزي لوك في الطريق المادي، إلا ان لايبنس سار في الطريق المثالي في فلسفته. كما خاض الفيلسوف الثالث لحركة التنوير الألمانية كريستيان توماسيوس (١٦٥٥ ـ ١٧٢٨) نضالاً عنيفاً ضد الغيبيات وممارسة السحر والشعوذة وهاجم الكنيسة الارثذوكسية وطالب بتحرير العلوم من تبعية الكنيسة مما أثار عليه غضب انصار الكنيسة واتهموه بالكفر. وقد تعرض توماسيوس وكذلك الراهب هرمان فرانكة إلى الملاحقات المستمرة فانتقلوا مع مؤيديهم إلى جامعة هالة.

وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نفهم أهم خصائص بدايات حركة التنوير الألمانية عنها في اوروبا والكفاح العسير الذي خاضته في سبيل نشر أفكارها.

٤ ـ المقومات الاجتماعية لحركة التنوير:

كان كفاح الشعب الألماني من أجل تكوين أدب قومي عملية شاقة وصعبة. وفي غضون هذه المسيرة العسيرة ظهرت قفزات وعثرات في مجال الثقافة الفكرية، فمن ناحية كانت تظهر حالات تدفع بالأدب القومي إلى الأمام بوتائر سريعة، ومن ناحية كانت تظهر حالات تدفع بالأدب القومي إلى الأمام بوتائر سريعة، ومن ناحية أخرى كانت تمر حالات تتسم بالجمود ووضع علامات الاستفهام ازاء المكتسبات الفكرية والثقافية.

Twitter: @abdullah_1395

وثمة أربعة عوامل تاريخية اضطلع بهـا الشعب الألماني خلال مسيرته هذه تحت ظروف تاريخيـة مختلفـة لحل المسـائل الوطنيـة على أسس ديموقراطية.

أولا: حرب الفلاحين الألمانية.

ثانيا: عصر الاصلاح الديني بقيادة مارتين لوثر.

ثالثـا: قيام مـارتين لوثر بوضع اسـاس اللغة الألمانيـة وذلك بترجـمة الانجيل من اللاتينية إلى اللغة الألمانية.

رابعاً: اختراع الطباعة.

أما فيـما يتعلق بالتـحرر الفكري فقد كـان فولتير وديدرو وديلامـبير ولامتري وهولباخ وهلفيوس وروسو خير مـدرسة يتتلمذ فيها قادة الفكر في المانيا أمثال لسنك وكلوبشتوك وجوته وشلر وكانت وفشتة وهيغل.

وكان من نتائج تأثـير أفكار عصر التنوير الفرنسي عـلى ممثلي عصر التنوير الألماني أن نشر لسنك مسرحية «اميليا كالوتي» وكتب كلوبشتوك «قصائد للأمة الألمانية» كما نشر جـوته مسرحية «كوتس فون برلشنكن» ونشـر فريـدريش شلر مسـرحـيـتين هادفتـين تقارعـان الاقطاع وهمـا «اللصوص» و«كيد وحب».

وقد كـانت هذه الأعـمال صرخـات احتـجاج ضـد التعـسف الاقطاعي ونداءات من أجل الثورة والوحـدة الوطنية وبواكير الكفـاح المناهض للجو الفكري الرجعي الذي ساد قصور الاقطاعيين.

في هذه الفـترة بالذات تفـتحت براعم الأدب الكلاسـيكي الألماني الذي كان يستلهم تـراث الاغريق، وكان رائد هؤلاء المفكرين والكتاب شكسـبير الذي اعتبره الألمان رائـد المسرح الشعبي في فترة التـحول البرجوازي في انجلترا وذلك في اطار حركة التنوير وايدلوجيتها السياسية.

اتسم الأدب في المانيا في مـنتصف القرن الثـامن عشر بطابع مـحافظ غير مستقر وذلك لضعف البرجـوازية الألمانية وعوامل التجزئة السياسية الطويلة التي عاشـتها المانيـا الأمر الذي جعل هذه الطبـقة غيـر قادرة على تطوير مصالحها وتجسيدها في اطار سياسي منظم.

Twitter: @abdullah_1395

ولم تكن امام البرجوازية ازاء هذا الوضع، سوى اللجوء في النهاية إلى الاساليب الثورية لتغيير الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية مثل تحقيق الوحدة الاقتصادية وانشاء سوق موحدة.

لقد كان هذا الكفاح ينطلق من الحقائق التاريخية التالية:

١ ـ إن القاعدة الاقتصادية للبرجوازية لم تعد ضعيفة كما كانت عليه في القرن السادس عشر حيث اعتمدت على الأعمال اليدوية والرأسمال التجاري فقط، بل اضحت تعتمد على المانيفكتورة ايضا.

٢ ـ كانت اوروبا قد اكتسبت خبرات أكبر ثورتين حدثتا في هولندا وانجلترا.

٣ ـ اكتشافات كاليلي واولاف رومر ونيوتن في مجال العلوم الطبيعية لاسيما الميكانيك، مما أدى إلى انهيار الرؤية الدينية للعصور الوسطى وسيادة النظرة العقلانية.

٤ ـ كانت حركة التنوير الانجليزية والفرنسية قد اعلنت مطلبها الأساسي من أجل توحيد الفلسفة الايدلوجية على أساس علمي، الأمر الذي أدى إلى اقتلاع جذور المؤسسات الاقطاعية. كما وجهت حركتا التنوير في فرنسا وانجلترا ضربة قاصمة لايدلوجية القرون الوسطى.

٥ ـ ظهور لغة المانية قومية مشتركة أضحت أساسا لتطور الثقافة الشعبية كنتيجة لبداية الهجوم على أسلوب التفكير الاقطاعي للقرن السادس عشر.

٦ ـ وقوف اوروبا على عتبة عاصفة قوية من الثورات البرجوازية، إذ كانت فرنسا تشكل حجر الزاوية في التمهيد لهذه الثورات.

كانت فرنسا بالنسبة للألمان نموذجاً حياً للثقافة الفكرية والحضارة الاجتماعية والسياسية. لقد انعكست هذه التيارات على حركة التنوير الألمانية لاسيما على الاتجاه الكلاسيكي الألماني الذي تجسد في مسرحية فاوست التي عبرت عن المضمون السياسي للتطور البرجوازي في المانيا والنضال ضد ايدلوجية الاقطاع ومفاهيمه البالية.

لقد تطور الأدب الألماني في القرن الثامن عشر كبقية دول اوروبا وذلك

Twitter: @abdullah_1395

في اطار حركة التنوير التي قادتها الطبقة البرجوازية (الطبقة الوسطى).

٥ ـ ممثلو مرحلة الانتقال إلى حركة التنوير:

في أواخر القرن السابع عشر ظهرت في الأدب الألماني ارهاصات حركة التنوير وايدلوجيتها.

وكان يمثلها كريستيان فايزة وكريستيان رويتر ثم أضحى توماسيوس فيما بعد رائداً للغة الألمانية وذلك عندما نبذ اللغة اللاتينية في الكتابة وأسس مجلة علمية نشر فيها أفكار عصر التنوير باللغة الألمانية وقد لمع في عالم الشعر اسمان هما هاينريش بروكس وفريدريش فون هاكدون. وجسد هذان الكاتبان في شعرهما أفكار حركة التنوير إلى جانب كريستيان كونتر الشاعر الذي يرتفع بشعره إلى مصاف أشعار كلوبشتوك وجوته.

يعد الكاتب والمؤرخ الأدبي كوجيت أول من وضع لبنات الأدب القومي الألماني وذلك عندما نشر عام ١٧٣٠ كتابه «محاولات لفن الشعر النقدي» ثم نشر فيما بعد عمله الشعري «كاتو الميت».

وقد مارس كوجيت تأثيراً كبيراً على لسنك ولكن لسنك انتقد كوجيت فيما بعد لمحاولاته نقل المسرحية الفرنسية إلى المانيا، في حين كان لسنك يرى في مسرح شكسبير نموذجاً للمسرح الألماني وكان يرى في المسرح الفرنسي عائقاً أمام تقدم المسرح الألماني وهو في بداية تطوره وذلك لأن المسرح الفرنسي كان مسرحاً كلاسيكياً في تركيبه وكان يتقيد بقواعد ارسطو تقيداً أعمى لا سيما فيما يتعلق بتطبيق الوحدات الثلاث.

وقد انتقد لسنك طريقة كوجيت في الترجمة عن الفرنسية وطريقة اختياره للمسرحيات الفرنسية التي كان يجري عرضها على المسارح الألمانية.

وقد احتدم النقاش بين كوجيت واثنين من أساتذة زوريخ هما بودمر وبرايتنكر وكان النقاش يجري بين مدينتين في الأساس هما لايبزك وزوريخ وكان يتناول مسألة النموذج الاجنبي الذي ينبغي تقليده في

Twitter: @abdullah_1395

الشعر. وكـان كوجيت من أنصار الرأي الذي يدعو إلى تـقليد نهج الكتاب الفرنسيين أمثال كورنيه وراسين.

أما برايتنكر وبودمـر فكانا من أنصار تقليـد شاعر الثـورة الانجليزية ملتون مؤلف «الفردوس المفـقود». وقد انتصر فيـما بعد الرأي الذي يدعو إلى اقتفاء اثر الكتاب والشعراء الانجليز.

Twitter: @abdullah_1395

الأدب المسرحي الكلاسيكي ـ امتداد لمسار عصر ألف ليلة وليلة

١ ـ التحضير للأدب الكلاسيكي الألماني لعصر لسنك Lessing

كان عدم ارتياح الكُتاب الألمان من النظام الاقطاعي الاستبدادي عاملاً مهماً لتجميع قواهم وتدعيم وحدتهم اللغوية والسياسية، وقد ساعد ذلك على وضع اللبنات الأولى لصرح الأدب القومي الألماني.

وقد انعكس نضالهم ضد الاقطاع في أواخر القرن الثامن عشر بصورة واضحة. وكان في طليعة البرجوازية التي تبنت فلسفة تلك المرحلة ومسارها الفكري هو كوتولد افرايم لسنك ويوهان كوتفريد هردر. وقد أعلن الكاتبان في أعمالهما الأدبية والفلسفية عداءهما للاقطاع وبشرا بالافكار الديمقراطية. ويمكن القول بأنهما وضعا نواة الأدب الكلاسيكي الألماني الذي مثله فيما بعد الكاتبان جوته وشلر.

لقد عمق ممثلو الأدب الكلاسيكي الألماني في ضمير الشعب أهمية المحافظة على الحقوق الشخصية والقانونية. وكان لسنك أول من ساهم في مسيرة هذا التطور وكان بحق ـ كما قال الناقد الروسي شيرنيشفسكي ـ الأب الشرعي للأدب الألماني الجديد.

انتقد لسنك في مؤلفاته أفكار ومفاهيم المجتمع الاقطاعي ودور الكنيسة الذي كان عائقاً أمام ازدهار العلوم والفنون. ولابد من الاشارة إلى أثر اغاني كلوبشتوك المسماة دير مسياس (المسيح).

لقد صدرت هذه الاغاني والأشعار عام ١٧٤٨ وهي محاكاة للفردوس

Twitter: @abdullah_1395

المفقود للشاعر الانجليزي ملتون.

أما فيلاند (١٧٣٣ ـ ١٨١٣) فقد أسهم هو الآخر في دفع عجلة التطور الفكري وأداب عصر التنوير إلى الأمام وذلك عندما أصدر مجلة «تويشر ميركور» من عام ١٧٧٣ حتى عام ١٨١٠م.

وقد ساهم فيلاند في نشر أفكاره التي استهدفت صياغة مفهوم جديد للثقافة ينسجم وتطورات العصر وأفكار عصر التنوير.

وقد اعتمد فيلاند على آداب الاغريق ورومانتيكية القرون الوسطى كأساس للأدب الحديث.

اقتفى فيلاند مثل بقية الكتاب الألمان آثار الكتاب الانجليز والفلاسفة الفرنسيين إلى جانب الاغتراف من التراث اليوناني القديم.

وقد أصبح هذا التراث أساسا للمفكرين الألمان في كفاحهم السياسي من أجل وضع صيغ جديدة للأدب الألماني الذي بدأ يتطور بصورة متأخرة عنه في انجلترا وفرنسا.

ولا يمكن ان نتصور تطور فيلاند الفكري دون أن نذكر أثر الكتاب الانجليز عليه أمثال ريشاردسون وفيدلنك وشافتسبوري. كما لا يمكن ان نتصور تطور كلوبشتوك دون أن نذكر تأثير اوسيان عليه وكذلك تطور لسنك بدون ذكر ديدرو.

ونجد في أعمال فيلاند أفكار عصر التنوير واضحة كل الوضوح، كما جسد في أعماله ايضاً عالمية الثقافة مثلما جسد جوته عالمية الأدب. ونشر فيلاند شعراً تربوياً بعنوان «طبيعة الأشياء» كما نشر عام ١٧٥٨ مسرحية «الليدي يوهانس كراي». ونشر أيضاً قصصا ساخرة وكتب تاريخ اكاتون ونشر في مدينة فايمار التي عاش فيها، مقالات كثيرة عن النقد الأدبي. ترجم فيلاند اثنتين وعشرين مسرحية من مسرحيات شكسبير إلى اللغة الألمانية.

٢ ـ كفاح لسنك في سبيل تأسيس مسرح وطني في ألمانيا:

انعكس الوضع الاقتصادي والسياسي في ألمانيا في القرنين السابع عشر والثامن عشر على تطور الأدب والحياة الثقافية، وكان عصر

Twitter: @abdullah_1395

الاصلاح الذي اتسم بطابع الصراع الطبقي والانتفاضات الشعبية يستهدف خلق أدب قومي وواقعي.

وقد ظهرت حينذاك البدايات الأولى للأدب الدرامي الذي مثله هانس ساكس، والأدب النثري الذي انعكس في الكتب الشعبية وغيرها.

وقد عكست هذه الكتب الواقعية الشعبية الحية، غير أن اخفاق الحركة الشعبية لعصر الاصلاح وحرب الفلاحين وتشويه المحتوى التقدمي لحركة مارتين لوثر الاصلاحية، أدت كلها إلى تدهور حالة الأدب.

لم تصبح الواقعية الشعبية لأهم الأعمال الأدبية لعصر الاصلاح منطلقاً للتطور الأدبي التقدمي، بل على العكس فقد اهملت هذه العناصر واستعاض عنها الاقطاعيون والامراء باستخدام اللغة الفرنسية والتقاليد والثقافة التي كانت سائدة في بلاط لويس الرابع عشر، حيث كان الامراء الألمان يقلدون الأدب الفرنسي ويتكلمون في قصورهم اللغة الفرنسية حتى أدى بهم ذلك إلى ازدراء لغتهم القومية.

ورغم قيام لوثر بترجمة الانجيل من اللغة اللاتينية إلى اللغة الألمانية في القرن السادس عشر، فإن استخدام اللغة اللاتينية ظل يسود الجامعات الألمانية والمؤسسات الرسمية في القرنين السادس عشر والسابع عشر حتى قيام الفيلسوف الألماني توماسيوس بالقاء محاضراته في جامعة لايبزك باللغة الألمانية.. وهاجم توماسيوس في محاضراته محاكم التفتيش Inquisition وساهم في نشر الوعي السياسي والفكري ولذلك كان توماسيوس بحق أول مبشر بأفكار عصر التنوير في ألمانيا.

لقد فتح توماسيوس في محاضراته وكتاباته الأبواب على مصراعيها أمام الكتاب على رحاب الأدب الألماني وتراثه.

ونشر الشاعر مارتين اوبتز أول عمل شعري عام ١٦٢٤، ثم ظهر النثر الألماني إلى الوجود، ولعل أفضل الأعمال التي ظهرت حينذاك هي: «رؤى فيلاندر فون ستفالد للكاتب موشيروش، وكذلك «السمبلسية المغامرة»، وعكست هذه الأعمال حياة الشعب الألماني خلال حرب الثلاثين الألمانية التي سبق ذكرها.

كان ليلاد كوتولد افرايم لسنك (١٧٢٩ ـ ١٧٨١) في بداية النصف

Twitter: @abdullah_1395

الأول من القرن الثامن عشر نقطة تحول كبيرة في تاريخ الأدب الألماني. وكان والد لسنك قسيساً وأراد ان يجعل من لسنك واعظاً في الكنيسة إلا أن لسنك شب عن الطوق واتخذ له مساراً مغايراً لرغبة والده.

وكانت الفترة التي درس فيها في مدرسة مايزن من عام ١٧٤١ حتى عام ١٧٤٦ حاسمة في حياته، حيث اطلع على مسرحيات الكاتب الروماني الساخر بلاتوس (٢٥٠ ـ ١٨٤ق.م) والكاتب تيرنيس وبعثت هذه الدراسة في نفسه الرغبة الشديدة للمسرح.

وعندما وصل لسنك إلى مدينة لايبزك في ٢٠ ايلول (سبتمبر) عام ١٧٤٦ قدم طلباً للالتحاق بكلية اللاهوت بناء على رغبة والده.

وفي لايبزك، التي كانت تسمى باريس الصغيرة ـ كما وصفها الشاعر كوته ـ تغيرت أفكار لسنك حيث أثر عليه الشاعر كريستيان فايزة والشاعر مليوس الذي كان يشرف على اصدار مجلتين على غرار المجلات الانجليزية.

إن اختلاط لسنك، المنحدر من منطقة فلاحية وريفية نائية، بشباب المدينة الجامعية فتح عينيه على أمور الحياة ورأى بنفسه ان قراءة الكتب وحدها لا تكفي للتزود بالتجارب والخبرات دون أن ترافقها خبرة عملية واسعة كالاختلاط بالناس والاطلاع على أخلاقهم وتصرفاتهم وآرائهم وممارسة فنون الرياضة والمنطق والاطلاع على دهاء وحيل البشر.

تعرف لسنك في لايبزك على الممثلة المسرحية «نويبرن» التي كانت تقود فرقة مسرحية، وكان كوجيت يترجم للفرقة بعض مسرحيات كورنيه وراسين وموليير، وقدم لسنك إلى هذه الفرقة المسرحية أول عمل له عام ١٧٤٨ وهي مسرحية كوميدية بعنوان «العالم الفتي» Der junge Gelehrte فلاقت هذه المسرحية نجاحا كبيراً بعد عرضها مما شجع لسنك على مواصلة التأليف المسرحي وذلك لافتقار المسرح الألماني إلى النص القومي الصميم. وعندما علم والد لسنك بتصرفات ابنه استدعاه إلى مسقط رأسه في مدينة كامنس (كانت تسمى مدينة كارل ماركس وتقع في ألمانيا الديمقراطية) ولم يمكث لسنك في المدينة سوى بضعة أسابيع فعاد إلى لايبزك في شهر نيسان عام ١٧٤٩ واستقر في مدينة فتنبيرك

Twitter: @abdullah_1395

بضعة شهور حيث كان رجال الدين يلاحقونه باستمرار رغم أن هذه المدينة كانت معقلاً لانطلاق حركة مارتين لوثر عام ١٥١٧.

في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٧٤٨ وصل لسنك إلى برلين وهو لا يملك شروى نقير فاتصل بقريبه موليوس الذي كان يصدر صحيفة يومية لكي يمد له يد المساعدة.

كانت برلين في هذا الوقت متخلفة ثقافيا بالقياس إلى العواصم الأوروبية الأخرى وقد اضطر هذا الوضع ملك بروسيا فريدريش الثاني إلى استدعاء الكاتب الفرنسي فولتير إلى برلين للاقامة معه في قصر سانسوسي (بلا حزن) الذي يقع في منطقة بوتسدام قرب برلين.

وكان الملك فريدريش يريد بعث الحياة الفكرية بين أوساط الطبقة البرجوازية. وقد انتقد الملك فريدريش الثاني في كتابه الذي أصدره عام ١٧٨٠ باللغة الفرنسية بعنوان «عن الأدب الألماني» De la Literature L' Allemand الوضع الفكري والثقافي للطبقة البرجوازية وحالة الأدب في المانيا بصورة عامة.

كافح لسنك في برلين من أجل بعث الحياة الفكرية والمسرحية، فاتصل برجال الفن والمسرح ونشر في عام ١٧٥٠ مسرحية «الفكر الحر» ومسرحية «اليهود» وكذلك كوميديا «الكنز».

عكس لسنك في هذه المسرحيات تأثره بكوجيت ومدرسته التي كانت تقتفي أثر الأدب الفرنسي إلا أن هذه المسرحيات لم يكتبها لسنك لمجرد انتزاع الضحك من الناس كما كان يحدث مسرح كوجيت لتسلية المشاهدين، بل من أجل تربية الجماهير سياسياً واجتماعياً، وهنا يكمن الاختلاف بين كوجيت ولسنك.

لقد اتسمت الدراما الألمانية بتأثير لسنك لأول مرج بطابع توجيهي وهادف لاسيما عندما نشر عام ١٧٤٩ مسرحية «مأساة هنزي» حيث ظلت مبتورة ولكنها دلت على تعاطف لسنك الطبقي مع احرار اوروبا.

وقد تناول لسنك في هذه المسرحية مأساة المكافح السويسري هنزي ورفيقيه اللذين اعدمتهما السلطات في برن بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم، إلا ان اعدامهما كان بسبب قيامهما بتوجيه النقد واللوم للحكومة.

Twitter: @abdullah_1395

وعندما كان لسنك في برلين اطلع على أفكار فولتير وبايل وكفاحهما ضد الكنيسة الارثوذكسية ومن أجل حرية المعتقد والفكر.

واصل لسنك نشاطه الصحفي في برلين في الصحيفة التي يصدرها ميليوس إلا أن الرقابة كانت تمنع نشر الكثير من مقالاته، ورغم ذلك فقد فقد خلق لسنك حركة وضجة كبيرتين في برلين والأوساط الثقافية والفكرية في انحاء المانيا.

في عام ١٧٥١ غادر لسنك برلين والتحق بجامعة فتنبيرك وحصل على الدكتوراه ثم عاد إلى برلين وجمع ما نشره فيما بعد مع موسيس مندلسون من مقالات حول تاريخ وبداية المسرح.

وبعد المقال الذي نشره في هذا الكتاب بعنوان «معالجات حول الكوميديا المضحكة والمبكية» من أفضل المقالات.

اهتم لسنك بأعمال شكسبير وليلو وتأثر كثيراً بشاعر المسرح الانجليزي شكسبير ونشر عام ١٧٥٥ مسرحية «مس سارة سمبسون» فتهافتت عليها الفرق المسرحية وقدمتها للجمهور الألماني.

مكث لسنك بعض الوقت في لايبزك واتصل بصديقه الضابط «ايفالدفون كلايست» الذي كان يحمل نفس أفكار لسنك. وعندما التحق كلايست في عمل آخر بعيد عن لايبزك عاد لسنك إلى برلين عام ١٧٥٨ ومكث فيها حتى عام ١٧٦٠ فنشر في هذه السنوات أشعاراً كثيرة وأصدر ثلاثة أجزاء من حكاياته الرمزية التي يطلق عليها (فابل Fabel) وهي التي تروى على لسان الحيوانات على غرار حكايات كليلة ودمنة لابن المقفع.

ونشر لسنك مقالاته النقدية حول المسرح تحت عنوان «رسائل حول الأدب المتجدد» وقد شاركه في نشرها مندلسون وفريدريش نيكولاي.

في عام ١٧٦٠ قبل لسنك منصب سكرتير لدى الجنرال فون ناحشين وظل في هذا المنصب حتى عام ١٧٦٥.

وكتب لسنك في هذا الوقت كثيراً من المقالات حول النقد الأدبي والفني وكانت هذه السنوات من أخصب السنوات في حياة لسنك حيث نشر كتابه النقدي حول المقارنة بين الرسم والشعر بعنوان «لاوكوونLaokoon» أو حول الحدود بين الرسم والشعر. كما نشر لسنك في هذه الفترة مسرحية

Twitter: @abdullah_1395

«مينا فون بارنهلم».

عندما شن الملك فريدريش الثاني حربه لاحتلال شليزيا فقدت مدينة لايبزك اهميتها الثقافية والتجارية وانتقل مركز الاشعاع التجاري والثقافي إلى مدينة هامبورغ في شمال ألمانيا. وقد انتعشت في هذه المدينة الحركة التجارية والصناعية لموقعها على البحر ونمت فيها طبقة برجوازية نشرت أفكار الوحدة السياسية وقامت بتشجيع الثقافة والفنون.

وقد اضطلع ثلاثة من أبناء هامبورغ بانشاء مسرح وطني وهم «لوفن» والممثل «كونراد اكهوف»، و«مدام هنسل»، وقد وقع الاختيار على لسنك ليكون ناقداً ومشرفاً على المسرح وذلك في شتاء عام ١٧٦٦.

بدأ لسنك عمله في المسرح بتطبيق مفاهيمه عن الفن المسرحي فاصطدم بمعارضة الممثلين لأي نقد يصدر من لسنك وساءت حال المسرح لأن لسنك كان يريد تقديم مسرحيات ذات نص ألماني أو مسرحيات فرنسية هادفة الأمر الذي اضطر المسؤولين إلى قطع مساعداتهم المالية إلى المسرح فأغلق المسرح أبوابه مؤقتا في الرابع من شهر ديسمبر عام ١٧٦٧ وكتب لسنك في رسالة الأدب المتجدد رقم (٨١) يقول: «لا يوجد عندنا مسرح ولا يوجد عندنا ممثلون ولا حتى مشاهدون».

ونشر لسنك بعد سنتين من اغلاق المسرح في هامبورك كتاباً بعنوان «هامبوركشة دراماتوركي» (فن المسرح الهامبوركي).

عاش لسنك فترة طويلة يخوض فيها غمار أعاصير الفاقة والعوز، فحاول مع صديق له أن يؤسس داراً للنشر فاخفق المشروع ولم ير النور، ووصلته من عائلته رسالة تخبره بأنها تتعرض للعوز وتحتاج إلى مساعدته، ففكر القيام برحلة إلى اوروبا (هذه الكلمة المشتقة من الكلمة البابلية اوروب شمشي ـ أي غروب الشمس ـ كما ان ابنة ملك الفينيقيين كانت تسمى اوربا)، ثم زيارة ايطاليا بحثاً عن العمل، إلا أن هذه المشاريع فشلت ايضا فكتب له اصدقاؤه في مدينة «فولفن بوتل» رسالة عرضوا عليه وظيفة رئيس مكتبة المدينة التي كانت حينذاك تعد من كبريات مكتبات اوروبا فقبل العمل فيها حيث كان ينشد الاستقرار النفسي والمادي وكان

Twitter: @abdullah_1395

ينوي الزواج من السيدة ايفا كونك ارملة أحد اصدقائه في هامبورك.

في عام ١٧٧٠ وصل لسنك إلى مدينة فولفن بوتل وهي احدى مدن مقاطعة براون شفايك، وكان يحكم هذه المقاطعة كارل الأول الذي كان من أقسى امراء المقاطعات الألمانية حيث كان يحاول بسلطته الدكتاتورية الوصول إلى مستوى دكتاتورية ملوك فرنسا. وقد أدت سياسته إلى دمار اقتصاد المدينة، كما لم يكن ابنه كارل وليم فرديناند بأفضل منه، فقد قاد هذا الأمير التدخل العسكري ضد الثورة الفرنسية وباع إلى الحكومة البريطانية والهولندية تسعة آلاف جندي ألماني لتسخيرهم في قمع حرب الاستقلال الامريكية وقمع انتفاضة الشعب الهولندي.

لم يستطع لسنك الاستمرار في عمله الجديد لضآلة مرتبه الشهري فالتحق بخطيبته ايفا كونك في فينا عاصمة النمسا (هذه التسمية ليست عربية فاسمها اوسترية بالانجليزية واوسترايش بالألمانية وتعني مملكة الشرق بالنسبة لألمانيا وأطلقت هذه التسمية عام ١٨٠٦، أما كلمة النمسا فقد صدرت عن السلطان التركي مصطفى الذي طوق مدينة فينا في تموز (يوليو) عام ١٦٨٢ وراح يقنبل المدينة بالدانات (قنابل المدفع) لمدة ثلاثة أيام الا ان اهالي فينا لم يردوا على جيش السلطان التركي فخرج من خيمته وسأل ضباطه قائلاً: لماذا لم يرد علينا أهالي فينا؟ هل هم نمسي؟ أي (مختبئون).

وصادف ان كان هناك أصغر ابناء كارل فعلم الأمير بوجود لسنك في فينا فدعاه لمرافقته إلى ايطاليا، فسافر لسنك معه ثم عاد بعد ذلك إلى براون شفايك عام ١٧٧٦. وقد اضطر لسنك بسبب حالته المادية البائسة إلى مواصلة العمل الأدبي والمستمر، فجمع اشعار ـ كولتيتوس، أحد شعراء القرن السادس عشر. كما نشر مقالات حول التاريخ والأدب وأصدر مسرحية «اميليا كالوتي» كما نشر عام ١٧٧٩م مسرحية «ناتان الحكيم» وهي تجسيد لافكار عصر التنوير التي كانت تدعو إلى التسامح ونبذ التعصب الديني.

وقد امتدح هردر ومندلسون كفاح لسنك وأعماله الفكرية وثمنا كفاحه الأدبي والفكري من أجل حركة التنوير الألمانية.

Twitter: @abdullah_1395

كان لوفاة الابن الأول للسنك عام ١٧٧٧ ثم وفاة زوجته ايفا كونك، أثره على صحته ولم يمهله المرض فتوفي في براون شفايك في ١٥ شباط (فبراير) عام ١٧٨١ عن ٥٢ عاماً ولكنها كانت حافلة بالانتاج الغزير والكفاح المتواصل من أجل تدعيم قواعد ومبادىء الاخاء والحرية والعدالة الاجتماعية وارساء أسس المسرح الوطني في المانيا.

نشر لسنك عدداً من الفابل (حكايات الرمز التي تروى على لسان الحيوانات وكانت هذه الحكايات منتشرة في القرون الوسطى وقد ظهرت مرة أخرى في القرن الثامن عشر حيث استخدمها ممثلو عصر التنوير Aufklarung لمحاربة الاقطاع والاستبداد والتخلف وسيطرة الكنيسة.

كان لسنك ينتقد منظري حكايات الفابل في فرنسا أمثال «دي لاموت» و«ريشر» و«باتو» وكذلك «برايتنكر» في المانيا الذي كان يعتبر هذا النوع من الأدب نوعاً من الاستعارة.

وقال لسنك: «ان أساس هذه الحكايات يعتمد على الحيوانات التي تشبه تصرفات الغرور، والأسد يعكس القوة، والحمار الغباء والذئب التسلط، والحمل يعكس الشعب المغلوب على أمره».

لقد هاجم لسنك في هذه الحكايات الرمزية الاستبداد البروسي والظلم الاجتماعي وانتصر لكفاح الشعوب ولأفكار الحرية. كما كانت هذه الحكايات خير سلاح حينذاك استخدمه لسنك في الصراع الطبقي بين الشعب والاقطاع كما ساهمت هذه الحكايات في تربية الوعي السياسي والاجتماعي.

Twitter: @abdullah_1395

أهم مسرحيات لسنك
ومؤلفاته النقدية والجمالية

١ ـ مسرحية مس سارة سمبسون:

تعد هذه المسرحية أول مسرحية مأساوية للسنك وقد صدرت عام ١٧٥٥ عندما كان لسنك حينذاك يعكف على نشر مسرحيتين هما «الفكر الحر» و«اليهود» وهما مسرحيتان كوميديتان، وقد احدثتا تجديدا في المسرح الألماني الذي كان يطبق قواعد المسرح الفرنسي الذي يمثله كوجيت.

وتتلخص هذه القاعدة بأن يكون ابطال المأساة اناسا من الطبقة الارستقراطية، في حين ينبغي ان يكون ابطال الكوميديا اناسا من الطبقة الدنيا والعوام.

وقد أحدث لسنك في هذه المسرحية انقلابا في المسرح الألماني عندما اختار أبطال المأساة من الطبقة الدنيا أي من الفلاحين وغيرهم، وادخل في الكوميديا ابطالا ينتمون إلى الطبقة العليا من الاقطاعيين والامراء. وسار لسنك في هذه المسرحية في طريق جديد حيث كتبها نثراً، في حين كانت المسرحيات في السابق تكتب بالاسلوب الاسكندري وهو بحر شعري يوناني.

وتتلخص هذه المسرحية بقيام ملفونت بتضليل الفتاة الطاهرة البريئة سارة فتهرب من عائلتها، وعندما يقترب موعد الزواج تظهر ماروود عشيقة ملفونت السابقة وعندما تعلم بزواجه من سارة تضع لهما السم

Twitter: @abdullah_1395

في الطعام لأنها تريد أن تستأثر به لوحدها.

وقد عكس لسنك لأول مرة شخصية نورتون خادم ملفونت، بشكل يلفت النظر، حيث جعله شخصا مفكراً له وزن في تقدير الأمور بعد أن كانت مثل هذه الشخصيات ليست ذات قيمة في مسرحيات الكتاب في المانيا.

ونشر لسنك مسرحية «مينا فون بارنهلم»، وهي مسرحية هزلية وتعد من المسرحيات المحببة عند لسنك. وتنتقد المسرحية الأوضاع السياسية والاجتماعية في المانيا في عصره لاسيما عصر فريدريش الثاني وحروبه التوسعية كحرب السبع سنوات في منطقة تورنكن.

وتدور المسرحية حول العقيد تلهايم الذي أقرض الاعداء مبلغاً من المال، وعندما ظهرت بوادر عدم اعادة المبلغ، هدد باحراق القرية وقام تلهايم بهذه المهمة، الأمر الذي اكسبه احترام الآنسة السكسونية «مينا فون بارنهلم»، وتجري أحداث المسرحية في زمن محدود يتلخص بساعات معدودة وفي داخل أحد قصور الضيافة في برلين اثناء انتهاء حرب السبع سنوات وعندما أمر الملك بتسريح تلهايم.

إن البطل الحقيقي للمسرحية هو فريدريش الثاني. وقد مارس لسنك في هذه المسرحية نقداً شديداً للنظام البروسي.

وعندما عرضت المسرحية في برلين عام ١٧٦٨ استقبلها الجمهور بحماس شديد.

وحينما يستتب السلم يستقيل العقيد تلهايم من الخدمة ويجري استجوابه بتهمة دفع غرامات حربية إلى موظفي منطقة تورنكن.

ويعلم فريدريش بواسطة أخيه بأن تلهايم بريء فيقوم هو نفسه بدفع الديون المتراكمة عليه بسبب الحرب من خزانة القصر ويطلب من تلهايم لقاء ذلك العودة إلى الخدمة العسكرية.

لقد أشار فريدريش شليكل بأن أبطال هذه المسرحية يحملون سمات لسنك وأفكاره المعادية للنظام البروسي.

لقد استهدف لسنك في هذه المسرحية ايقاظ الوعي الوطني والمشاعر التقدمية لدى البرجوازية الألمانية لمحاربة الاقطاع الذي كان يقف عقبة أمام تطور المانيا.

Twitter: @abdullah_1395

وترقى هذه المسرحية إلى مصاف مسرحية «الجرة المكسورة» للكاتب الألماني كلايست ومسرحية «ليونسة ولينا» للكاتب بوشنر ومسرحية «فرو السمور» للكاتب الألماني كيرهارد هوبتمان.

٢ ـ مسرحية اميليا كالوتي:

في عام ١٧٥٧ خطط لسنك لكتابة مسرحية أميليا كالوتي المأساوية متأثراً بما نشره الكاتب الروماني لفيوس عن فتاة رومانية من فرجينيا التي اعلن والدها في سوق المدينة عن موتها لكي ينقذها من مطاردة الدسمفريين وهم حرس السلطة العليا وعددهم عشرة أشخاص.

وقد أدى هذا الخبر إلى قيام ثورة في روما ضد السلطة. وقد أراد لسنك في هذه المسرحية توجيه الانظار إلى مساوىء الاقطاعيين في ألمانيا في عصره. وقد استخدم لسنك الأسماء والأماكن الايطالية لتفادي غضب السلطة الاقطاعية عليه، لأن السلطة في عصر لسنك كانت مستبدة وطاغية.

وفي الفصل الأول نلتقي بأمير مدينة كواستيلا هيتور كونساكا وبأميليا كالوتي التي تعيش في هذه الإمارة الصغيرة، وهي ابنة أحد رعايا الأمير. ويهدي الرسام المشهور في الإمارة واسمه كونتي، إلى الأمير لوحة زيتية عن أميليا فيندهش الأمير للوحة فيستدعي الأمير خادمه مارينللي فيخبره هذا بأن أميليا ستزف هذا المساء إلى الكونت أبياني فيبحث الأمير مع مساعديه عن طريقة لاختطافها في نفس الليلة التي ستزف فيها إلى خطيبها.

أما أحداث الفصل الثاني فتدور في منزل كالوتي، والد أميليا ويبحث الأمير معه امكانية اختطاف أميليا من العربة التي ستقلها إلى ضيعة خطيبها أبياني. وفي هذه اللحظة يساور والد أميليا ادواردو القلق بسبب المديح الكثير الذي صدر عن الأمير عن أميليا. وأثناء وجودهم في الغرفة سوية تنهار اميليا وتجهش بالبكاء أمام والدها وتخبره بأن الأمير كان في الكنيسة أثناء عقد القران وضايقها بعروضه ووعوده المغرية كما انه

Twitter: @abdullah_1395

يتعقبها في سوق المدينة وأعربت أميليا عن مخاوفها من نيات الأمير السيئة.

وهنا تظهر لنا والدة أميليا التي تتميز بعقلية ساذجة وتهمس في اذن اميليا قائلة .. بأن الأمير غازلها كعاشق مثل بقية الرجال الآخرين ولم يقصد الإساءة إليها.

ويدخل خطيبها أبياني إلى الغرفة وهو لا يعلم عما جرى لخطيبته، ثم يدخل بعده خادم الأمير مارينللي ويعلن بأنه أمر بأن تغير العربة مسارها وتتوجه إلى قصر الأمير في ماسا. فيرفض خطيب أميليا ذلك ويهين الخادم بعبارات جارحة وحادة.

وفي الفصل الثالث نجد مارينللي يبلغ الأمير كونساكا عن فشل المحاولة ثم نسمع أثناء هذا الحوار اصوات اطلاقات نارية فيقول الخادم مارينللي للأمير بأنه دبر جماعة من قطاع الطرق للهجوم على العربة التي تقل أميليا وخطيبها أبياني إلا ان المختطفين يقتلون خطيب أميليا ويهربون بأميليا إلى قصر الأمير إلا أنها لا تعلم هذه الأثناء بمقتل خطيبها. وتجلس أميليا في الغرفة وتدخل عليها امها ووالدها فيحاول الخادم مارينللي عبثاً منع والدة اميليا من الدخول إلى غرفة أميليا التي اخبرتها بدورها أن خطيبها قتل.

وفي الفصل الرابع يلوم مارينللي الأمير لتعقبه أميليا في الكنيسة وفي سوق المدينة الأمر الذي أدى إلى زرع الشك بوجود مؤامرة عليها. ثم تدخل اورسينا، محظية الأمير السابقة، لكي تتحدث مع الأمير الا أن الخادم مارينللي يمنعها من الدخول ويطلب منها الخروج من القصر /

وفي الفصل الخامس يستقبل فيه الأمير والد أميليا ادواردو ويحاول الخادم مارينللي عبثا ابعاد الشبهة عنه وعن الأمير في عملية تدبير المؤامرة، ثم يطلب والد أميليا ان يتحدث مع ابنته بمفردها ويدخل عليها في الغرفة التي تجلس فيها ويشرح لها المؤامرة التي دبرها الأمير بمساعدة خادمه ثم يخبرها عن عزمه على قتل الأمير فتمنعه أميليا من القيام بذلك وتخبره عن عزمها على الانتحار وتحاول القيام بذلك أمامه إلا أنه يسحب الخنجر من يدها ويغرزه في صدرها فتسقط ميتة..

Twitter: @abdullah_1395

بعد أن نشـر لسنك هذه المسرحية أرسل له أخـوه خطاباً في الثالث من شهر آذار (مارس) عام ١٧٧٢م انتقده فيه على شخصية أميليا لأنه جعل منها شخـصية سلبية غـير مستـقلة وخاضعة لأوامر والديهـا. وقد أجاب لسنك على رسالة أخيـه بخطاب بعثه إليه في العـاشر من مارس من نفس العام قال فيه:

«انني لم أطلب من أميليا أن تتحلى بالسجـايا العالية والمستوى الفكري الرفيع، بل أردت أن تحمل سمات ومـلامح تربيتي أثناء الطفولة والشباب التي كـانت تتسم بطابع الخـضوع المطـلق للوالدين والتربيـة الصارمـة.. والنزاهة التي كنت أتحلى بها أثناء الطفولة».

وقد جـعل لسنك من أميلـيا شـخـصيـة تتصرف بكامـل ارادتها وذلك عندما جعلها تنتحر في نهاية المسرحية.

لقد جسـدت هذه المأساة معارضة لسنك وعـداءه الشديد للنظام القائم حينذاك رغم أنه نقل مكان الأحداث إلى مدن ايطاليـا إلا أن القراء وجمهور المسرح أدركوا أن لسنك يعبر في المسرحـية عن الحالة في ألمانيا، كما فعل فريدريش شلر في مـسرحية «كـيد وحب» حيث عـرف الناس حينذاك أن كوستيلا تقع في ألمانيا.

وشـخص لسنك في المسرحية ملامح المجتمع الاقطاعي وأخلاق الحكام الاقطاعيين والجـرائم التي يرتكبونهـا ضد الشعب. ووصف لسنك قـصر الأمـير بأنه بؤرة للمـجرمين والـلصوص، وقـد جاء ذلك على لسـان والد أميليا.

ووصف لسنك في هذه المسرحـية غطرسة الحكام وتصرفـهم اليومي الذي كان يعـتمد على مـزاجهم الشـخـصي وذلك عندما يقول الأمـير أثناء تقـديم طلب استـرحـام من أحد المواطنين.. لا توجـد هنا سـوى الشكاوى وطلبـات الاستـرحـام.. من الناس ومع ذلك يحـسدنا النـاس على مكانتنا ومنزلتنا»(١).

إن الحل الذي وضعه لسنك لبطلة المسرحية وهو اقدامها على الانتحار، يعبر عن صرخة موجهة ضد الظلم، رغم أن هذا الحل يعد سلبيا.

---

(١) مـؤلفـات لسنك الكاملة (١٠ أجـزاء) دار نشـر اوفبـاو فـرلاك برلين صـفحـة ١٢٧ ـ ١٩٦٦م الجزء الثالث.

Twitter: @abdullah_1395

وينبغي هنا أن ندرك بأن لسنـك عاش في القرن الثامن عـشر ولم تكن أفكار الأحزاب الثورية قد تبلورت بعد وكان لسنك يخشى عاقبة اقحام أي حل ثوري في المسرحـية. ورغم انتحار البطلة فإن هذا الحـل يعد نوعاً من التمرد والثـورة والاحتجاج على ظلم الحاكمين حـينذاك حيث لم يكن امام لسنك سوى هذا الحل.

وبعد أربعين عاماً من العـرض الأول للمسرحية امتدحهـا الشاعر كوته وأشاد بشـجاعة لسنك وحكمـته في تسليط الضـوء على أساليب الاقطاع في ذلك الوقت.

Twitter: @abdullah_1395

آراء لسنك عن علم الجمال في الفـــن والأدب

كان كتّاب وشعراء القرن السابع عشر متأثرين برأي الشاعر الروماني هوراس (٦٥ق.م ـ ٨ق.م) الذي وصف الشعر بأنه رسم ناطق والرسم شعر أخرس.

وكان يطالب بأن يكمل أحدهما الآخر.

وكان الفنانون التشكيليون يختارون صوراً تجريدية لفنهم مثل الشجاعة والحب والحرب والسلام. وكانت النتيجة أن تعددت الشبهات في المواضيع سواء في الرسم أو النحت. وقد دفع ذلك الشعراء إلى اعتبار الأفضلية للفن التشكيلي على الأدب.

وحاول الشعراء الاكثر من الجمل والعبارات الوصفية والزخرفية حتى سرى ذلك على أدب ملتون وكلوبشتوك.

وكان الرسامون والشعراء والنحاتون يطبقون فكرة الموضوع الفني المشترك وطريقة محاكاة البيئة انطلاقاً من هدفهم المشترك وجذورهم المشتركة من بيئتهم بحدود العلم والعمل اليدوي في عصرهم.

لقد وقف لسنك ضد هذا الاتجاه المعادي والضار للفن ونشر لهذا السبب آراءه الأدبية حول الفن والمسرح في كتابه (هامبوركشة دراماتوركي) ـ أي فن المسرح الهامبوركي ـ.

وقد ركز لسنك دراسته على الرسم والشعر في كتابه الآخر بعنوان «لاووكوون».

Twitter: @abdullah_1395

لقد ظل هذان الكتابان ناقصين ولم يستطع لسنك انجازهما بصورة كاملة. وكان لسنك يريد اصدار الجزء الثاني والثالث من هذين الكتابين ليعالج فيهما الموسيقى وفن الرقص (الدانص).

أما كتابه لاووكوون فهو اسم التمثال الاغريقي القديم الذي قام بنحته النحاتون أكيساندروس وبوليدوروس وأثينودروس والذي يصور الراهب أبولو الطروادي واسمه لاووكوون مع ولديه وقد التفت حولهما أفعى ضخمة تحاول التهامهم.

وتروي الاسطورة أن لاووكوون حذر سكان طروادة من الحصان الخشبي الذي تركه الاثينيون أثناء انسحابهم من طروادة حيث كان يختبيء فيه الجنود. وعندما ذهب لاوكوون إلى شاطيء البحر ليقدم القربان إلى اله البحر (بوسايدون) ارسلت اثينا وابولو اليه ثعبانين لقتله مع ولديه عقاباً له. وقد تم العثور على هذا التمثال أثناء الحفريات التي جرت في عام ١٥٠٦ ومازال هذا التمثال من مجموعات الفاتيكان الثمينة.

وقد صمم التمثال بشكل هرمي برز فيه وجه لاوكوون بشكل يلفت النظر وقد التصق به ولداه، كما أن رأس لاوكوون يشكل قمة الهرم ويجذب اليه نظرات المشاهد بشكل مباشر لأن وجهه يعبر عن الألم، إلا أن النحاتين لم يعبروا في هذا التمثال عن الألم بكل تعابيره، فمثلاً لم يفتح الراهب لاوكوون فمه من شدة الألم، فالفم مفتوح بصورة قليلة وبدلاً من الصراخ بفعل الألم فقد بدا لاووكون وهو يزفر ويعبر عن آهة موجعة.

لقد استغل الكاتب فنكلمان هذه الفرضية عن «السذاجة النبيلة والعظمة الخفية» التي تتميز بها تماثيل فن النحت الاغريقي، لكي يسند بها آراءه.

فمن رأس لاوكوون نستنتج العظمة والنفس الهادئة على تحمل الألم دون ان يصرخ. وقد جعل من آرائه نقطة انطلاق لتحليلاته حول تعدد تصوير مادة ما بواسطة الرسم وفن الشعر والفنون التشكيلية الأخرى. وقال لسنك «ليس العظمة والنفس الوقورة هما المبدأ الذي يميز فن الأغريق التشكيلي، بل الجمال وعدم المساس بقوانين الجمال إذ هي التي جعلت النحاتين الاغريق يلجأون إلى صياغة شخصية لاوكوون وهو يتأوه ويكتم صراخه الحقيقي رغم أن الصراخ تعبير طبيعي عن الألم الجسدي.

Twitter: @abdullah_1395

وأشـار لسنك إلى أن مجـرد فـتحـة الفم الواسـعة تعـد في فن الرسم تشويهاً بارزاً، أما في النحت فـتعد تعميقاً للتـأثير المتنافر عن العالم، لذلك ينبغي على الفنان أن يسير على قواعد وأصول فن الشعر»(١).

وقد أثبت لسنك صحة قـوله في كثير من الأمثلة لاسيما فـي شخصية «فيلكونت» في تراجـيديا سوفـوكلس التي تحمل نفس الاسم حـيث جعل الشاعر بـطله يصرخ، كما أن الفنانين القـدامى لم يترددوا من التعبـير عن الألم الجسدي لابطالهم بهذه الطريقة.

ووضـع لسنك للشعر والفن حـدوداً معينة.. فمثلاً يسـتطيع الشاعر أن يعبر عن الحـدث والموضوع بكل تفاصيله وجزئيـاته، في حين لا يستطيع الفنان أن يعكس سوى جـانب واحد من الموضوع بحيث يخـتار الفنان هذا الجانب ويترك لقوة التعبير حرية التصرف.

هذه هي أهم آراء لسنك فـي كتـابه لاوكـوون التي وردت في الفـصل الأول وحـتى الفصل السـادس. أما الفـصـول الأخرى فـقد ناقش فـيهـا الفرضيـات التي تبناها الناقد الانجليزي (سبنس) حـيث ادعى سبنس في كتابه Plymatis أي تعدد العلوم والمعارف، بأن الشاعر والنحات والرسام مرتبطون بفنهم ارتباطاً وثيقاً ويكمل احدهما الآخر.

وقد حـاول سبنس شـرح أوصاف الشعـراء القدامى وأعمـال الفنانين التشكيليين وقام باعداد دراسة عنها.

وأشـار لسنك إلى أن الأدب والفنون التـشكيليـة لهـا طرق وأسـاليب مختلفة فيما يتعلق باختيار الموضوع وصياغته.

أما الفصل السادس عشر من كتاب لاوكوون فقد أوجز فيه لسنك آراءه كما يلي:

«إذا كان صحيحاً بأن الرسم يستـخدم للمحاكاة وسائل ودلائل أخرى تختلف عن الشعر من مثل تلك الأشكال والألوان التي تنم عن وجود علاقة منسجمـة مع المدلولة والمستخدمـة في التعبير. فـفي هذه الحالة يمكن أن تنشـأ عن ذلك أفكار ومواضـيع تتـعلق بالفن لاسـيمـا عند وضع الدلائل بعضـها إلى جانب البعض الآخـر والتي تنسجم اجزاؤها في الخـصائص وقد تعبر هذه الدلائل والسمات والملامح المعينة عن الأشياء فقط»

---

(١) نفس المصدر السابق، صفحة ٢٩٢.

Twitter: @abdullah_1395

إن الأشياء أو أجزاء الأشياء التي توجد بصورة متقاربة، تسمى مجرد مواضيع.

ومعنى ذلك أنها مواضيع بخصائصها البارزة التي تعد اشياء ومواضيع لفن الرسم.

إن الاشياء التي تتواجد بعضها بجانب البعض الآخر وأجزاء الأشياء التي تتعاقب الواحد بعد الآخر، تسمى مواضيع فهي اذن مواضيع للفكرة الحقيقية للشعر»(٢).

ويؤكد لسنك على أن المواضيع لا توجد فقط في المكان، بل في الزمان ايضاً وينبغي على الفنان التشكيلي أن يملك اللحظة المناسبة لمحاكاة الموضوع. ويستطيع الفنان أن يشير إلى هذه المواضيع من خلال الأجسام في المكان المعين ولكن ينبغي عليه أن يختار الجانب الفني للموضوع بحيث يتسنى للمشاهد ان يستنتج من الموضوع الماضي والمستقبل أي ادراك اللحظة المثمرة.

ومن ناحية أخرى فإن المواضيع لا تنشأ ذاتيا لوحدها بدون فعل خارجي، بل ترتبط دائماً بالاجسام والأفكار، ولذلك ينبغي على الشاعر ايضا ان يصور الاجسام والاشياء، إلا أنه ـ أي الفنان ـ لا يستطيع تحقيق ذلك إذا أراد ان يسخر امكانياته لوصف هذه الاجسام وصفاً دقيقاً.

إن وصف أي موضوع أو منظر بالكلمات لا يقربه ابدا إلى المشاهد أو المستمع. ولكن كيف ينبغي للشاعر محاكاة الاجسام التي تعد ملازمة للموضوع؟ وكنموذج حول امكانية محاكاة الاجسام في المكان بواسطة الشاعر، فإن لسنك يستشهد ببعض أجزاء الالياذة لهوميروس ويقول:

«إذا كان هوميروس يريد تجسيد عربة الشمس لآلهة الرومان (يوتو) فإنه يجعل من الهيبة لأحد أبطال الالياذة ان يقوم بتركيب العربة قطعة بعد قطعة.

وعندما يريد هوميروس وضع صورة أكاممنون أمام أعيننا، فإنه لا يقوم بوصف جميع تفاصيل الشيء، بل يروي لنا قصة هذا الشيء أو الموضوع.

إن رأي لسنك يتلخص كما يلي:

---

(٢) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة

Twitter: @abdullah_1395

«إن على الشاعر الذي يريد تجسيد وتوضيح الموضوع والاشياء أمام أعيننا، عليه ان يفعل ذلك من خلال الموضوع والفكرة كما ان الجمال الجسدي يعتبره لسنك جزءاً من الفنون التشكيلية وان العنصر الأساسي للموضوع هو الحركة، حيث ان اضفاء الحركة إلى جمال الاشياء والاجسام الساكنة يتحول إلى جمال مؤقت»(٣).

لقد مارس كتاب لاووكون النقدي تأثيراً على أدباء ذلك العصر، لاسيما على شخصية جوته وهردر والناقد فيلاند. وقد أشاد جوته في كتابه «شعر وحقيقة» في الجزء الثامن منه بكتاب لسنك. أما فيلاند فقد تخلى عن وصف الأشياء والمواضيع لأنه كان يشعر بأن لسنك ربما سيحذره من مغبة ذلك..

أما هردر فقد انتقد بعض آراء لسنك وطور بعض الآراء والمفاهيم الأخرى وأشار هردر:

«ليس الموضوع هو الذي يحدد الجوهر الحقيقي للشعر، بل القدرة. إن القدرة تسري من خلال الاذن وتؤثر مباشرة على النفس التي تلتصق بأعماق الكلمات. كما ان القوة السحرية تؤثر على النفس من خلال الخيال والذكرى..»(٤).

وقد أثرت آراء لسنك الجمالية على الفكر الألماني وعلى كثير من النقاد لاسيما على الناقد المعروف فرانس ميرنك وقد أشاد ميرنك بالتأثير الذي احدثته آراء لسنك على الطبقة البرجوازية الألمانية في القرن الثامن عشر.

إن محاكاة الطبيعة في رأي لسنك ينبغي أن لا تفهم على أنها مجرد وصف حسب مفهوم الطبيعة، بل العكس، فقد كافح لسنك الأدب الوصفي الذي يقترب في اسلوبه من الطبيعة.

إن محاكاة الطبيعة حسب رأي لسنك يمكن ان يطبق على أسس معينة واحدى هذه الأسس الرئيسية هي أولوية الجمال على التعبير في الفن التشكيلي والتي يصعب اليوم تطبيقها بكاملها. كما أن التضييق المجحف على فن الرسم في مختلف الاجزاء أثبت اليوم عدم جدواه.

في الرسالة التاسعة عشرة الأدبية أشار لسنك إلى أننا لا نتعلم من

---

(٣) المصدر السابق صفحة ٢٩٥.

(٤) مؤلفات هردر الكاملة صفحة ٢٢ جزء ١٧ برلين ١٨٧٧.

Twitter: @abdullah_1395

المسرح ماذا يمثل أمامنا هذا الممثل أو ذاك، بل ما يقوم به كل شخص تحت تأثير ظروف ومعطيات اجتماعية معينة. كما أن هدف التراجيديا فلسفي ويختلف عن هدف التاريخ وهذا يعني تجريد التراجيديا من هدفها الحقيقي إذا ما أراد المرء أن يجعل منها منبراً للرجال المشهورين.

وكان لسنك يعتمد في مفهومه هذا على آراء ارسطو عن الشعر حيث وضع ارسطو للشاعر مهمات ومسؤوليات ينبغي عليه أن يتبعها وهي ليس فقط تصوير الأحداث الواقعية، بل ما يتوقع حدوثه من خلال الحدس الاحتمالي أو المستلزمات الاجتماعية. وكان أرسطو ينظر إلى المؤرخين نظرة تختلف عن نظرته إلى الشاعر، فقد اعتبر أرسطو المؤرخ شخصا يؤرخ الأحداث فقط كما هي، أما الشاعر فهو يصف لنا الأحداث التي يحتمل وقوعها، ولذلك فإن الشعر فلسفي وذو مضمون يختلف عن مضمون التاريخ. كما أن الشعر يصف لنا المجال العام في حين أن التاريخ يصف لنا الأحداث الخاصة والفردية. ومن الطبيعي أن كتابة التاريخ لا تصف لنا الأشياء الخاصة والفردية فقط، بل أنها تنتقي أحداثا معينة من التاريخ وتعمم عليها الاحكام.

١ ـ الرسالة السابعة عشرة التي تتناول الأدب المتجدد:

استهدف لسنك في مسرحيته أميليا كالوتي وفي مسرحية مينا فون بارنهلم تحريك أقلام الكُتاب ولفت انتباههم لسلوك نفس الطريق الذي سلكه من أجل خلق أدب وطني في ألمانيا وخدمة البرجوازية الوطنية الناهضة لمقاومة الاقطاع. وقد حاول ذلك بسنوات الكاتب يوهان كريستوف كوجيت في مسرحيته «كاتو الميت»، إلا أن هذه المسرحية كانت هزيلة التكوين ضامرة الجناحين وتتسم بالضعف كما في مسرحيته «أكيس» إلا أنهما كانتا محاولة لبعث النهضة الأدبية في ألمانيا، غير أن لسنك كان الوحيد الذي استطاع وضع اللبنات الأولى الصلبة لأساس الأدب الوطني في المانيا في مسرحياته التي عرت الاقطاع وألهبت المشاعر الوطنية وربما لأن لسنك كان أكثر وعياً وادراكاً من سواه من الكُتاب الألمان حينذاك وهنا تكمن عبقريته وثورته الفكرية.

Twitter: @abdullah_1395

لم يستطع لسنك وكوجيت ان يتعاونا سوية حينذاك لاختلاف وجهات النظر بينهما، كما عبر لسنك عن ذلك في الرسالة السابعة عشرة. وقد انكر لسنك على كوجيت خدماته من أجل المسرح في المانيا ويعود السبب في ذلك إلى اختلاف موقع كل منهما في الطبقة البرجوازية ومسار تطورها.

وينحصر الخلاف بين الكاتبين في تأييد كوجيت للمسرح الفرنسي الكلاسيكي وتأييد لسنك للمسرح الانجليزي أي مسرح شكسبير.

وكان كوجيت يترجم مسرحيات كورنيه وراسين إلى فرقة نويبرن المسرحية في لايبزك، وقد وجد لسنك أن هذه المسرحيات لا تلائم ذوق ومستوى الجمهور الألماني لانها كتبت للملوك وليس فيها أي ذكر أو اشارة للشعب. وقد وجد لسنك في مسرح شكسبير صورة صادقة للمسرح الشعبي الذي يعكس فيه أخلاق ومشاكل جميع الفئات الاجتماعية وأخلاق البشر كما أنه يتسم بالحرية في معالجة أمور الحياة في كل زمان ومكان لاسيما المساوىء والشرور والجشع والغيرة والرذيلة، ومن هنا بدأ الخلاف بين الاثنين. إن كفاح لسنك استهدف ايضاً التأثيرات الدخيلة على الأدب الألماني من خلال الحكم الاقطاعي المطلق الذي انعكس في الأدب الفرنسي في القرن الثامن عشر.

وكانت المسرحية المأساة (التراجيديا) الفرنسية لا تعالج سوى الشخصيات الارستقراطية من الملوك والنبلاء، أما أبطال الكوميديا فكانوا من عامة الناس إذ لا يجوز أن يضحك الناس على الملوك. وجاء لسنك وقلب هذه المقاييس وغير هذه القاعدة فأدخل الملوك في الكوميديا والناس البسطاء في التراجيديا، وكان شكسبير قد فعل ذلك من قبل في مسرحياته وهنا يكمن خلود مسرحه.

٢ ـ هامبوركشة دراماتوركي (أوفن المسرح الهامبوركي):

أحدثت حرب الفلاحين الألمانية (١٦١٨ ـ ١٦٤٨) دمارا في أغلب المدن الألمانية والقصور والقلاع والكنائس وغيرها من المنشآت العمرانية، إلا أن مدينة هامبورك التي تقع في الشمال ظلت بعيدة عن هجوم الفلاحين عليها فاجتذبت إليها أنظار الأدباء والتجار والحرفيين فتم تشييد دار للأوبرا لا

Twitter: @abdullah_1395

سيما بعد النشاط التجاري الذي شهدته المدينة لوجود ميناء هام فيها.

وكانت تعرض على المسرح مسرحيات للكُتاب الهولنديين والانجليز بعد أن ظلت المدن الأخرى تعيش على عرض المسرحيات الفرنسية التراجيدية. وطالب لسنك ازاء هذا الوضع تأسيس مسرح وطني في ألمانيا ينهض على أسس علمية سليمة وعرض مسرحيات ناضجة وهادفة ليس هدفها الترفيه عن الجمهور فحسب، بل ايضا تربيته وتوعيته اجتماعيا وفكريا. ووضع لسنك خمسة أهداف لتحقيق ذلك:

١ ـ ربط المسرح بالعمل المسرحي.

٢ ـ رفع المستوى الفكري والاجتماعي للممثل.

٣ ـ تربية الجمهور وتوعيته.

٤ ـ وضع أسس علمية للنقد المسرحي.

٥ ـ وضع نظرية علمية للفن المسرحي.

وصل لسنك إلى هامبورك في أوائل نيسان من عام ١٧٦٧، وتم في ذلك الشهر افتتاح المسرح الوطني في المدينة. وفي شهر مارس ـ أيار من نفس العام نشر لسنك القسم الأول من كتابه النقدي (هامبوركشة دراماتوركي) في مجلة المسرح التي كانت تصدر مرتين في الاسبوع في هامبورك. وفي الفصل الرابع بعد المئة بلغ فيه لسنك نقطة الذروة فيما يتعلق بانشاء وتطوير المسرح الوطني في ألمانيا. وقد أثرت آراؤه على الممثلين والمخرجين والمختصين بالفن المسرحي والذين يطلق عليهم (دراماتورك).

في عام ١٧٩٩ كتب شلر إلى الشاعر جوته رسالة امتدح فيها آراء لسنك حول المسرح والفن والأدب. وقال شلر: «انه اجرأ كاتب ظهر في ألمانيا واستطاع أن يعبر عن آرائه بكل شجاعة وصراحة ووضوح، كما شخص في هذه الآراء الأخطاء والأمراض التي يعانيها المجتمع الألماني».

وقد أثرت آراء لسنك في كتابه (هامبوركشة دراماتوركي) فيما بعد على عملية الخلق الفني والمسرحي لكل من جوته وشلر وغيرهم من الكتاب والمفكرين الألمان، حيث تعد آراء لسنك أساسا للمسرحية الألمانية ولمسار علم الجمال (أستيتك) في الفن والأدب.

Twitter: @abdullah_1395

إن كتاب (هامبوركشة دراماتوركي) يتألف من قسمين ويحتوي القسم الأول منه على آراء لسنك عن حالة المسرح الألماني وكذلك الحالة الأدبية في ذلك الوقت. كما ناقش لسنك اسلوب المسرح الفرنسي الذي اتخذه المسرح الألماني نموذجاً له.

أما القسم الثاني فيطرح فيه لسنك القواعد الدرامية ويعالج فيه النموذج الأفضل. وكان لسنك يطالب بمسرح يقدم المسرحيات الألمانية فقط وينبذ المسرحيات الفرنسية ورأى لسنك أن هامبورك تفتقر إلى أسس انشاء مسرح وطني وإلى جمهور خاص يتعاطف مع هذا الاتجاه.

كما طالب لسنك بتأسيس نقد مسرحي علمي وأكد على افتقار النقاد لمبادىء النقد العلمي وطالب بالوحدة الديالكتيكية بين النظرية والتطبيق للنقد الأدبي عن الفن (أي الوحدة الجدلية ـ والديالكتيك يعني صراع الأضداد). وأكد لسنك على أن عرض مسرحية فرنسية لا تثير نفس الاعجاب والاحاسيس مثلما تثيره في نفوس الجمهور الفرنسي، لأن الكاتب جزء من المجتمع والجمهور الألماني متخلف عن الجمهور الفرنسي بأشواط بعيدة ولا يمكن ان يتجاوب الجمهور الألماني مع المسرحيات الفرنسية التي تعالج مشاكل الفرنسيين وهمومهم. وشخص لسنك حالة المسرح حينذاك بالنقاط التالية:

١ ـ عدم وجود مسرحيات وطنية في المانيا.

٢ ـ افتقار مسرح هامبورك الوطني إلى جمهور يتجاوب مع محاولات بناء مسرح وطني.

٣ ـ افتقار النقاد إلى المبادى العلمية للنقد العلمي البناء.

٤ ـ تخلف الحالة الاجتماعية والاقتصادية للكُتاب الألمان.

كان لسنك يطالب بمسرح تقدمي الاتجاه انساني المضمون كتعبير عن طموحات الطبقة البرجوازية المتنورة. وأشار لسنك إلى محاولات كوجيت بهذا الصدد في الرسالة السابعة عشرة حيث قال:

«إن كوجيت لم يكن يريد تحسين مسرحنا القديم، بل أراد أن يصبح مؤسسا لمسرح جديد ولكن أي مسرح جديد؟ انه مسرح فرنسي المضمون ولم يكلف نفسه عناء البحث عما إذا كان هذا المسرح المتفرنس يلائم طريقة تفكير الألمان أم لا؟»

Twitter: @abdullah_1395

وكافح لسنك التقليد الأعمى للتراجيديا الفرنسية لكل من كورنيه وراسين وقال: «.. إن التراجيديا الكلاسيكية الفرنسية نشأت في فرنسا على أساس النموذج اليوناني وقواعد ارسطو وبأمر من الكاردينال ريشليه»(٥).

وقد نبذ لسنك نظام القواعد الصارمة للمسرحية التي تتقيد بقواعد ارسطو وهي وحدة الزمان ووحدة المكان ووحدة الموضوع. وأشار لسنك إلى أن المسرحيات الفرنسية كانت تعكس المُثل والقيم التي تميز بها النظام الاقطاعي الذي كان يمثله لويس الرابع عشر في فرنسا.

وكافح لسنك أيضاً الفن والأدب الاقطاعي وقارن ذلك بمؤلفات شكسبير وديدرو واتخذهما نموذجاً له. وكتب لسنك حول ذلك في القسم الرابع عشر من كتابه (هامبوركشة دراماتوركي) قائلاً:

«إن اسماء النبلاء التي يحملها الابطال تستطيع أن تضفي على المسرحية مسحة العظمة والسمو، إلا أنها لا تستطيع أن تساهم في هز المشاعر وتحريك العواطف. إن تعاسة هؤلاء الذين تتشابه ظروف تعاستهم معنا ينبغي أن تتغلغل في أعماق نفوسنا، وإذا ما تعاطفنا مع الملوك كبشر مثل الآخرين وليس كملوك فإن تعدد حالاتهم وظروفهم سوف لن تكون مهمة بالنسبة لنا بقدر ما ننظر إليهم كبشر مثلنا»(٦).

ويطرح لسنك في كتابه آراء عديدة ويتطرق في الفصل ٤٤ و٤٥ و٤٦ إلى مسألة الوحدات الثلاث التي وضعها أرسطو. كما أشار إلى موضوع ظهور الاشباح على خشبة المسرح كما في بعض مسرحيات شكسبير، كما عالج مفهوم الخوف والشفقة ومسألة استخدام الموسيقى في التعبير عن الموضوع وقد ورد ذلك في الفصل ٢٦ و٢٧.

ويوجد في الكتاب ملحق خاص لقواعد فن التمثيل. كما امتدح في هذا الملحق فيلاند أول من ترجم أعمال شكسبير إلى اللغة الألمانية وجاء ذكر ذلك في الفصل ١٥ وأشار لسنك إلى فن اختيار الاسم للمسرحية وذلك في الفصل ٢١. ولم يترك لسنك مسألة أو موضوعاً يتعلق بالمسرحية أو الممثل أو فن المسرح إلا وعالجه في هذا الكتاب.

---

(٥) مؤلفات لسنك الجزء الرابع، صفحة ٣٠٥.
(٦) نفس المصدر السابق.

Twitter: @abdullah_1395

٣ ـ المسرحية والتاريخ:

أكد لسنك على أن الكاتب ليس مؤرخاً ولا ينبغي لـه أن يتقيد بالحقائق التاريخية تقيداً أعمى كمـا انه لا يكتب ما يخمن وقوعه، بل يجعل الأحداث تقع أمام أبصارنا مـرة أخرى ليس انطلاقا من الحقيقة فـحسب، بل لهدف آخر أسمى، فالحقيقة التاريخية ليست هي الهدف، بل وسيلة إلى الوصول للهدف. إن الكاتب يريد أن يضللنا ومـن خلال هذا التضليل يهز مـشاعرنا ويشدنا إلى الحقيقة.

إن الهـدف النهائي اذن، كـما يقـول لسنك، ليس قيـام الكاتب بمهـمة المؤرخ، بل تضليل المشـاهدين وهز مشـاعرهم وايقـاظ المشاهد وتطهـير عواطفه ثم تربيته.

كما ينبغي على الكاتب أن يجعل من المسرح مدرسة أخلاقية وأن يختار من التاريخ مادة مـعينة للوصول إلى هذا الهدف وأن لا يلتزم باسـتخدام جميع التـفاصيل التاريخية للمـوضوع دون حذف أو تغيير، كـما لا يجوز القيام بتـعديلات أو تغييـرات في صفات الشـخـصية التاريخـية أو الحدث التاريخي بصورة خاطئة أو معكوسة.

وقـد خـرق بـعض الكتـاب الألمان بعـد لـسنك هذه القـواعـد بـغـيـة المحافظةعلى الصدق التاريخي لاسيما في شـخصية (أكمونت) أحد أبطال حركة التحرر في هولندا وكذلك في شخصية عذراء اورليانز لشلر،

وطالب لسنك الكتاب الالتزام بالحقائق التاريخية إذا كان ذلك ضرورياً لتصوير أخلاق وملامح معينة، ولا يجوز التصرف بهذه الملامح والصفات كما يريد الكاتب. إن المؤرخ يصـور لنا حالة خاصة، أما مهـمة الكاتب فهي ادراك الشيء المميز للظواهر العـامة والتعبيـر عنها. إن الحقيقة التـاريخية ليست هدفه النهائي بل وسيلة للوصول إلى هدفه، وان يختار من التاريخ الفابل (المغزى) كمادة له ويمزجها مع هدفه ثم يصورها تصويراً أدبياً.

وإذا اختار الكاتب مـادة من التاريخ، فينبغي عليـه اجراء تعديلات على الأحداث المهـمة والضرورية لظاهرة معـينة، أي ينبغي عليه ازالة وجـهات

Twitter: @abdullah_1395

النظر الاعتباطية التي تبرز في مسار الموضوع التاريخي، ولكن لا يجوز تزوير التاريخ لأن الصفات والملامح والمميزات الخاصة ينبغي أن تبقى مقدسة ومصونة.

٤ ـ قانون الوحدات الثلاث:

أشار لسنك في الرسالة الأدبية السابعة عشرة أثناء مقارنته لمسرحيات شكسبير مع مسرحيات كورنيه.. «إلى أن الانجليزي توصل إلى هذه المسألة دائماً وبصورة بارزة واختار طريقه الذاتي أما الفرنسي فإنه لم يستطع التوصل إلى هذا الهدف ابدا رغم انه دخل مباشرة في الطريق المعبد للقدامى»(٧).

وأشار لسنك إلى قواعد المسرح اليوناني (الاغريقي) القديم الذي كان يتقيد بقانون الوحدات الثلاث تقيداً أعمى وقال:

«إن وحدة الموضوع كانت أول قانون درامي للاغريق وينبغي أن يكون للمسرحية فابل وفكرة رئيسية وهدف، ومن وحدة هذا الموضوع تنشأ وحدة المكان ووحدة الزمان. وكان الكورس يقف على خشبة المسرح ويؤدي ذلك في زمن محدد ومكان معين وتدور أحداث ذلك حول موضوع معين»(٨).

وانتقد لسنك الفرنسيين لتقيدهم بهذه الوحدات الثلاث دون تعديل أو نقد كما أنهم لم يعتبروا وحدة الموضوع مبدأ مهماً وضرورياً ووقعوا تحت تأثير البلاط الاقطاعي والملكي وعوضوا عن وحدة الزمان بوحدة الاستمرار أي أنهم تحاشوا في مسرحياتهم ذكر شروق وغروب الشمس ولكنهم حافظوا على وحدة المكان حيث اختاروا مكاناً محايداً تجري فيه أحداث الموضوع.

وانتقد لسنك بعنف المسرح الفرنسي في جميع كتاباته واعتمد في نقده على آراء ارسطو الذي اعتبر آراءه الجمالية نموذجا شرعيا لذلك العصر وأساسا للمضمون التقدمي للبرجوازية الألمانية.

وقال لسنك: «إن الفرنسيين فهموا الاغريق فهماً خاطئاً حيث اعتبروا

(٧) نفس المصدر السابق، صفحة ٣١٠.
(٨) نفس المصدر السابق.

Twitter: @abdullah_1395

المسألة الثانوية تأتي بالدرجة الأولى وهي مهمة وضرورية وأدركوا أن القواعد التي لم تتبلور أهميتها بوضوح ادراكاً خاطئاً ثم تمسكوا بالقواعد والقوانين التي كانت تعد شرعية وملائمة لمسرح الاغريق»(٩).

٥ ـ الخوف والشفقة:

عالج لسنك في الرسالة الأدبية ٣٨ و٧٥ و٧٩ و٨١ و٨٣ هدف التراجيديا لايقاظ الخوف والشفقة في نفس المشاهد لتطهير العواطف. قال لسنك.. إن المشاهد ينبغي عليه أن يشعر ويحس مع شخصيات التراجيديا ويتعاطف معهم وأن يتبلور عنده انطباع من أن هذه الشخصيات تعالج قضايا الإنسان. ومن هذه العواطف تتولد لدى المشاهد النقاوة والطهر وينطلق لسنك في نظريته من آراء ارسطو الذي عرَّف المسرحية التراجيديا بما يلي:

«إن التراجيديا هي تصوير تقليدي لموضوع كامل في غاية الجدية يستطيع أن يتوسع بقدرة معينة بواسطة وسائل مختلفة النغم والكلمات الجميلة أي تنظيم ذلك في أجزاء مختلفة في سبيل استخدامها من خلال الشخصيات وليس بواسطة القصة المجردة بحيث يستهدف ذلك تطهير النفس البشرية بواسطة الخوف والشفقة»(١٠).

وناقش لسنك الاصلاح المترجم عن الفرنسية وهو «الشفقة والرعب» وتوصل إلى أنه لا يجوز وضع الرعب إلى جانب الشفقة التي تثيرها التراجيديا، بل ينبغي وضع الخوف إلى جانب الشفقة لأن الخوف هو الشفقة التي يفهمها المشاهد وتنعكس في نفسه..

وبعبارة أخرى .. ان المشاهد عندما يندمج مع شخصية الممثل يشعر بالخوف وليس بالرعب من أن نفس مصير هذا البطل على خشبة المسرح قد يصيبه في المستقبل ويشعر هنا بالشفقة عليه لأنه يحتاج إلى نفس شعور الشفقة فيما لو أصيب هو نفسه بنفس المأساة.

وناقش لسنك آراء كورنيه حول مفهوم ارسطو حيث يقول كورنيه:

«انه ليس ضرورياً دائماً ايقاظ الاحاسيس، أو لا يجوز ايقاظ الاحاسيس من خلال الشخص نفسه.

---

(٩) نفس المصدر السابق.

(١٠) نفس المصدر السابق صفحة ٣٣٢.

Twitter: @abdullah_1395

كما لا يجوز ايضاً دفع الانسان الطاهر للوقوع بدون ذنب من هوة التعاسة، فلربما يمكن انقاذه، وقد يحدث أن يكون البطل في التراجيديا مجرد وغد لأنه يبعث في نفوس المشاهدين الرعب».

إن جميع هذه الآراء التي طرحها كورنيه اعتمد فيها على آراء وأفكار ارسطو ولكن لسنك نبذها ورفضها لأنها تتنافى مع هدف التراجيديا. وقد وضع لسنك ازاء ذلك الخوف والشفقه في الترجيديا بحيث يصب احدهما في الآخر ولا يتحول بطل التراجيديا إلى شخص فاضل أو رذيل لأن الحالتين في التصوير اللاواقعي والمجرد والمبالغ فيه لايمكنها ايقاظ وتحريك شعور الخوف والشفقة.

٦ ـ لسنك والاتجاه الواقعي:

أشار لسنك إلى ضرورة المحاكاة، أي أن الكاتب ينبغي عليه محاكاة الحياة بهدف التربية. إن المحاكاة الأدبية لا تعني قيام الكاتب بتقديم جميع خصائص موضوعه، بل ينبغي أن يصبح هدفه في كيفية تجسيد الحقيقة الشعرية والأدبية التي تحددها مستلزمات الفن.

كما يجب على الكاتب، كما جاء في الرسالة الأدبية (٧٠)، ان يمتلك قابلية الفرز، حيث ان الملامح الاعتباطية التي لا تتسم بأية أهمية هي مجرد ملابسات تعكر الانتباه ولذلك ينبغي على الكاتب أن يجردها من ذلك لكي يفسح المجال لظهور الملامح والتيارات المهمة والحتمية بصورة واضحة ونقية.

كما أن الأمور التافهة تؤدي إلى صرف القارىء والمشاهد عن المسألة الرئيسية، لذلك لايوجد لهذه التوافه أي مكان في الفن.

وفي الرسالة (١٩) قال لسنك:

«أما في المسرح فينبغي علينا أن لا نتعلم ما قام به هذا الشخص أو ذاك بل ما يقوم به كل شخص معبراً عن حالات معينة تحت ظروف ومعطيات معينة»(١١).

---

(١١) نفس المصدر السابق.

Twitter: @abdullah_1395

وطرح لسنك في هذا الفصل أساس نظريته الجمالية وطالب بوضع علم النفس كأساس وهدف للتعاليم الأخلاقية لاقامة المسرح الوطني في ألمانيا. وينسجم رأي لسنك هذا مع تعريف انكلز للواقعية الذي ورد في الرسالة الموجهة إلى المسز هاركنس في نيسان عام ١٨٨٨ حيث قال: «الواقعية تعني حسب رأيي اضافة إلى الصدق في التفاصيل، الصياغة الصادقة لحالات نموذجية معينة من خلال ظروف معينة»(١٢).

ويعني أنكلز بذلك الحالة الاجتماعية للانسان ومنحدره الطبقي الذي يميز أخلاقه وتفكيره.

إن رأي لسنك ينهض على أساس طبقي يحدده منحدره البرجوازي لأن البرجوازية ظهرت أيام لسنك في مرحلة ما قبل الثورة البرجوازية كطبقة تنادي وتتبنى المبادىء الإنسانية العامة باسم البشرية.

وأشار لسنك إلى أن الكاتب لا يجوز له أن يجعل من الحالات الشاذة موضوعاً لمعالجاته الأدبية، بل ينبغي عليه أن يضع نصب عينيه الاشياء العامة، لأن الذي يصور الحالة الشاذة أو الاستثنائية فإنه يصور بلا جدال الطبيعي النادر».

ودان لسنك تقليد الفكرة وتقمصها وتبنيها من قبل الكاتب، وطالب بدلاً من ذلك بالتمييز الدقيق للشخصية الحيوية الممتلئة بالعاطفة والتي تعكس الصفات العامة الواضحة.

إن لسنك يميز لنا الصفات والملامح العامة عن الصفات والملامح التي تتسم بالبهرجة والمبالغة والتي ينعكس فيها الشيء الأساسي والجوهري كشيء ثانوي ونموذجي. ففي السمات والصفات العامة تبدو لنا جميع الشخصيات منسجمة بصورة مشتركة وذات تناسب وسطي.

ويبدو رأي لسنك هنا قريباً من المفهوم الحديث عن علم الجمال الذي يعتبر مهمة الكاتب تصوير الصفات والملامح النموذجية والمميزة أثناء مراعاة الشخصية. وأشار لسنك إلى أن الصفات والمميزات الخاصة ببطل المسرحية التراجيدية تعد على جانب كبير من الأهمية.

كما اعتبر لسنك المسرحية أعلى شكل من أشكال الشعر لأنها تضع الإنسان في محور الصراع الدرامي (المثير).

---

(١٢) أنجلز ـ حول الفن والأدب ـ برلين ١٩٤٨م.

Twitter: @abdullah_1395

وأشار لسنك بعناية إلى الصفات المأساوية وطالب أن تكون صفات مختلطة أي أن لا تتجه فقط إلى معالجة الصفات والملامح السيئة والشريرة أو إلى معالجة الصفات الجيدة فقط.

٧ ـ شكسبير وديدرو:

تطرق لسنك في كتابه هامبوركشة دراماتوركي إلى شكسبير، وقارن مسرحياته التراجيدية مع المسرحيات الفرنسية وأشاد بالقابلية الشعرية والأدبية لشكسبير، ولكنه في نفس الوقت حذر من تقليد المسرح الانجليزي تقليداً أعمى وطالب بضرورة الاستفادة من مسرح شكسبير لبناء مسرح وطني في ألمانيا.

وكان لسنك معجباً بالكاتب والفيلسوف ديدرو، حتى أنه نشر عام ١٧٦٠م كتاباً عنه بعنوان «مسرح السيد ديدرو».

وكان لسنك يريد تطعيم المسرح الوطني في ألمانيا بمسرحيات ديدرو الاجتماعية. واضطلع لسنك بترجمة مسرحيتي ديدرو «الابن الشرعي» ومسرحية «رب البيت». وتشبه هاتان المسرحيتان إلى حد كبير مسرحية لسنك بعنوان «مس سارة سمبسون» لا سيما في محتواها الاجتماعي.

كان ديدرو يتبني في فرنسا المسرح الوطني الأصيل الذي يعالج المشاكل الاجتماعية.

كما كان ديدرو ولسنك يناضلان في سبيل تحقيق أفكار مثل هذا المسرح في كل من فرنسا وألمانيا رغم اختلاف وجهات النظر بينهما. فقد كان ديدرو من أنصار الفلسفة الميكانيكية، وكان لسنك في أواخر أيامه من مؤيدي فلسفة سبينوزا في عبادة الطبيعة، إذ كان سبينوزا يقول: «إن الله هو الطبيعة وان الطبيعة هي الله».

وكانت توجد اختلافات في آرائهما حول المسرح وعلم الجمال، فقد أشار لسنك في الرسالة (٨٦) في كتابه (هامبوركشة دراماتوركي) إلى نظرية ديدرو وقال:

«توجد على الأغلب صفات غريبة لا تتعدى أصابع اليدين ولكن

Twitter: @abdullah_1395

الصفات الغريبة للشخص هي وحدها المطلوب عرضها على المسرح؟ إن الصفات الغريبة للشخص ليس هي وحدها المطلوب عرضها على المسرح، بل المشكلة الاجتماعية التي يتحدث عنها الممثل»(١٣).

ورغم التباين في وجهات النظر بينهما إلا أن ذلك لم يمنع لسنك من الاشادة بديدرو كممثل للفكر الفلسفي وكمنظر للمسرح منذ ارسطو. وطالب لسنك بأن تكون المعالجة الانسانية محور المسرحية، حيث ان الحياة الانسانية وحدها تعد الموضوع الرئيسي للمعالجة الفنية.

كما كافح لسنك ضد استخدام التعابير المنمقة والزخارف اللفظية والاسلوب الخطابي الوعظي وطالب بتصوير الصفات والملامح العامة وابراز جوهر هذه الصفات في كل موقف بشكل واضح والالتزام بالصدق في سرد التفاصيل.

ويقترب لسنك بذلك من المفهوم الكلاسيكي عن الواقعية الذي طاغه انكلز. كما طالب لسنك بتصوير المهم والعام والتخلي عن الظروف والأحداث الطارئة التي يؤدي تصويرها والتركيز عليها إلى اضعاف انتباه المشاهد والقارىء على حد سواء.

وقد تبنى لسنك قانون الوحدة لفن التمثيل الذي يعتمد على أساس الوحدة بين الجسد والروح. وقد حارب أيضاً التراجيديا الفرنسية التي تعكس المسرح الاقطاعي وطالب بايجاد مسرح وطني في المانيا يتبنى معالجة المسائل الاجتماعية الملحة ووضع لتحقيق ذلك الأساس الفني لمسرح المستقبل وقد أضحت هذه الأصول الفنية فيما بعد الأساس الذي اعتمد عليه جوته وشلر في أعمالهما الأدبية والمسرحية.

---

(١٣) نفس المصدر السابق، صفحة ٣٣٥.

Twitter: @abdullah_1395

تأثير ألف ليلة وليلة وأشعار المعلقات في أدب الكاتب والشاعر الألماني يوهان فولفكانك فون جوته

تقف شخصية الشاعر الألماني يوهان فولفكانك فون جوته Goethe شامخة بين الشخصيات الأدبية الكبيرة، سواء العالمية منها أو الألمانية. وتعد مؤلفاته وأبحاثه العلمية من أنضج ما أبدعته قرائح الشعراء في العصر الكلاسيكي.

وإلى جانب عبقريته الشعرية، كان جوته أيضاً عالماً وباحثاً في التشريح وعلم طبقات الأرض (الجيولوجيا) وعلم البصريات والنبات والألوان وعلم الاستشراق. وقل أن نجد في التاريخ أديباً ألم في حياته بجميع فروع المعرفة والعلم مثل الشاعر جوته.

ولد جوته في الثامن والعشرين من شهر آب (اغسطس) عام ١٧٤٩م في مدينة فرانكفورت على نهر الماين. وكان والده يشغل منصباً رفيعاً مما جعل الشاعر بعيداً عن الفاقه والعوز. وقد برزت مواهبه الشعرية وهو ابن الثامنة فنظم قصيدتين عن والديه بمناسبة عيد رأس السنة بعنوان (أبي السامي وأمي السامية) Erhabene Mama, erhabenr Papa كان جوته في صغره يتلقى دروساً في الموسيقى والرسم واللغات الاجنبية وكان يجيد - وهو ابن الثامنة - اللاتينية واليونانية والعبرية.

وكان جوته يزور في فرانكفورت الفرق المسرحية الفرنسية اثناء زحف القوات الفرنسية عليها في مستهل عام ١٧٥٩ أثناء احتفال سكان المدينة بعيد رأس السنة وذلك في حرب السنوات السبع التي كانت قد

Twitter: @abdullah_1395

نشبت في المانيا انتصاراً لملكة النمسا ماريا تريزيا ضد مطامع الملك فريدريش الثاني، ملك بروسيا، واستمر احتلال الفرنسيين لمدينة فرانكفورت أربع سنوات، أي حتى عام ١٧٦٣. كلمة النمسا مشتقة من الكلمة التركية «نمسي» أي «مختبىء» ودخلت اللغة العربية في تموز عام ١٦٨٢م عندما طوق السلطان التركي مصطفى مدينة فيينا وظل يقنبلها بالدانات فلم يرد عليه أهالي فيينا وخرج من خيمته وقال للضباط لماذا لا يجيب علينا السكان؟ هل هم نمسي؟ وتسمى في الألمانية اوسترايش (أي مملكة الشرق).

وقد استفاد جوته من اختلاطه بالفرنسيين ومشاهدته لفرقهم المسرحية حيث غرست هذه الفرق فيه حب المسرح، كما درس آنذاك العبرية على يد استاذه البرشت. وقد قام جوته بترجمة بعض النصوص العبرية إلى اللغة الألمانية. وكان يقول عن التوراة على أنه من أقدم كتب الشعر واعجب بشعر أيوب وكذلك قصة الحب الساذج مثل «قصة راعث» وكذلك «نشيد الانشاد» وقام بترجمة هذا النشيد إلى الألمانية شعراً، كما كتب قصة لفتى في مثل عمره فكانت «يوسف واخوانه».

وقد سبق جوته إلى ذلك يوهان بودمر J. Bodmor (١٦٩٨ ـ ١٧٨٣) مترجم ملحمة ملتون الدينية وهي «الفردوس المفقود»، فقد تناول قصص التوراة في شعره، إلا أن الذي هز المانيا هو مؤلف ملحمة المسيح Messiao الشاعر الألماني فريدريك كلوشتوك Klopstock (١٧٢٧ ـ ١٨٠٣) حيث صاغها في قالب من الشعر الموزون المقفى على غرار ملتون، وقد ذكر جوته انه تأثر به وهو طفل.

وفي شهر اكتوبر ـ تشرين الأول ـ سافر جوته إلى لايبزك ليدرس في جامعتها القانون. وبعد وصوله إلى لايبزك قابل استاذ القانون وأفهمه ميله إلى الأدب. ولم يلبث جوته أن انصرف عن دراسة القانون إلى دراسات أخرى كالتاريخ الطبيعي والطب. وفي صيف عام ١٧٦٨ أصيب جوته بمرض شديد اضطره إلى العودة إلى مدينة فرانكفورت مسقط رأسه حتى أبل من مرضه في عام ١٧٧٧ فارسله والده مرة ثانية إلى جامعة شتراسبورغ ليواصل دراسته الجامعية في القانون. وقد استطاع

Twitter: @abdullah_1395

ان ينال شهادة الدكتوراه في القانون من الجامعة، وهناك في شتراسبورغ التقى جوته بالناقد الأدبي الألماني هردر Herder (١٧٤٤ ـ ١٨٠٣) وقد استفاد جوته كثيراً من هردر. وكان هردر قد اشتهر آنذاك بمؤلفاته في النقد الأدبي وأصول الأدب وأصل اللغات، كما تأثر جوته بتعاليم هردر حول بعث الأدب القومي والشعر الشعبي.

وكان هردر قد فند في احد مؤلفاته ان يكون سفر أيوب من تأليف موسى، وقال هردر ان اشعار العبرانيين تختلف عن الشعر في سفر أيوب ويدل على أن مؤلفه هو عربي أصيل، ومن هنا تأثر جوته لأول مرة بالشرق العربي، كما تأثر جوته بما جاء من تحدي الشيطان لله في فاتحة سفر ايوب، حيث ذكر الله عبده بالتقوى والصلاح فقد نقل ذلك جوته فيما بعد في مسرحية فاوست إذ جعل لها فاتحة في السماء، ذكر الله فيها العالم فاوست بالخير والتقوى فتحدى الشيطان ربه في افساده.

وعندما كان جوته في شتراسبورغ اهتم بفن البناء القوطي الذي تجسد بكاتدرائية شتراسبورغ الأمر الذي أدى به الحماس إلى تفضيل فن البناء الجرماني على الفن اليوناني واللاتيني. وقد أدى ذلك إلى قيام حركة جرمانية في المانيا تنبذ القيود الثقيلة للمدرسة الكلاسيكية في الأدب والفن.

وقد كان نداء جان جاك روسو (١٧١٢ ـ ١٧٧٨) العودة إلى الطبيعة Zuruck Zur Natur اثرها العميق في تأسيس الاتجاه القومي في الأدب الألماني وهي الحركة التي أطلق عليها «العاصفة والاندفاع» Sturm and Drang. وقد أدى اعجاب جوته بهذه المدرسة إلى تأليف مسرحية «جوتس فون برلشنغن» Gotz von Berlichingen وهو احد أبطال حرب الفلاحين الألمانية التي نشبت عام ١٥٢٤م.

وعندما كان جوته في شتراسبورغ تعرف على فردريكه بريون Fer-drike Brion ابنة قسيس قرية سيزنهايم في ضواحي شتراسبورغ، وقد نظم جوته قصيدة رائعة يصف فيها الطبيعة أروع وصف ويعبر فيها عن عواطفه وخلجاته وعنوان هذه القصيدة «نشيد آيار» ويقول فيها:

Twitter: @abdullah_1395

نشيد أيار

Mailied

Wie herrlich leuchtet
Wic glanzt die bonne!
Wie lacht die flur!

Es dringen Bluten
Aus jedcm Zweig
Und tausend Stimmen
Aus dem Gestrauch.

Und freude und Wonne
Aus jeder Brust.
O Erd, W Sonne!
O Gluck, O Lust!

O Lieb, O Liebe!
So golden Schon,
Wie Morgenwolken
Auf jene, Hohn!

Du Segnest herrlich
Das frische Feld,
Im Blutendempfe
Die volle Wolt.

O Mädchen, Mädchen,

أي اشراق يغمر الطبيعة
أمام عيني
وأي تألق يبعثه نور الشمس
وأي ضحك تطلقه المروج
الأزاهير تتدفق زاهية
من كل غصن
وآلاف الأصوات
تنطلق من الاحراج المطيرة
والفرح والغبطة يتفجران في كل صدر
أيتها الأرض .. أيتها الشمس
ياللسعادة .. ياللفرح
أيها الحب الجميل الذهبي
كسحب الصباح على تلك الأعالي
انك تبارك بخيرك الطبيعة
وقد عاد لها رونقها
أيتها الفتاة
أي حب يضمره قلبي لك
واية نظرات ترسلها عيناك

Twitter: @abdullah_1395

Wie lieb ich dich!
Wie blickt dein Auge!
Wie liebst du mich!

So liebt die Lerche
Gesang und Luft,
Und Morgenblumen
Uen Himmelsduft,

Wie ich dich Liebe
Mit Warmem Blut,
Dic du mir Jugend
Und Freud und Mut

Zu neuen Liedern
Und Tanzen gibst.
Sei ewig glucklich,
Wle du mlch liebst!

يالحب الذي يختلج في صدرك
مثل حب القبره
للتغريد والغناء
كزهرة الصباح
التي تعبق رائحتها السماء
وأي حب عارم يضمره قلبي لك
وأي شباب
أية غبطة وشجاعة
دبت في نفسي
فهيا لنغن ونرقص
من جديد ولتغمرك السعادة
إلى الأبد
مادام حبك لي طويل الأمد

Twitter: @abdullah_1395

لقـاء ووداع

ثم ينظم جـوته قصـيدة أخـرى في شـبـابه بعنـوان «لقـاء ووداع» Willkommen und Abschied يعبـر فيـها عن لقائه بفـردريكه بريون في غابات سيزنهايم، وهذه القصيدة لا تخـتلف في روعتها وقوة تعبيرها عن عواطفه وأحاسيسه ازاء فردريكه، ويقوْل فيها:

Willkommen und Abschied

Es Schlug mein Herz, geschwind zu pferde!
Es War getan fast eh gedacht.
Der Abend Wiegte Schon die Erde,
Und an den Bergen hing die Nacht,
Schon Stand im Nabelkleid die Lerche,
Ein aufgeturmter Riese, da,
Wo Finsternis aus dem Gostrauche
Mit hundert Schwarzen Augen sah.

Der Mond von einem Wolkenhugel
Sah kläglich aus dem Duft hervor,

Twitter: @abdullah_1395

Die Winde Schwangen Leise Flugel,
Umsausen Schauerlich mein Ohr,
Die Nacht Schuf tausend Ungeheuer,
Doch frich und fröhlich War mein Mut:
In meinen Adern Welches Feuer!
In meihem Herzen Welche Glut!

Dich Sah ich, und die milde Freude
Floss von dem sussen Blick Plick auf mich,
Ganz War mein Herz an deiner Seitc
Und Jeder Atemzug für dich.
Ein rosenfarbnes Fruhling Wetter
Umgab das Liebliche Gesicht,
Und Zärtlichkeit für mich - ihr Götter!
Ich hofft es, icn verdient es nicht!

Doch ach, Schon mit der Morgensonne
Verengt der Abschied mir das Herz:
In dienen Küssen Welche Wonne!
In deinen Augcn Welcher Schmerz!
Ich ging, du Standst und Sahst Zur Erden,
Und Sahst mir nach mit nassem Blick:
Und doch, Welch Glük geltend zu Werden!
Und lieben Götter, Welch ein Glück!

عندما وقع نظري عليها
أخذ قلبي يخفق بسرعة عدو الجواد
ولم يعد هناك مجال للتفكير

Twitter: @abdullah_1395

فقد وقعت في شراكها
وكان المساء يهدهد الأرض
والليل يرخي سدوله على الجبال
وتبدو السنديانة بوشاحها البخاري
كمارد جبار
وتتطلع الظلمة من وراء الادغال
بمئات من عيونها السود
والقمر يبدو من خلال السحاب شاحباً
فوق جبال من السحب المتراكمة
والرياح تعصف بأجنحتها الجميلة
وتهمس في اذني ألحانها العذبة
والليل يبدو لي مملوءاً بآلاف الاشباح المخيفة
وكانت شجاعتي ممتلئة سعادة ومرحا
اية نار سرت في شراييني
عند ما رأيتك
وأي حب عصف في صدري
لقد غمرتني نظراتك اللطيفة
بفيض من الفرح الهادىء
وكان قلبي كله عندك
وكانت أنفاسي تتهدج من أجلك
وتوهجت هالة وجهك الحبيب
بلون وردي من أنفاس الربيع
وكان قلبي كله يرتعش في يدي
يالرقتك .. ايتها الآلهة
انني اتلهف لها
الا استطيع ان أظفر بها
يا الهي .. ان وداعنا عند اشراقة الصباح
مزق نياط قلبي المليء بالجراح

Twitter: @abdullah_1395

اية نشوات تذوقتها على شفتيك
واية دموع تحير في عينيك
ولكن وداعنا والهفي كان شقي معذباً
فمشيت وظللت انت مطرقة
تودعيني بنظرات ندية

وفي عام ١٧٧٢م قصد جوته مدينة فتسلار للاطلاع على الأعمال القضائية هناك. وتعرف جوته في هذه المدينة على (كستنر) خطيب «شارولوته بوف» Charlotte Buff.

وهام جوته بهذه الفتاة فاخرج عام ١٧٧٤ ثمرة حبه لشارلوته وهي رواية «آلام فرتز» Die Leiden des jungen Werther ونالت الرواية شهرة واسعة في أنحاء المانيا واوروبا وقرأها نابليون سبع مرات، إلا ان جوته انتقدها بعد سنوات لأنها كانت تتميز باليأس والحنان والضعف مما أدى إلى انتحار العديد من الفتيات على غرار البطل الذي ينتحر في نهاية الرواية.

وقد قلد الشبان في المانيا سترة فويتر الكحلية وصدريته الصفراء وارتدت الفتيات فستان البطلة شرلوته الابيض ذا الرباط الوردي، وحتى في الصين صنعوا هناك لفرتر وشرلوته تماثيل من الخزف، وما يجدر ذكره بهذا الصدد ان شارلوته عندما بلغت الستين من عمرها زارت جوته في منزله في مدينة فايمار وكانت ترتدي نفس البدلة التي كانت ترتديها عندما كانت في العشرن من عمرها.

وعندما انتقل جوته إلى فايمار انصرف اهتمامه إلى دراسة العلوم، ففي التشريح اكتشف عظم ما بين الفكين الذي يسمى باللاتينية "Os Inter-maxilare" ونشر جوته عدة أبحاث في علم طبقات الأرض واكتشف في هذا المجال حجرا سمي «حجر الكيتايت» نسبة إلى اسمه ودليلاً على فضله، كما نشر بحوثاً في البصريات والألوان والنبات واخرج عدة دواوين شعرية، وعكف جوته في فايمار على دراسة أدب الشرق فاهتم بالأدبين العربي والفارسي وكذلك بحياة النبي صلى الله عليه وسلم وألم

Twitter: @abdullah_1395

بأصول الدين الاسلامي والفلسفة الاسلامية وذلك بمساعدة المستشرقين الألمان، كما نشر حوارا شعرياً بين علي وفاطمة ونشر ايضاً مسرحية عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلا انه لم يستطع انجازها إلى النهاية فظلت ناقصة وذلك بسبب انشغاله بتأليف مسرحية جوتس Gotz ومسرحية قيصر Casar.

كان جوته يتذكر بعض قصص ألف ليلة وليلة التي كانت جدته تقصها عليه قبل أن ينام.

كما قرأ بعض القصص اثناء اقامته في لايزك للدراسة عام ١٧٦٥. وفي عام ١٧٠٤ ظهرت ترجمة لألف ليلة وليلة في عدة أجزاء باللغة الفرنسية وقام بترجمتها المستشرق الفرنسي «كالان» ثم قام بعد سنوات عدد من المستشرقين الألمان بترجمتها إلى اللغة الألمانية.

ومما يجدر ذكره ان الف ليلة وليلة قام بتأليفها الجياع والمحرومون من الحب والمال وكانوا يتسلون بالوصف الرومانتيكي المبالغ فيه، إلا أنها كانت في نفس الوقت تعكس حالة الطبقة الحاكمة في هذه البلدان التي ينتمي إليها المؤلفون. وينصح اساتذة الجامعات في اوروبا الشباب والأطفال ايضا بقراءة قصص الف ليلة وليلة لأنها تتميز بالخال الواسع والوصف الرومانتيكي الأمر الذي يؤدي إلى شحذ خيال القارىء وتحريك احاسيسه ومشاعره وتوسيع ملكة خياله. وقال عنها الكاتب الألماني Lich-tenberg بأنها تمثل «العقل السليم» وقال عنها الكاتب الفرنسي Standal بأنها تمثل «العادات الكريمة».

إن ألف ليلة وليلة لم تؤثر فقط على الشاعر الألماني جوته فحسب، بل اثرت ايضا على الكاتب والناقد الألماني فيلاند Wieland و Burger ووليم Hauff والكاتب النمساوي Grillparzer والشاعر الألماني ادلبرت خاميسو Chamisso (١٧٨١ ـ ١٨٣٨) والشاعر الايطالي Ariosto والكاتب الايطالي Gozzi كما أثرت ايضاً على الكاتب الفرنسي فولتير ومونتسكيو والكاتب لاساك Lesage والسياسي الثوري السويسري La Harpe والكاتب الفرنسي Gobineau والشاعر الانجليزي Tennyson والكاتبة الامريكية هاريت بشر Stowe والروائي الانجليزي ديكنز Dickens.

Twitter: @abdullah_1395

وقد أضحت الف ليلة وليلة ضرباً من الأنماط الأدبية في عصر التنوير، فقد تعلم الكاتب الألماني فلكلمان Winckelmann (١٧١٧ ـ ١٧٦٨) اللغة العربية في ايطاليا متأثراً بقصص ألف ليلة وليلة.

لقد انعكس تأثير الف ليلة وليلة على جوته في روايته الأولى «الألم فرنر» فقد جاء في الرسالة المؤرخة في ٢٦ تموز في رواية فرنر ما يلي:

كانت جدتي تحدثنا عن الجبل
الممغنط وكيف تتفكك السفن
التي يشتد دنوها منه
ويتطاير حديدها فيسقط ملاحوها
في البحر بين الألواح المتداعية(١)

هذه الحكاية الاسطورية تعود إلى ترجمة كالان وهي الحكاية الثالثة من حكايات الف ليلة وليلة بعنوان «ابن الملك».

وقد تحدث جوته في مذكراته «شعر وحقيقة» nchtung u, Wahrheit في الكتاب الثاني منه قائلاً:

«... ان والدتي كانت تقص عليَّ أساطير وخرافات مشهورة وكانت تعلمني الأمثلة والحكم وأقوم بنفسي بحبك اساطير جديدة على غرارها. وكنت أشعر بالسعادة عندما تقص عليَّ والدتي هذه القصص وتروي لي هذه الحكايات..(٢).

كما كتب جوته في مذكراته «شعر وحقيقة» في الكتاب العاشر ما يلي:

«لقد اضفت عليَّ والدتي جواً من السعادة عندما كانت تطلب مني ان أقص على الأطفال الاساطير. وكانت الاسطورة الخالية من الأحداث والانفعالات والمفاجآت تتمتع رغم ذلك بالجاذبية والشوق رغم فقر مضمونها. ومن خلال ابتكار وحبك هذه الصور والتخيلات التي لم تكلفني

---

(١) مؤلفات جوته بالمانية طبعة فولكس فرلانك فايمار ١٩٦١ صفحة 1
Goethes Werke in zehn Banden. Weimar, Volksverlag, 1961. Se
ite 189.

(٢) مؤلفات جوته، الجزء الأول، صفحة ٥٥.

Twitter: @abdullah_1395

جهداً كبيراً، أصبح الأطفال يحبونني وأصبحت بدوري مرموقاً بنظر الكبار ايضا.

وكتب جوته إلى صديقته كتشن شونكوف Schonkopf في الثلاثين من ديسمبر ـ كانون الأول عام ١٨٦٨ يقول:

«انني أرسم كثيراً وأكتب الاساطير وانني سعيد بذلك كل السعادة»(٣).

ثم يكتب جوته إلى كتبيل Knebel (١٧٤٤ ـ ١٨٣٤) في الحادي والعشرين من نوفمبر ـ تشرين الثاني عام ١٧٨٢:

«انني اكتب في أجمل ساعاتي الاساطير وقد عودني ذلك على سردها على الآخرين»(٤).

ويكتب جوته أيضاً رسالة إلى سالزمان Salzmann في التاسع عشر من حزيران عام ١٧٧١ يقول فيها:

«إن أجمل المناطق واحب الناس إليَّ وأفضل حلقة من اصدقائي هي تحقيق لاحلام طفولتك، أليس كذلك وعندما اسأل نفسي عندما اهيم بنفسي في الأفق البعيد الرحيب من السعادة اللامتناهية أليس هي بساتين الحوريات التي تشتاق نفسك اليها»(٥).

ويقول جوته في رسالة بعث بها إلى صديقته فردريكة بريون F. Brion في الخامس عشر من شهر اكتوبر ـ تشرين الأول عام ١٧٧٠:

«إن قلقي الذي يشغلني يعزى سببه إلى اني بعيد عنك ويجب أن أكون بقربك هنا في شتراسبورغ كما أريد أن أسطر على الورق اسطورة تعزيني في وحدتي كم تشوقت لأن أصبح كالحصان المجنح لأطير إلى قربك وأعزيك في وحدتك، ولكن لا أريد أن أعكر صفوك إذا كان بعدك عن أصدقائك يسليك».

فذكر الحصان المجنح يعود إلى قصة وردت في ترجمة كالان تحت

---

(٣) نفس المصدر السابق، صفحة ٤٧٧.

(٤) حياة جوته الوثائقية الجزء الأول صفحة ١٦٧

4 Poethes Leben Dokumentarisch. 1. Band. Leipzig, Bibliogra - phisches Instiutu, 1960. Seite 168.

(٥) نفس المصدر السابق، صفحة ٥١٢.

Twitter: @abdullah_1395

عنوان «الجواد الظريف» وكذلك حكاية «الجواد الساحر» الهندية التي يطير فيها الحصان من مدينة إلى أخرى بسرعة فائقة.

كما كان جوته يقص على الأطفال في فرانكفورت أساطير وحكايات ألف ليلة وليلة، فمثلا كان جوته يسرد مثل هذه الحكايات على أطفال عائلة «دي اورفيل» d` Orville التي تتصل بقرابة لعائلة صديقته ليلى شوغان Lilli Schonmann وكتب آنذاك قصيدة يقول فيها:

«اذهب أيها المغني العزيز إلى حضن
ليلي وقبلها بدلاً عني، أدعوك
ياشيخ ظاهر لان تذهب اليها وتقبلها
من يدها ولا تدعها تهدأ

وأخرج جوته فيما بعد اعمالاً أدبية عكست تأثير قصص ألف ليلة وليلة على الشاعر واعجابه بها.. ومن هذه الأعمال الأدبية مسرحية (مزاج العاشق) Die Launc des Verliebten وهي تصور الغيرة في شخص جوته تجاه (انيتا شونة كويف) ابنة صاحب الفندق الذي كان ينزل فيه جوته اثناء الدراسة في لايزك. وقد اضطر والدها في النهاية إلى اعلان زواجها من أحد الاطباء في لايزك، وانفصمت العلاقة بين الفتاة وجوته.

وقد تأثر جوته بقصة (أمينة) في قصص ألف ليلة وليلة وأطلق على بطلة مسرحيته المذكورة اسم «أمينة».

وأمينة في كتاب ألف ليلة وليلة أرملة صغيرة السن جميلة وثرية وقد احبت رجلاً كان يبدي اعجابه بها من خلال النظرات والايماءات، وسرعان ما تزوجته امينة، فاضطرت ان تعيش في ظروف التقاليد القاسية. وكان محرماً عليها أن تكشف وجهها أمام شخص غريب وان لا تكلم أحداً غير زوجها. وبعد شهر من زواجهما احتاجت ان تخيط لها ثوباً فخرجت إلى السوق لشراء القماش بعد ان سمح لها زوجها بذلك شرط أن ترافقها الخادمة في جولتها.

ودخلت امينة مع الخادمة دكاناً يملكه شاب صغير السن وسيم الوجه. وكان الكلام يجري مع الخادمة لأنه كان محرماً على أمينة أن تكلم احداً

Twitter: @abdullah_1395

غريباً. وقد اختارت امينة قماشاً اعجبها، غير ان غلاء سعره أحدث بعض الصعوبة في شرائه فقد فرض البائع الشاب هذا السعر الخيالي لكي يساوم مع امينة، وقبل البائع فيما بعد تخفيض سعر القماش لقاء قبلة من وجنة امينة.

وقبلت امينة أن تمنح البائع قبلة لقاء تخفيض السعر، فتلفعت بعباءتها وقدمت خدها للقبلة، غير أن البائع الشاب بدلاً من ان يقبلها ضغط بأسنانه على خدها فانبجس منه الدم، وقد حاولت امينة عبثاً اخفاء اثر العضة وابعاد الشك. وجعلت الغيرة تنهش في صدر الزوج وامر عبده بقطع رأسها. وقد حاولت توسلات النسوة والجيران دون تنفيذ الأمر.

وقد أراد الزوج ان تبقى ذاكرة امينة معلقة دائماً بالجرم والخيانة فأمر بضربها بالسوط حتى ترك آثاراً في جسدها.

وكان جوته نفسه يغار على صديقته (انيتا شونه كويف* في لايزك .. وعندما كانت (انيتا) تذهب إلي المسرح، كان جوته يتقلب في فراشه وينادي .. يا الهي مع من تجلس في المسرح الآن، وكان احيانا يتنكر بزي آخر ويذهب خلفها ويراقبها اثناء ذهابها إلى مسرح لايبزك.

ثم نشر جوته عام ١٨٠٩ قصة (قرابة الاختيار) Die Wahlverwandschaft وقد نشأت هذه القصة عن حادث جديد في حياة جوته وهو حبه لفتاة اسمها (مينا هرسليب) Mina Herzlieb ابنة الطباع فرومان. وقد رآها جوته وهي طفلة صغيرة وكبرت أمام عينه ثم انتهى حب الطفلة إلى حب الفتاة.

وقد امسك جوته نفسه وتردد بعض الشيء فأرسلت الفتاة إلى المدرسة لينساها جوته. وقد استقى جوته موضوع القصة من قصة أبي الحسن من قصص ألف ليلة وليلة. فتأثر جوته بأبي الحسن وتضحيته في سبيل محبوبته شمس النهار منذ أن كان صغيراً، غير أنهما افترقا منذ سنوات، وبقيا على ذلك حتى بلغ ابوالحسن سن الشباب واستطاع الحبيبان ان يلتقيا في مكان ما في بغداد ثم قررا الزواج. فأبو الحسن في قصة جوته هو (ادوارد) وشمس النهار هي (مينا هرسليب) التي أحبها جوته.

Twitter: @abdullah_1395

ومن القصص والمسرحيات التي كتبها جوته تحت تأثير ألف ليلة وليلة هي مسرحية (فاوست) Faust الجزء الثاني والتي كتبها جوته شعراً، ورغم ان شخصية فاوست قد طرقها الكاتب الانجليزي (كريستوف مارلو) إلا أن جوته ابدع كل الابداع في تصوير الحب والمثل العليا في شخصية فاوست وكريتش.

وقد تأثر جوته بقصة (الأمير حبيب والأميرة درة الكواز) ونسج على غرارها احداث مسرحية فاوست الجزء الثاني. والأمير حبيب صبي حاد الذكاء تولى تعليمه معلم فقيه وعندما بلغ حبيب السابعة كان يتقن اللغة والفقه اتقاناً جيداً. ودرس التاريخ وتعلم فن الشعر وأصوله وفي احد الأيام اضطر المعلم إلى السفر فودع تلميذه الصغير حبيب، فبكى حبيب على فراق معلمه، وجاء بعد يوم معلم آخر لا يقل اطلاعاً ومعرفة عن المعلم الأول.

وبعد فترة قصيرة غادر هذا المعلم تلميذه حبيب مستأذنا بالسفر لانجاز مهمة عائلية وقبل ان يودعه قال له:

«انك ستجتاز ياحبيب مخاطر كثيرة وتمر بك مصاعب جسيمة ستهزك وسيكون ثمن تضحيتك وصبرك عليها هو زواجك من الأميرة (درة الكواز (حاكمة احدى المقاطعات في العراق).

ثم نشر بعد سنوات رواية (تلمذة وليم مايستر) في ثلاثة اجزاء وهي تصور نضال الطبقة البرجوازية المثقفة في سبيل خلق مسرح وطني في المانيا، غير أن اليأس يستولي على وليم فيترك المانيا ويهاجر إلى امريكا اثناء حرب الاستقلال للانضمام إلى المحاربين الجنوبيين ثم الحصول على عمل هناك.

لعل الجزء الثاني من الرواية (تجوال وليم مايستر) يتفق كل الاتفاق مع محتوى قصة علي الجوهري من قصص ألف ليلة وليلة.

وسيرة علي الجوهري مشابهة لسيرة وليم مايستر في بعض الجوانب، فهو ايضا جوال ومكافح وداعية للاصلاح ومغامر يجوب الاصقاع دون خوف أو وجل، فهو يسعى لتحقيق مطامحه فيخفق في كثير من الأحيان ويحالفه النجاح في بعض منها فيخرج في النهاية منتصراً على الفشل والمصاعب.

Twitter: @abdullah_1395

حفـــار الكنز

وكـتب جوته قـصيـدة تحت عنوان "Der Schatzgraber" حفـار الكنز استـوحاها من حكاية (علي بـابا والأربعين حرامي) وهي احـدى قصص ألف ليلة وليلة، ويقول فيها:

اقضي ايامي الطويلة
معدماً متيماً
اتجرع في الفقر ضيق أيامي
واحلم في الثراء بأيام آمالي
ولما أعياني الألم
ذهبت للبحث عن الكنز المفقود
ممنياً نفسي بالرخاء
وحفرته حتى عفر ترابه دمائي
وتجولت في كل الأصقاع
حاملاً مشاعل السرور
وكيساً مملوء بعظام الأشباح
عشباً تفوح منه رائحة زكية
وباسلوب المعلم الفهيم
بحثت عن كنزي القديم

Arm am Beutel, Krank am herzen,
Schleppt ich meine langen iage.
Armut ist die grösste Plage,
Reichtum ist das hochste Gut!
Und, zu enden meine Schmerzen,
Ging ich einen Schatz zu graben.
Meine Seele sollst du haben!
Schrieb ich hin mit eignem Blut.

Und so zog ich kreis, um kreise,
Stellte wunderbare Flammen
kraut und Knochenwerk zusammen:
Die Beschworung War Vollbracht.
Und auf die gelernte Weise
Grub ich nach dem alten Schatze.
Auf dem angezeigten Platze,
Schwarz und Sturmisch War dic Naeht.

Twitter: @abdullah_1395

Und ich sah ein Licht von Weiten,
Und es Kam gleich einem Sterne
Hinten aus der fernsten Ferne,
Eben als es Zwölfe Schlug.
Und da galt kein Vorberciten.
Heller Wards mit einem Male
Von dem Glanz der voller Schale,

Holde Augen sah ich blinken
Unter dichtem Blumenkranze,
In des Trankes Himmelsglanze
In des Trankes Himmelsglanze
Trat er in den Kreis herein.
Und er hieB mich freundlich trinken
Und ich dacht: es kann dcr Knabe
Mit der schonen lichten Gabe
Wahrlich nicht der Bose sein.

Trinke Mut des reinen Lebens!
Dann verstehst du die Belehrung,
Kommst, Mit Angsticher Beschworung,
Nicht zurück an diesen Ort.
Grabe hier nicht mehr vergebens.
Tages Arbeit! Abends Gäste!
Saure Wochen! Frohe Feste!
Sei dein kunftig Zauberwort.

وكان الليل حالك لاظلام
فرأيت بصيص نور بعيد
وإذا بنجمة تقترب
من بين الظلمة الحالكة
فدقت الساعة معلنة
نهاية الليلة الزائلة
وفجأة قبل ان يحين الأوان
ملأ الضوء جو المكان
منبعثاً من بريق يومض بعمر الزمان
يحمله صبي له جمال الحسان
فرأيت تلألأ العيون الجميلة
من بين أكاليل الزهور الكبيرة
ويعب من شراب له نقاء السماء
وتقدمت منه بخطى وئيدة
وأنا مبهور لهذا السناء
فقدمه متلطفاً ان اشرب من الكوز بصفاء
نزال عني كل عناء وبدد في نفسي شعور الجفاء
فارتوى ياصاح بماء الشجاعة
كي تدرك معنى القناعة
وتزود بالمعرفة، ولا تعد بروح خائفة
لهذا المكان بثروته الزائلة
ولا تحضر هنا بعد بروح بائسة
أعمل في النهار واستهطف في السماء
فمضت أسابيع الجفاء، وانت أعياد الرخاء

وتأثر جوته بحكاية البساط السحري من قصص ألف ليلة وليلة، فنسج على غرارها مسرحية (الابنة الطبيعية) عام ١٨٠٢م وافتتح بها

Twitter: @abdullah_1395

مسرح (لاوخشنت) ونشر قصيدة شعرية في كتاب (المعاني والحكايات) في الديوان الذي أصدره وكتب بخط يده عنوانه «الديوان الشرقي للمولف الغربي».

Twitter: @abdullah_1395

علاء الدين والفانوس السحري

جميع البشر كبير وصغير	Alle Menschen, groB und klein
يعملون على بناء المجتمع الكبير	Spennen sich ein Gewebe fein,
ويعملون جاهدين لاحتلال المنصب الجديد	Wo sie mit ihrer Scheren Spitzen
ويتطاولون على الآخرين	Gar zierlich in der Mitte sitzen.
وعندما ترمقهم نظرات الحاسدين	Wenn nun darein ein Besen fahrt,
يقومون الدنيا ويقعدونها	Sagen sie, es sei unerhört,
وكأنها نهاية العالمين	Man habe den grobten Palast zerstört.

وإلى جانب اهتمام جوته بقصص وحكايات ألف ليلة وليلة، فقد اهتم ايضاً بشعراء المعلقات فقد اتصل جوته عام ١٧٨٣ بمكتبة جامعة كوتنجن لتوافيه بالمعلقات العربية في ترجمتها الانجليزية التي أصدرها المستشرق الانجليزي (وليم جونز) في ذلك العام. وقد تأثر جوته بهذه الأشعار وامتدح الشعراء الجاهلين، واحدثت مطالعة هذه الأشعار في نفسه أثراً عميقاً انعكس على عدد من قصائده التي دونها في كتابه (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي).

وقد قرأ معلقة امرىء القيس (قفا نبكِ) بترجمتها الانجليزية، وقام جوته فيما بعد بترجمتها إلى الألمانية وها نحن نورد الترجمتين:

Twitter: @abdullah_1395

دعوني أبك

١ ـ النص الانجليزي:

RAIF/ENGLISH

Stay – Let us weep at the remembrance of our beloved, at the sight of the station where her tent was raised, by the edge of you bending sands between DAHUL and HauMEL, TUDAH and MIKRA, a station, the marks of which are not wholly effaced, though the south Wind and the north have woven the twisted sand.

Thus I spoke, when my companions stopped their coursers by my side, and said, perish not through despair: only be patient A profusion of tears, answered I, is my sole relief, but what avails it to shed them over the remains of a deserted mansion?

Thy condition, they replied, is not more painful than when thou leftest HOWAIRA, before they present passion, and her neighbour REBA-BA, on the hills of MASEL.

Yes, I rejoined, when those two damsels departed, musk was diffused from their robes, as the eastern gale sheds the scent of clove-gillyflowers:

Then gushed the tears from my eyes, through excess of regret, and flowed down my neck, till my swerd belt was drenched in the stream.

Twitter: @abdullah_1395

Yet hast thou passes many days in sweet converse with the fair, but none so sweet as the day, which thouh spentest by the pool of DARAT JULJUL.

On that day I killed my camel to give the virgins a gast, and oh! how strange was it, that they should carry his trapplings and furniture!

The damsels continued till evening helping on another silk finally woven. On that happy day I entered the Carriage, the Carriage of ONAIZA who said, wo to thee! thou wilt compel me to travel on foot.

She added (while the vehicle was bent aside with our weight), "O AMRI OLKAIS, descend, or my beast also will be killed."

I answered. Proceed, and loosen his rain, nor withhold from me the fruits of thy love, which again and again may be tasted with rapture.

Many affair one like thee, though. Not like thee a virgin, have I visited by night, and many a lovely mother have I diverted from the care of her yearling infant adorned with amulets.

When the suckling behind her oried, she turned round to him with half her body, but half of it, pressed beneath my embrace, was not turned from me.

Delightful too was the day, when FATIMA at first rejected me on the summit of you sand – hill, and took on cath, which she declared inviolable.

O FATIMA, said I, away with so much coyness, and, if thou hadst resolved to abandon me, yet at last relent.

If, indeed, my disposition and manners are unpleasing to thee, rend at once the ment of my heart, that it may be detached from they love.

Twitter: @abdullah_1395

١ ـ النص الألماني الذي ترجمه جوته إلى النص الانجليزي عام ١٧٨٣م:

RAFIQ/GERMAN

Haltet, last uns hier an der Stelle der Erinnerung weinen
Dor wars, am Rande des geschwungen sandigen Hügels
Dort stand ihr Zelt umher das Lager
Hoch sind die Spuren nicht völlig verloschen
So sehr auch der Nordwind und Südwind
den stiebenden Sand durcheinander gewoben
Und mir zur Zeite hielten die Gefährten still
Und sprachen Vergeh nicht in Verzweiflung, sei geduldig
Da rief ich Tränen sind mein einzger Trost
Doch sie versetzteen was hilft es
Eben den verlassenen Wohnplatz sie vergießen
Ist denn dein Zustand schlimmer als er war
Da du dich von Hovaira trenntest, von
ihrer Nachbarin Rebaba eh du noch die
Kanntest die du jetzt ungestüm beweinst.
Ja sprach ich als die Schönen die ihr nennt
Auf ihre Thiere steigend mich verließen
Da floss von ihren Kleidern Moschus Rauch
Die wenn der Westwind über weht
Da stürzten Tränen über meine Brust
Der Gürtel meine Schwertes ward in ihren Strom actaucht
Unmäßig war mein Schmerz
Allein nicht ewig. Wie viele Tage hast du nicht in süßem
Umgang mit den Schönen zugebracht
Doch keinen so süß als die Stunden am Teich Darat Juljul
Ja immer werd ich mich des fastlichen Anblicks erfrauen
Da ich die schönen Töchter in Bade zusammen fand.
Sie zürnten über den Unverschämten und versöhnten ihn
und schlachteten mein junges Camel, Da Speise gebrach
und holten guten Wein von meinem Sattel
Geschäftig waren die Mädchen und halften einandern bis Abend

Twitter: @abdullah_1395

Bereiteten das Fleisch und köstliche Fett
Wid Franzen von weißer fein gewobener aide
Sie waren fröhlich und dachten nicht
daß sie die Bürde des Tierre mit sich schleppen sollten
An dem glücklichen Tage nahm mich die Jungfrau
die schöne Onaiza mit aufs Camel
Sie rief weh mir du wirst mich zwingen
auch zu Fuße zu gehen
Der Sattel bog sich über von unserer Last
O rief sie Amriolkais steig herab mein Thier kommt um
Lass ihm die Zügel sprach ich es wird gehen
Und vorenthalte mir die Früchte deiner Liebe nicht
Piet mit Entzücken und wieder gekostet werden.

Die manche die sich dir an Schöne nicht an Reine wohl verglich
hab ich bei Nacht besucht
Die manche liebliche Mutter zog ich nicht
Von ihres Jählings Sorge dringund ab
Sie gab mir nach und hub das Kind
Ganz liese von der Brust
Wo es mit Amuletten wohl behangen schlief
Und wenn es dann zu ihren Haupten schrie
Da wandte sie des schönen körpers Halfte
voll mütterlichen Sorg ihn zu
Allein die andre Hälft's entzog sic nicht
Dem liebevollen Drucke des Umarmenden
Wie reizend war der Tag als michFatima
Auf eines sandigen Hüges Gipfel erst verwarf
Sie schwur und sie betheuerte den Schwur zu halten
Fatima sagt ich, weg mit dieser Strange
Hast du auch gleich beschlossen fliehen
Besinne dich
Und ist mein Wesen meine Art dir ungefällig
Zerreiß auf einmal den Mantel meines Herzens
Und Trenn' es von der Lieb' zu dir.

قرأ جوته هذه المعلقة مرات عديدة وسحره سحرها في نفسه وتفجرت

Twitter: @abdullah_1395

في شراييه نيران الذكريات إلى صديقاته وعصف به إلى الحنين إلى عشيقاته فامسك بالريشة لينظم قصيدة (دعوني أبك) متأثراً بها من قصيدة (قفا نبك) لامرىء القيس.

LaBt mich Weinen! umschrankt von Nacht,
In unendlicher Wuste.
Kamele ruhn, die Treiber desgleichen,
Rechnend Still Wacht der Arnenier,
Ich aber, neben ihm, berechne die Meilen,
Die mich von Suleika trennen, Wiederhol
Die Wegeverlangernden ärgerlichen Krimmungen.
Lasst mich Weinen! ads ist kaine Schande,
Weinende Männer sind gut.
Iente doch Achill um seine Briseis!
Xerxes beweinte das uncrscchlagene Hcer,
Uber den selbstgemordeten Liebling
Alexander iweinte.
LaBt mich Weinen! Tranen beleben den Staub.
Schon grunelts.

دعوني ابكِ في صمت الليل، وفي هدوء الصحاري..
على طريق القوافل
وعلى آثار الذاهبين والقادمين
اطوي الأميال التي تفصلني عن زليختي
وتبعدني عنها فراسخ وأميال
دعوني ابكِ فالبكاء ليس عاراً
البكاء من خصال المحبين
دعوني ابكِ فالبكاء
يرطب اعصاب العاشقين

Twitter: @abdullah_1395

فقد بكى من قبل اخيل
على محبوبته برسيس
مثلما بكى سيروس على جيشه الهصور
وعلى القائد المنتحر
الكسندر
دعوني أبك لتمتزج دموعي بالتراب

لقد أحب جـوته شعراء المعلقـات ولكن امرىء القيس كـان يحتل منزلة كبيرة لدى الشاعر.

وقد نشر جوته حواراً بين علي وفاطمة اسـماء (انشودة محمد) وجمع اشـعاره عن الشـرق في ديوانه الذي خط عنوانه بـيده (الديوان الشـرقي للمؤلف الغربي) والموجود حالياً في منزله الذي عاش فيه حتى وفاته عام ١٨٣٢م في مدينة فايمار.

إن اهتمام جوته بالأدب العربي وتأثره بـه يدحض الفكرة الاستعمارية التي أطلقها منظرو الاستعمـار من أن الشرق شرق والغرب غرب وهيهات أن يلتقـيا. فقد التـقى الشرق في كثيـر من أدب الكتاب الاوروبيين وأذكى خيالهم ولعل الشاعر جوته خير مثال لنا على تأثره بالأدب العربي القديم.

لقد ظهـر لنا بالبرهان الواضح والنصوص الأصـيلة ان الف ليلة وليلة اثرت في جـوتة منذ صـباه وقـد انعكس ذلك فـي رسائله إلى اصـدقـائه وصديقاته وفي اعترافات جوته نفسه في كتابه (شعر وحقيقة) كما أكدت الشواهد التي استعرضتها في البحث والتي وردت في روايته الأولى (الأم فرتر) وفـيها ذكـر لبعض الاساطيـر التي قرأها جـوتة نفسه في ترجـمة كالان، على هذا التأثر.

كما تأكد لنا تأثير قصص الف ليلة وليلة في مسرحيته (مزاج العاشق) والتي تصور الغيـرة وقد أطلق جوته على بطلة المسرحيـة اسم امينة تيمناً ببطلة قصة امينة احدى قصص الف ليلة وليلة.

ولعل كتـاب جوتة (الديوان الشـرقي للمؤلف الـغربي) خيـر من يدلنا ويرشدنـا إلى تأثر جوته بأشـعار المعلقـات والأدب العربي القـديم ففـيه

Twitter: @abdullah_1395

نصوص بقلمه تدل على مدى تأثره بشعراء الجاهلية، وهذا الكتاب يعد خير مرجع للعلاقة الوشيجة بين جوته وأدبنا القديم.

وتجدر الاشارة إلى أن جوتة نفسه طلب من المستشرقين الألمان في جامعة كوتنكن عام ١٧٨٣ تزويده بنصوص مترجمة لأشعار المعلقات إلى الألمانية والتي ترجمها المستشرق الانجليزي وليم جونز عام ١٧٧٥م.

أما قصص الف ليلة وليلة فمعروف عالمياً بأنها من صنع الخيال رغم أنها تتسم بالواقعية التي استهدفت تصوير حياة البذخ والمجون التي كان يحياها حكام ذلك الزمان.

إن مؤلفي هذه القصص اغلبهم ان لم يكن جميعهم، من الجياع والمحرومين من الحب والعيش الرغيد والسعادة، ومعروف في علم النفس ان من ينام في الليل جائعاً فإنه يحلم وهو يتناول أشهى الأطعمة، لذلك فإن هذه القصص سرد لاحلام اليقظة رغم ان فيها ملامح عن واقع ذلك الزمان إلا أنها لا يمكن ان تكون واقعية مائة في المائة.

وأود ان اشير إلى أن اغلب مؤلفات الكُتاب في العالم هي ترجمة ذاتية لاحلامهم ورغباتهم المكبوتة..

لقد كان تأثر جوته واضحاً من خلال مقارنات النصوص والشواهد حيث إنها الوسيلة الوحيدة لمن يدرس مواضيع الأدب المقارن.

أما فيما يتعلق بتأثير الف ليلة وليلة في اعمال الأدباء العالميين فقد استشهدت ببعض آرائهم عن الف ليلة وليلة والتي وردت في نصوص اوروبية عديدة اضافة إلى أن تأثر هؤلاء بألف ليلة وليلة معروف عالمياً من خلال مصادر عديدة نشرت عنهم بمختلف اللغات وقد ذكرتهم لمجرد تعزيز رأيي حول اهمية الف ليلة وليلة في الأدب العالمي وليس فقط في الأدب الألماني.

Twitter: @abdullah_1395

مكانة ألف ليلة وليلة في الأدب الألماني

لعل الأدب الألماني هو الأدب الوحيد في اوروبا الذي ظل يعاني من جروح عميقة بسبب التخلف والتقسيم العميق لألمانيا إذ كانت مقسمة إلى ٣٠٠ مقاطعة وإمارة مما ساعد على تعميق موجة انحسار الفكر واستمرار حجب الحريات عن الناس حتى مجيء بسمارك عام ١٨٧٠ وقاد فكرة توحيد المانيا فوحدها في يناير عام ١٨٧١ وبدأت ألمانيا تستعيد مكانتها بين دول اوروبا فانتعشت الصناعة والمكتشفات والاختراعات بسبب توفر الحرية والديموقراطية..

وكان الادباء الألمان يتشبثون بالانجازات الفكرية والأدبية للكتاب الانجليز والفرنسيين لبعث النهوض الفكري في المانيا وايقاظ الناس من سباتهم العميق الذي خلفته سياسة الاقطاعيين الألمان الذين كانوا يبيعون الفلاحين إلى الانجليز لاستخدامهم ضد الشعب الامريكي ابان حرب الاستقلال ضد الاستعمار البريطاني لامريكا..

وظلت المانيا متخلفة عن انجلترا وفرنسا ١٠٠ عام من الناحية الفكرية. وكان لظهور ترجمة كاملة لكتاب ألف ليلة وليلة في منتصف القرن التاسع عشر أهمية كبيرة في عملية ايقاظ الفكر الخيالي لدى الناس وشحذ هممهم لما تمتاز به هذه القصص والحكايات من معان وحكم انسانية تساعد على بعث الشجاعة والحس السليم والتفاني من أجل المثل العليا في الانسان ومن هنا لاقت هذه الحكايات والقصص اقبالاً لدى كافة الناس وراح

Twitter: @abdullah_1395

الكتاب والشعراء يستلهمون منها مادة لهم لتجسيد المثل الانسانية ونشر الفكر الذي يعتمد على العواطف الصادقة.

وقد شجعت الرومانتيكية التي ظهرت في المانيا في القرن التاسع عشر الأدب الشعبي وكذلك الشعر الشعبي وتمجيد العاطفة ومنح لغة القلب الأولوية، كما عمل الرومانتيكيون على الغاء الحدود والقيود الشعرية ولذلك كانت توجد ملامح مشتركة بين أشعار القصائد للشاعر هولدرلين (١٧٧٠ ـ ١٨٤٣) والشعر الفلسفي للشاعر فريدريش شلر (١٧٥٩ ـ ١٨٠٤)، وبدأ الرومانتيكيون الذين تأثروا بألف ليلة وليلة، يشجعون التغني بالطبيعة وبتراث القرون الوسطى والعودة إلى الماضي والتغني بالليل.

وقد كان لكفاح الكاتب والناقد الألماني هردر (١٧٧٤ ـ ١٨٠٣) من أجل تغيير الأوضاع الاجتماعية في المانيا بمثابة ارهاصات للرومانتيكية حيث اكتشفت لغة القلب التي اثرت على شاعر المانيا كوته (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢) كما أشاد هردر بأولوية سلطة الشعور في قصائد كلوبشتوك (١٧٢٤ ـ ١٨٠٣) التي كانت موضع اعجاب الكتاب الألمان طالما كان يطغى عليها الاحساس العاطفي.

وأخذ الرومانتيكيون ينظرون إلى تراث القرون الوسطى تحت تأثير الف ليلة وليلة باعتبار ان هذه القصص والحكايات جزء من تراثهم وان تراث الاغريق (اليونان) مجرد تراث مندثر. (كلمة اليونان في العربية مشتقة من كلمة ايونيا، وهو اسم قبيلة الايونيين في اليونان واسس هؤلاء في الماضي جمهورية في جنوب اليونان اسموها جمهورية ايونيا)، ونجد في الديوان الشرقي للمؤلف الغربي لجوته ملامح عن الرومانتيكية وتأثره بألف ليلة وحكاياتها الخيالية التي تعبر عن العقل الباطن.

وكان يسود الحركة الرومانتيكية في انجلترا وفرنسا تيار الشعر وهذا يتفق مع تيار الرومانتيكية في المانيا لا سيما في عملية التحول للاغتراف من المنابع الروحية والفكرية كتجديد فن الشعر، رغم وجود شروط اجتماعية وتاريخية مختلفة في المانيا.

ورغم ان الرمانتيكية في فرنسا، التي تأثر ايضا بقصص الف ليلة

Twitter: @abdullah_1395

وليلة، كانت تخوض مع الاشكال التي برزت بعد مرحلة نابليون خلافات حادة، إلا ان الرومانتيكية في انجلترا استجابت للظروف التي نشأت ابان الثورة الصناعية والسياسية في الحياة الانجليزية ولذلك بدأت في نفس الوقت تأثيرات الحركتين تنعكس احداهما على الأخرى.

وفي فرنسا بدأت الرومانتيكية متأثرة بالمانيا حيث نقلتها إلى فرنسا مدام دي ستيل، التي نفاها نابليون إلى المانيا وعادت بعد ان اختفى نجمه عن مسرح السياسة، وقد اصدرت كتابا بعنوان «عن المانيا» De L' Allemagne وذلك عام ١٨١٠م.

لقد أثر الرومانتيكي الالماني هوفمان، الذي تأثر بألف ليلة وليلة، على الكاتب الفرنسي فيكتور هيجو، فقد تناول هيجو في مقدمته التي كتبها لمسرحية كروموبل، مسألة الاشكال المتنافرة الغريبة في الأدب أي تلك الاشكال التي تبعث على الضحك والبكاء في نفس الوقت ويطلق عليها «كروتسك» Grotesk.

ويمكن اعتبار الحركة الرومانتيكية في المانيا بظواهرها واشكالها التي استمرت من عام ١٧٩٨ ثم امتدت فيما بعد إلى عام ١٨٢٦ ثم إلى عام ١٨٣٥م بأنها آخر مرحلة اجتماعية للمثالية الألمانية. وقد بدأت في المانيا حركة الترجمة عن الآداب الأخرى وظهرت بوادر التأثر بألف ليلة وحكاياتها الخيالية وكان الشاعر جوته يقول دائماً أنا عالمي وكان ينادي بعالمية الأدب وكان من نتائج ذلك ان ظهرت مسحة التفكير الخيالي في أعمال الشعراء والكتاب الشباب الألمان. ويمكننا ان نلاحظ ذلك في اعمال هوفمان وكلايست وشلر وكوته وآيشندورف وبرنتانو وغيرهم من شعراء وكتاب تلك المرحلة.

ومن الكتاب الذين تأثروا بنهج حكايات وقصص ألف ليلة الكاتب الألماني كارل ماي الذي اصدر عام ١٩٢٠م قصصاً خيالية وكتبها عندما كان في السجن وهناك قرأ عن كردستان وبغداد والقاهرة ودمشق وراح يتخيل نفسه في خضم هذه المجتمعات ويجوب سهولها وفيافيها ومدنها وكانت أفضل قصص تتسم بالخيال حتى ان القارىء يعجز عن عدم التصديق من أن الكاتب لم يزر هذه البلدان،

Twitter: @abdullah_1395

وكان لتأثير الف ليلة ان ظهر كتاب يكتبون قصصاً للأطفال تتسم بمسحة رومانتيكية وخيالية تشحذ فكر الاطفال وتنمي قابلياتهم على التفكير الخيالي حتى ان كتاب الف ليلة وقصص الكتاب الألمان التي عالجت القصص الخيالية كانت من حصة الأطفال اثناء أعياد الميلاد وأعياد رأس السنة ولا عجب أن ينصح الأساتذة في فرنسا الشباب بضرورة اقتناء كتاب ألف ليلة والكتب التي تعالج القصص الخيالية لأنها تشحذ الفكر وتنمي قابليات الابداع الفكري والجمالي عند الشباب.

إن سحر الشرق طغى على فكر الشباب في القرن التاسع عشر بفضل ترجمة كتاب ألف ليلة لأول مرة من قبل المستشرق الفرنسي كالان في اوائل القرن الثامن عشر ثم تلته ترجمات أخرى في المانيا والدول الاوروبية الأخرى، كما بدأت الجامعات تنشر الدراسات عن أهمية هذه الحكايات في تنمية الوعي الأدبي عند الأطفال وتوسيع مداركهم، فظهرت في الجامعات الاوروبية الاطروحات والدراسات التي تتعلق بأهمية ألف ليلة، كما بدأ الرحالة والمستشرقون الاوروبيون يجوبون الشرق بحثاً عن كنوزه الثقافية والأثرية ايضا، فوصل بغداد الرحالة الانجليزي وليم جيمس الذي كتب عن بغداد عام ١٧٢٠ كما زار بغداد المستشرق الألماني ادوارد زاخاو (١٨٤٠ ـ ١٩٣٠) عام ١٨٨٠م وسرق اغلب الآثار العراقية وكان يرسلها لألمانيا على أساس انها طرود تحمل هدايا عيد رأس السنة في المانيا واغلب هذه الآثار موجودة اليوم في متحف (بيركامون) في بدلين منها مسللة حامورابي وطفل بابلي مازال محنطاً!!.

ومازال كتاب ألف ليلة يحظى باعجاب الاوروبيين وشغفهم بقراءته فهو يعد اليوم سمفونية فكرية تتيه بالقارىء في متاهات ومجاهل لا حدود لها فاسلوبها الخيالي الذي يتسم بالمبالغة ينتزع من القارىء الاعجاب وتصديق كل ما يقال مثل الاحلام التي يلجأ الانسان لتفسيرها في الصباح رغم أنها تعكس مخزونات العقل الباطن ولكنها تتسم بالخيال وبأحداث لا يمكن تصديقها ولكنها تبدو للمرء لذيذة المحتوى نكهة المعنى غزيرة المحتوى تظل عالقة في ذاكرتنا لمدة طويلة وربما هذه الاحلام هي احدى وسائل علاجنا من الأزمات النفسية اليومية حيث اننا نلجأ من حين

Twitter: @abdullah_1395

لآخر إلى تفسيرها كلما اطبقت علينا الاحداث والمصائب، وهذا ما تتسم به قصص وحكايات الف ليلة اليوم وستظل تحمل بصماتها في الفكر الانساني لاصالتها والحِكَمْ والمآثر والموعظة التي تعكسها الحكايات وستظل ايضا عاملاً من عوامل تربية الإنسان وصقل ذهنه وتوسيع مداركه وافقه الخيالي الخصب. ولا يمكن اليوم احصاء الدراسات التي ظهرت في اوروبا عن أهمية قصص الف ليلة وليلة فأغلب المكتبات العامة في المانيا وانجلترا وبقية دول اوربا (كلمة اوربا مشتقة من الكلمة البابلية القديمة اريب شمشي ـ أي غروب الشمس) بالنسبة للفكر البشري وتعتبر ذلك انجازا كبيراً لشعوب الشرق وان الأدب لا يعرف وطناً معيناً فهو عالمي الأفق والمحتوى ويعكس نفس منهج التأثير والتأثر.

Twitter: @abdullah_1395

المصـــادر :

1. Abusch, Alexander.
   Schiller Grosse und Tragik!
   Berlin Aufbau Verlag 1955.

2. Bodmer und Breitinger s Werke
   in zwei Banden. Aufbau Verlag Belrin 1958.

3. Braemer, Edith und Wertheim Ursula.
   Studien zur deutschen Klassik Rutten Verlag Berlin 11960

4. Bausinger, Hermann.
   Historisierende Tendenzen im deutschen Marechen seit der Romantik in wirkendes . Wort 10 1960 Seite 279-286.

5. Buchmann, Rudolf.
   Helden und Macht des romanticihen Kunstmarchen . Leipzig 1910.

6. Engles, Friedrich.
   Uber Kunst and Literatur, herg. von Michael Lifschitz Berlin 1948.

7. Eckermann, Johann.
   Gesprache mit Goethe . in zwei Banden Leipzig 1908.

8. Fuck, Johann.
   Die Arabischen Studien in Europa . Leipzig 1955.

9. Geothes Lebens Dekomentarisch.
   Bibliographisches Institut Leipzig 1960 zwei Bande .
10. Gottscheds Werke in zwei Banden.
   ^ufbau Verllg Belrin 1958.

11. Gerstenberger Aufsatze
   Aufbauverlag Belrin 1955.

Twitter: @abdullah_1395

12. Goethes Wrke in 8 Banden, Volksverlag Weimar 1961.

13. Geothes Lben komentarisch . Bibliographisches Institut

14. Gelbert, F iedmar.
Tausend und eine Nacht.
Der Sinn der Erzahlingen Schehrezad. Wien Leipzig 1817.

15. Hass, H.E.
Stum und Drang, Klassik und Romanik . Munchen 1966.

16. Hof, W.
Pessimistische und nihilistische Stromungen in der deutschen Literatur . Tubingen 1970.

17. Henrich, Klaus Joachim.
Deutsche Romantik Interpretationen . Paderborn 1966.

18. Hans Jurgn Schmidt.
Romantik . Zwei Bande . Philip Rclam Verlag Sttutgart 1974.

19. Herdrs Werke.
Bibliothek der Deutschen Klassik. Weimar 1961.

20. J ose, Eichendorf.
Neue Gesamtausgabe in 4 Banden. herg . von G. Baumann Stuttgart Siegfried Gross Verlag 1957.

21. Korff, Hermann.
Geist der Goethezeit Dietz Velag Leipzig 1965.

22. Kaiser, E. Geschichte der deut. Lit. Gutersloh 1966.

23. Lessings Werke. in 10 Banden Aufbau Verlag Belrin 1966.

24. Lens Werke Aufbau Verlag Blrin 1955.

Twitter: @abdullah_1395

25. Lukacs, Georg.
Fortschritt und Reaktion un der deutschen Literatur Aufbau Verlag Berlin 1947.

25. Lukacs, George
Goethe und seine Zeit Aufbau Verlag Berlin 1960.

27. Mehrings, Franz Werke in 6 Banden Aufbau Verlag Belrin 1955.

28. Momsen, Katarina. Kathrina.
Goethe und 10001 Nacht . Akademie Verlag Belrin 1970.

29.Momsen, Katharina.
Geothe und die Moallakaten. Akademie Vrlag Belrin 1962.

30. Momsen, K.
Studienzum West - Ostlichen Diwan . Akademie Verlag Belrin 1962.

31. Mayer, Hans.
Studien zur deutschen Literatur . Aufbau Verlag 1955.

32. Mayer, H.
Meisterwerke deutscher Literatzrkritik.. herg. von H. Mayer Aufbau Verlag Brlin 1955.

33. Mayer, H.
Heinric von Kleist der geschichtliche Augenblick Pfullingen Verlag 1963 S. 363-384.

34. Martino, A.
Geschichte der dramatischen Theorien in Deutschland in 18. Jahrhundert. Tubingne 1971.

35. Noldeke, Theodor.
Studien uber den Inhalt von 1001 Nacht Berlin 1905.

36. Pascal, Roy.
Sturm und Drang . Kroner Vrelag Stuttgart zweie Ausgabe 1977.

Twitter: @abdullah_1395

37. Schiller, Werke.
Nationlausgabae Weimar 1943.

38. Schillers Briefe.
Herg. von Fritz Jonas Stuttgart Leipzig 1892.

39. Szonde, P.
Die Theorie des Burgerlichen Traauerspiels im 18. Jahrhundert . Frankfurt 1973.

40. Schmidt, Hans Jurgen.
Die deutsege Literratur in Text und Darstellung Zwei Bande. Philipp Recklam ju. Stuttgart 1974.

41. Wielands Werke
Aufbau Verlag Berlin 1954.
42 - Goethes Wekre
Weimar, Voiksverlag, 1961.
43 - Goethes Ieben Dokomentarisch
Zwei Bande, Leibzig, Bibliograbhisches Institut, 1960.
44 - Herders Werke
Bibliothek der Deutschen Kiassik Weimar 1961 Bolkverlag
54 - Momsen, Katharina
Goethe und 1001 Nacht
Akademie Verlag Berlin 1970
64 - Pascal, Roy
Dersturm und Drang
Alfred Kroner Verlag Stuttgart 1977
47 - Johann, Eckermann
Gesprache mit Goethe
Leipzig 1965, Aufbav Verlag
48 - Fuck, Johann
Die arabischen Studien in Europa Leibzig 1955.
49 - Gelber, Friedmar
Tausend und eine Nacht. Der Sinn der Erzahlungen der Scheherazad. Wien Leibzig 1917.

Twitter: @abdullah_1395

50 - Littmann, Enno
Tausendundeine Nacht in der arabischen Literatur Tubingen, 1923.
51 - Noldeke, Theodor
Studien uber den Inhait von 1001 Nacht in: Bd. II, H. 1/2
52 - Paret, Rudi
Fruharabischen Liebesgeschichten, Beitrag zur vergleichenden Literaturgeschichte. Bern, 1927 (Sprache und Dichtung) H/ 40
53 - Singer, S.
Arabische und europaische Poesie im Mittelalter in: Zeitschrift fur Deeutsche Philologie 52, 1921.
54 - Lucacs, Georg
Goethe und seine Zeit
Aufbau Verlag Berlin 19509
55 - Momsen, Katharina
Goethe und die Moallakat
AKademie Verlag Berlin 1926
56 - Momsen, Kalharina
Studien zum West - Ostlichen Divan
Akademie Verlag Berlin 1962.

الهوامش :

١ ـ مؤلفات جوتة بالألمانية، طبعة فولكس فولاك فايمار ١٩٦١، صفحة ١٨٩.

٢ ـ نفس المصدر السابق، صفحة ٥٥.

٣ ـ نفس المصدر السابق، صفحة ٤٧٧.

٤ ـ حياة جوتة الوثائقية الجزء الأول، صفحة ١٦٧، دار نشر معهد البليوغرافيا، ١٩٦٠م.

٥ ـ نفس المصدر السابقة صفحة ٥١٢.

٦ ـ نفس المصدر السابق صفحة ٢٤٦.

٧ ـ نفس المصدر السابق صفحة ٢٤٣.

Twitter: @abdullah_1395

المصادر العربية :

١ ـ د. عبدالغفار مكاوي، المسرح الملحمي، القاهرة ١٩٧٧.

٢ ـ د. عبدالعزيز حمودة، البناء الدرامي، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٧.

٣ ـ د.عدنان رشيد، دراسات في الأدب الكلاسيكي الألماني، دار العلوم ـ الرياض ١٩٨٣م.

٤ ـ د. عدنان رشيد، دراسات في علم الجمال، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٥م.

٥ ـ برنارد رسل، حكمة الغرب، ترجمة د.فؤاد زكريا، جزءان، الكويت ١٩٨٣م.

٦ ـ د. محمد غنيمي هلال، في النقد المسرحي، دار العودة، بيروت ١٩٧٥م، صفحة ١٤٩ وما يليها.

٧ ـ القلماوي ، سهير، ألف ليلة وليلة، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩م

٨ ـ الام فرتر، ترجمة نخلة ورد، دمشق، ١٩٥٠م.

٩ ـ طحان، ريمون، الأدب المقارن، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٢م.

Twitter: @abdullah_1395

الفهـرس

	الموضـــــــوع	الصفحة
١ ـ	**الفصل الأول**	
	يوهان فولفكانك فون جوته	٧
٢ ـ	أهم مسرحيات جوته:	
	١ ـ مسرحية كوتس فون برلشنكن	١٦
٣ ـ	٢ ـ مسرحية فاوست	٢٢
٤ ـ	٣ ـ مسرحية فرتر	٤١
٥ ـ	٤ ـ مسرحية أكمونت	٥٠
٦ ـ	٥ ـ مسرحية افيكينيا في تاورس	٦٠
٧ ـ	٦ ـ مسرحية توركواتو تاسو	٦٧
	الفصل الثاني	
٨ ـ	جوته والأدب العربي القديم	٧٤
٩ ـ	الحركة الرومانتيكية إحدى افرازات عصر ألف ليلة وليلة	٨٤
١٠ ـ	عصر التنوير تجسيد لارهاصات عصر ألف ليلة وليلة	١٠٦
١١ ـ	الأدب المسرحي الكلاسيكي امتداد لمسار عصر ألف ليلة وليلة	١١٦
١٢ ـ	أهم مسرحيات لسنك ومؤلفاته النقدية والجمالية	١٢٥
١٣ ـ	آراء لسنك عن علم الجمال في الفن والأدب	١٣١
١٤ ـ	تأثير ألف ليلة وليلة وأشعار المعلقات في أدب الكاتب والشاعر الألماني يوهان فولفكانك فون جوته	١٤٨
١٥ ـ	نشيد أيار	١٥١
١٦ ـ	لقاء ووداع	١٥٣
١٧ ـ	حفار الكنز	١٦٣
١٨ ـ	علاء الدين والفانوس السحري	١٦٦
١٩ ـ	دعوني أبكِ	١٦٧
٢٠ ـ	مكانة ألف لَيلة وليلة في الأدب الألماني	١٧٤
٢١ ـ	المصـــادر	١٧٩

Twitter: @abdullah_1395

نبذة عن الكاتب

- الاسم : عدنان محمد الرشيد
- مواليد بغداد
- ١٩٥١ الثانوية ثم العمل في الصحافة العراقية حتى عام ١٩٥٧
- من حزيران (يونيه) ١٩٥٧م ولغاية حزيران ١٩٥٨م دراسة اللغة الفرنسية في باريس.
- من تموز (يوليه) ١٩٥٨م ولغاية تموز ١٩٦٥ دراسة اللغة الفرنسية في باريس.
- ومن اغسطس ١٩٦٥ ولغاية ابريل ١٩٧٣م دراسة الدكتوراه في الأدب الألماني في جامعة هانوفر.
- في ٤/٤/١٩٧٣ الحصول على درجة الدكتوراه، وكان عنوان الأطروحة: «التصوير الأدبي لشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الأدب الألماني
- من ٢٧/٩/١٩٧٣م ولغاية ٣٠/٨/١٩٧٨م تدريس الأدب الألماني في قسم اللغات الأوروبية بكلية الآداب بجامعة بغداد
- ٢٧/٩/١٩٧٧م الحصول على درجة استاذ مساعد (استاذ مشارك)
- من ١٥/٩/١٩٧٩ ولغاية ٣٠/٧/١٩٨٠م تدريس العربية لغير الناطقين بها في جامعة الأمام محمد بن سعود الاسلامية.
- من ١٥/٩/١٩٨٠م وحتى الآن تدريس اللغة الألمانية والترجمة في كلية اللغات والترجمة في جامعة الملك سعود
- صدرت لي بعض الكتب منها (دراسات في علم الجمال) و(مسرح برشت) و(دراسات في الأدب الكلاسيكي الألماني).

السعر: ١٠ ريالات سعودية

ردمك : 1 - 17 - 780 - 9960 ISBN

ردمد : ISSN 1319 - 190X